الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة
معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

ثنائية التقليدي والحداثي في شعر محمد العيد آل خليفة

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

الشعبة: دراسات أدبية

التخصص: أدب جزائري

إعداد الطالبة:
*- رزيقة بوبريم

إشراف الأستاذ:
*- عبد الحفيظ بوريو

السنة الجامعية: **2018/2017**

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة
معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

ثنائية التقليدي والحداثي في شعر محمد العيد آل خليفة

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

الشعبة: دراسات أدبية

التخصص: أدب جزائري

إعداد الطالبة:
*- رزيقة بوبريم

إشراف الأستاذ:
*- عبد الحفيظ بوريو

السنة الجامعية: **2018/2017**

"بسم الله الرحمن الرحيم"

حمدتك باللسان وبالجـــنان وحمدك غرة النعم الحســـان

وباسمك أبتدي وعليك أثني بما أثنيت في السبـع المثاني

بك استعصمت من فتن الأعادي كما استحصنت من محن الزمـــان

على عملي استعنتك يا إلاهي وليس سواك لي من مستعان

فأنت موفقي للخير فضلاً وأنت معلمي قول البيـــان

فألهمني السداد ولا تزغنـــي وجنبني بليـــات اللسان

" محمد العيد آل خليفة "

إهداء

إلى اللذين غرسا في داخلي المعاني الكبار من صدق واستقامة وإتقان، إليكما والداي الكريمين تقديري بري وإحساني.

إلى سندي وعضدي ومتكئي في هذه الحياة إخواني وأخواتي.

إلى كل من رافقني في مشواري الدراسي، وجمعتني بهم جسور المحبة والأخوة في الله.

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي.

رزيقة

اعتراف بجميل

الحمد لله الذي أكرمني وأعانني على إتمام هذا العمل، وأشكره شكرا يليق بوجهه الجليل أن منَّ عليَّ بهذا الشرف العظيم.

يطيب لي في هذا المقام الكريم أن أتقدم بالشكر والعرفان إلى الأستاذ المشرف "عبد الحفيظ بوريو" الذي لم يدخر جهدا في توجيهي وإرشادي، ولم يبخل عليَّ بنصح أو مشورة، بل ذلل صعوبات البحث والتقصي، وأثلج الصدر بإجابات شافية وافية.

كما أتوجه بخالص التقدير والامتنان إلى أستاذي "معاشو بووشمة" على عنايته الفائقة التي أولاها لي، فكان نعم الموجه والمرشد، وأسأل المولى عز وجل بقلب محب أن يديم عليه السعادة والعافية، ويبقيه ملاذا لطلاب العلم والمعرفة، ينهلون من منهله الذي لا ينضب.

والشكر موصول إلى كل الأساتذة الذين كان لهم الفضل في تكويني وتعليمي من المرحلة الابتدائية إلى يومنا هذا، فأقول لهم دمتم سراجا يستضاء به حيث حللتم.

وإلى كل من ساعدني في إنجاز هذه المذكرة ولو بالكلمة الطيبة، راجية من الله أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم.

DIDEMENDOMEMELMOHAMEDBOUMEDIENE

مقدمة:

الحمد لله الذي خلق من الشعور شعرا، وفتق من ألسن العرب المناطيق كلاما تبرا وأجال على أسلات ألسنتهم آيات تترى، فكان البيان آيته الكبرى، والصلاة والسلام على النبي القريشي لغة وذكرا، من استنشد الشعر وأجاز عليه وأقرى، وحض أصحابه على أن يقرضوه شواظا يتلهب جمرا، وينظموه لآلئ تزدان بالحكمة سحرا، وعلى آل بيته أهل البلاغة الغُرّا وأصحاب الفصاحة العُذْرا، وعلى أصحابه الخطباء والشُعْرا، من كانوا في حلبة القول السادة الأمرا، أما بعد:

لطالما كان الشعر ديوان العرب، به سجل حياتهم يدونون من خلاله أحداثهم وأمجادهم وبطولاتهم ونزاعاتهم المختلفة، يمتد هذا منذ العصر الجاهلي، حيث كان الشعراء لسان حال قبائلهم وفرسان كلمة لها، ويستمر حتى اليوم وإن تقوض دوره مع ظهور فنون أخرى، وتقنيات حديثة تزاحمه الدور بحكم التقدم والتطور، ومع ذلك بقي للشعر مكانة كبيرة جعلت كثيرا من الدارسين يجمعون على تمثيل هذا الشعر العربي لجوهر الثقافة العربية بما تحمله من خصائص وسمات، فالشاعر بلسانه وقلمه يندفع لتصوير الأحداث المختلفة التي يشهدها، فيصورها أحسن تصوير، ويعرضها بأدق التراكيب وأعذبها، ليجسدها بما فيها من إيجابيات وسلبيات وقد يكون مؤثرا فيها بما يكتبه، فيوجه ويرشد ويدافع بلسانه وقلمه عن كل ما يرتبط به وينتمي إليه، ويخلد بشعره من يستحقون ذلك من أبطال وعلماء وشيوخ وأحداث وقد يحقق بقلمه ولسانه ما تعجز عنه السواعد والوسائل، لما فيه من تأثير في النفوس وبعث للنخوة والحماس بخاصة إذا ارتبط بحوادث عظيمة في التاريخ، يصورها ويدافع عنها ويشارك فيها ولم يخل الشعر الجزائري عموما من هذا الجانب، وخاصة ما ألف منه إبان الثورة التحريرية الجزائرية وقبلها، للحيلولة دون تخاذل الشعب الجزائري في الدفاع عن وطنه والذود عنه، فكان أداة فعالة تفاعلت مع الثورة وانتصرت لها حتى حققت أهدافها بطرد الاستدمار الفرنسي واسترجاع السيادة الوطنية المغتصبة، وهو ما يتجلى بوضوح فيما ألف من أشعار، وكان محمد العيد آل خليفة شاعر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأحد

أعضائها البارزين، يؤمن بالدور الريادي للشعر، والرسالة التي يمكنه تأديتها، والأثر الذي يحدثه بالنفوس، فأبدع قبل الثورة وأثناءها وبعدها كثيرا من الشعر، تفاعل معها الشعب الجزائري قلبا وقالبا. وبهذا احتل محمد العيد مكانة مرموقة بغزارة إنتاجه وتنوعه وصدقه في فنه ومشاعره، فعد بذلك نغما جوهريا في صوت الجزائر بوجهها العربي الإسلامي، فراح يرصد بواقعية خلاقة معاناتهم وهمومهم وطموحاتهم اليومية، فاتجه بقصيدته نحو الإنسان العربي المسلم في كل مكان، ينبهه ويبين له المخاطر التي تهدده ويوجهه نحو المسار القويم، محفزا للبناء والعطاء ومعززا مواقف المخلصين من أبناء الأمة، فوقف إلى جانب القيم الإنسانية والمثل العليا والمبادئ السامية، وحاول أن يعكس في شعره هموم البشرية وآمالها وإحساسها بالحاجة إلى الحب والتآلف والتعاون وغير ذلك من الوسائل التي تقود إلى التطور والتقدم والسلام.

ولما كان محمد العيد آل خليفة من الشعراء الموصوفين بالأصالة وبأنه شاعر الشمال الإفريقي، رأيت أن أطالع شعره متلمسة مضامينه وموضوعاته ومعرفة مظاهر التقليد ومظاهر التجديد فيه، فوقفت على ديوانه وقلبت معانيه فوجدتها البلسم الشافي لأمراض العصر وهموم الأمة، حيث الرؤية الفنية الناضجة التي تستحق الدراسة والكشف عن خصوصية مضامينه الملتزمة بقضايا الأمة وهمومها، والأفكار المعبرة عن عقيدة راسخة والقصيدة العربية بكل ما فيها من جمال وفنية راقية وتطور في مضامينها ومعانيها ولا يمكن لنا أن نتصور تطور الشعر في مضامينه ومحتوياته على ضوء ما طرأ على المجتمع الجزائري من تغيرات ومواقف دون أن يحدث تغيير مماثل في تركيبه اللغوي وإطاره الفني فالشكل والمضمون يكونان وحدة عضوية متماسكة يستجيب أحدهما لما يطرأ على الآخر من تغيير.

ولعل السؤال الذي يلح الآن هو: في ماذا تتمثل مظاهر التقليد والتجديد في الشعر العربي؟ وكيف تجلت هذه المظاهر لدى محمد العيد؟ وهل كان محمد العيد مجددا أم مقلدا؟ وإذا كان مجددا أو مقلدا، فما هي محاولاته في التجديد؟ وإلى أي مدى كان مقلدا؟.

ولأنّ منهجية البحث تقتضي مني الولوج إلى هذا العالم وفق مناهج محددة باعتبارها وسائل ننفذ من خلالها إلى رحم النص الأدبي، ونظرا لطبيعة موضوعي فقد اعتمدت المنهج الأسلوبي لملائمته المادة المبحوث فيها، كما استفدت من مناهج أخرى كالمنهج التاريخي والمنهج الوصفي التحليلي، بحيث تتكامل فيما بينها.

وقد تمخض عن هذه المناهج خطة للبحث استهللتها بمقدمة، ثم مدخل حاولت أن أتعرض فيه بإيجاز لهذا الشاعر الفذ من جوانب مختلفة من حياته، كما أشرت فيه أيضا إلى مفهومي التقليد والتجديد لغة واصطلاحا، مبينة مظاهرهما في الشعر العربي شكلا ومضمونا.

لأنتقل بعد ذلك إلى الفصل الأول والمعنون بـ: مظاهر التقليد في شعر محمد العيد والذي ابتدأته بتمهيد متبوع بأربعة مباحث، تناولت في المبحث الأول الأغراض الشعرية وتضمنت: الوصف – المدح – الرثاء – الغزل – الإخوانيات – اللزوميات، وتناولت في المبحث الثاني الصورة الشعرية وتشمل: القرآن الكريم – الحديث النبوي الشريف – التراث العربي القديم، أما المبحث الثالث والمعنون باللغة فقد تضمن: حقل الألفاظ المستقاة من الطبيعة – حقل الألفاظ المستقاة من القرآن الكريم –حقل الألفاظ الدالة على الضواري– حقل الأدوات القتالية. وأخيرا المبحث الرابع تناول الأسلوب وفيه: التكرار –الاقتباس– الرمز.

لأعرج إلى الفصل الثاني والمعنون بـ: " مظاهر التجديد في شعر محمد العيد " والذي استهللته بتمهيد، تبعته أربعة مباحث، تناولت في المبحث الأول الشعر الوطني وفيه: شحذ الهمم واستنهاض العزائم – الدعوة إلى توحيد الصفوف والتأكيد على مبدإ الوحدة

الوطنية – الحرص على اللغة العربية وتمجيدها، والمبحث الثاني تضمن الشعر الديني وفيه: الدعوة إلى التمسك بالعقيدة الإسلامية والأخلاق السامية – الحث على طلب العلم وتمجيد العلماء – محاربة الآفات ومعالجة قضايا البؤس الاجتماعي، أما المبحث الثالث فتناول الشعر القومي عالجت فيه: هاجس الوحدة – الحرية والتحرر– القضية الفلسطينية. ثم المبحث الرابع والمعنون باللغة والأسلوب تناولت فيه: بساطة اللغة والأسلوب – التنويع في القافية – والقصة الشعرية، وأنهيت البحث بخاتمة لأهم النتائج المتوصل إليها، ثم أثبت المصادر والمراجع.

ولا ريب أن وراء هذا المسلك الشاق حوافز عدة جعلتني أختار البحث في هذا الموضوع ومنها: حب الاطلاع والبحث في الشعر الجزائري الحديث من جهة، وفي دراسة مظاهر التقليد والتجديد لدى شاعر محافظ على قوالب اللغة العربية من جهة أخرى والموضوع من جوانبه المختلفة جدير بالدراسة العلمية المعمقة.

وقد تطرق لموضوع بحثي هذا دراسات سابقة أعانتني كثيرا، لما وفرته لي من أفكار وملاحظات أنارت العديد من الجوانب المظلمة، ومهدت لي الطريق أذكر منها: **دراسة عابي سمير**: البنية الإيقاعية في ديوان محمد العيد آل خليفة إسلاميات وقوميات اللزوميات الثوريات أنموذجا، **ودراسة سهام بن شعلال**: Le charme de la textualité religieuse dans la poeme de mohamed El-aid el Khalifa. ، **ودراسة إبراهيم لقان**: ملامح المقاومة ضد الاستعمار في شعر محمد العيد آل خليفة (دراسة فنية).غير أنّ هذه الدراسات لم تتناول دراسته من الزاوية التي حاولت التطرق إليها.

ومن أهم وأبرز الكتب التي اعتمدت عليها وكانت زبدة ما توفر لدي من المصادر والمراجع مجموعة من الكتب الأدبية والنقدية التي تناولت الموضوع ومنها: كتاب شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة لأبي القاسم سعد الله – وكتاب: محمد العيد آل خليفة دراسة تحليلية لحياته لمحمد بن سمينة – كتاب: تطور الشعر الجزائري منذ سنة 1945 حتى سنة 1980 للوناس شعباني – كتاب في التراث والشعر واللغة لشوقي ضيف وغيرها من الكتب كثير.

ولا يخلو أي بحث علمي من مشاق وصعاب تعيق عمل الباحث وتجعل مهمته صعبة ومعقدة، وإن كنت أحسب أنّ ذلك أمر طبيعي في كل عمل يطمح إلى نتائج تكون في مستوى تطلعات الباحث، ومع ذلك فقد واجهتني صعوبات خاصة أذكر منها: صعوبة المفاضلة في اختيار النصوص المثلى للاستشهاد نظرا لخصوبة الإبداع، بالإضافة إلى طبيعة الموضوع نفسه وتشعب مجالات البحث فيه فلم ينقذني إلاّ الإيجاز والتقدم في البحث بحذر.

كما أنه لا يفوتني أن أسأل القارئ المعذرة لما قد يجد في صفحات هذه المذكرة من أخطاء أعجل الزمن عن تصحيحها، أو خدعتني النفس فيها عن سهوة، أو أغفلتها العين في القراءة، فإنّ ذلك مما لا يتهيأ التحرز من مثله في كل وقت.

وإذا كانت ثمة كلمة أختم بها هذه المقدمة فهي شكري الجزيل الذي أتوجه به إلى أستاذي المشرف الذي أفدت من علمه وتوجيهاته فجزاه الله عني خير الجزاء، وإلى كل من ساعدني في إنجاز هذا البحث، كما لا يفوتني أن أشكر أعضاء اللجنة المناقشة على تجشمهم أعباء ومتاعب قراءة هذا العمل وتصحيحه، فلهم جميعا مني جزيل الشكر وكبير الامتنان.

وفي الأخير آمل أن يكون البحث قد ألّم بجل النقاط التي تتصل به وإن لم تكن كلها، وحسبي أنني حاولت، فإن قصرت فضعف ساقه العجز إلي، وإن قاربت فذلك من فضل الله علي.

أولا: محمد العيد آل خليفة حياته وآثاره.

1/. مولده ونشأته:

هو محمد العيد بن محمد بن علي بن خليفة، تنسم ريح الحياة في 27 جمادى الأولى 1323هـ الموافق ل: 28 أوت 1904م بمدينة عين البيضاء التابعة لولاية أم البواقي "تنحدر أسرته من القبيلة العربية (المحاميد) التي سكنت ليبيا في العهد الفاطمي"[1]، ومنها انتقلت إلى الجزائر في العهد العثماني "واستقرت ببلدة كوينين الجميلة الآسرة التابعة لولاية واد سوف بالجنوب الجزائري"[2].

ولد في أحضان أسرة متدينة وتحت رعاية أب صوفي صالح (محمد علي خليفة) فترعرع في ذلك الجو الأسري المفعم بالعفة والتقى والورع، وتشربت نفسه هذا الحب العميق المتوارث للعقيدة الإسلامية والأخلاق الفاضلة والإيمان الشديد بعز الإسلام والوطن، استهل تعلمه وحفظه للقرآن الكريم في الكتاتيب، ثم التحق بالمدرسة التابعة لمسقط رأسه بعين البيضاء "حيث بدأ يتلقى المبادئ الأولى في العلوم الدينية واللغوية على يدي الأستاذين (أحمد بن ناجي الصائغي) و (محمد الكامل بن الشيخ المكي بن عزوز)"[3]، ثم انتقل مع أسرته إلى مدينة بسكرة بوابة الصحراء الجزائرية سنة 1918م "حيث تابع دراسته على المشايخ (علي بن إبراهيم العقبي)، و(الشريف والمختار بن يعمر اليعلاوي) و(الجنيدي أحمد مكي)"[4].

---

1. محمد بن سمينة، محمد العيد آل خليفة دراسة تحليلية لحياته، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط)، 1992 ص7.

2. باسم بلام، محمد العيد آل خليفة أمير شعراء الجزائر والشمال الإفريقي (الأعمال الشعرية الكاملة)، دار الصديق الجزائر، ج1، (د.ط)، 2016، ص11.

3. محمد بن سمينة، مرجع سابق، ص9.

4. أبو القاسم سعد الله، محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث، دار المعارف، مصر، ط2 (د.ت) ص86.

وفي سنة 1921م غادر الشاعر محمد العيد آل خليفة بسكرة إلى تونس حيث التحق بجامع الزيتونة، ودرس على مجموعة من العلماء لمدة سنتين ليعود سنة 1923م بعد إصابته بمرض أرغمه على العودة، يقول: "وما كاد ينقضي عام 1342هـ، حتى خارت قواي، وضعفت عزيمتي، مما طرأ من الآلام، التي كانت حجر عثرة في سبيلي فاضطررت للرجوع إلى بسكرة"[1].

شارك في حركة الإصلاح عن طريق التعليم والنشر في الصحف والمجلات "صدى الصحراء" للشيخ أحمد بن العابد العقبي، و"المنتقد" و"الشهاب" للشيخ العلامة عبد الحميد بن باديس، و"الإصلاح" للشيخ الطيب العقبي.

وفي سنة 1927م دعي إلى العاصمة للتعليم بمدرسة الشبيبة الإسلامية الحرة، حيث بقي مدرسا بها ومديرا لها مدة اثني عشر عاما، وفي هذه الفترة أسهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وكان من أعضائها العاملين، ونشر الكثير من قصائده في صحف الجمعية (البصائر – السنة – الشريعة – الصراط)، وكذا في صحيفتي (المرصاد والثبات) لمحمد عبابسة الأخضري.

وبعد اندلاع الحرب العالمية الثانية سنة 1940م، غادر محمد العيد العاصمة متوجها إلى بسكرة ومنها دعي إلى مدينة باتنة للإشراف على مدرسة التربية والتعليم إلى سنة 1947م، ثم انتقل إلى مدينة عين مليلة لإدارة مدرسة العرفان إلى سنة 1954م تاريخ اندلاع الثورة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي. وبعد اندلاع الثورة التحريرية المباركة أغلقت المدرسة كغيرها من مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وألقي القبض عليه في شهر جوان 1955م، وزج به في سجن الكدية بقسنطينة، حيث مكث فيه حوالي أربعة عشر يوما وفي سنة 1957م حوكم بتهمة "المساهمة في الإعداد للثورة، وكان المدعي العام يستمد كل حججه من أشعار (محمد العيد)"[2]، ليطلق سراحه لاحقا بعد تدخلات عديدة من بعض

1. محمد الهادي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، المطبعة التونسية، تونس، ج1، ط1، 1962، ص12.
2. صالح خرفي، الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ط)، 1984، ص308.

المدافعين، يقول أبو القاسم سعد الله في هذا الشأن: "سيق إلى الموت ثم عفي عنه بتدخل محتمل من الزاوية التيجانية بينما نفذ الإعدام في غيره"[1]. وبعد ذلك فرضت عليه الإقامة الجبرية في بيته بمدينة بسكرة فلبث بها معزولا عن المجتمع تحت رقابة مشددة إلى أن فرج الله عليه وعلى الشعب الجزائري بالتحرير والاستقلال.

فبعد سنين طوال من العمل الدؤوب والجهاد والمثابرة نجد "في حياة محمد العيد وشعره وجهاده، وحياة إخوانه من المجاهدين الأوائل، أولئك المخلصين البررة...الذين وحدهم درب الجهاد الطويل...قدوة مثلى، وعبرة بعيدة الغور، عميقة المغزى...في حياة أولئك الأبطال الرجال، صفحات مجيدة وضاءة مشرقة يحق لجيل الاستقلال أن يعتز بها مرفوع الرأس"[2].

"فقد عاصر محمد العيد الجزائر بأزمنتها المختلفة التي تشكلت في ظل استدمار فرنسي، تلاه جهاد نوفمبر الذي خلص الجزائريين من الذل والاستعباد، ثم زمن الاستقلال الذي يحمل في طياته تناقضات فكرية وإيديولوجية، آلت بالقصيدة الجزائرية إلى التشكل في ظل مذهبيات مختلفة، كما آلت بمحمد العيد إلى الاحتماء بالإسلام فكرا وفنا. فهو صاحب المرجعية الإسلامية التي لم تفارق حياته نشأة وإبداعا منذ ولادته في مدينة عين البيضاء بشرق الجزائر إلى غاية 31جويلية1979م الموافق لـ: 7 رمضان 1399هـ، ودع الشاعر الدنيا وهو في مشفى باتنة، ودفن رحمه الله في مدينة بسكرة التي شهدت نضاله"[3]. مخلفا وراءه أهم أثر له وهو ديوانه الشعري الضخم الحافل بالقضايا الكبرى ذات البعد الوطني والإنساني والاجتماعي، إلى جانب القضايا العامة الصغيرة ذات الدلالات المختلفة.

1. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي(1830 . 1954)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ج8، ط1، 1988 ص238.

2. الطاهر يحياوي، محمد توامي، شعراء وملامح، مطبعة أمزيان، الجزائر، ط1، 1984، ص41.

3. أحمد دوغان، في الأدب الجزائري الحديث . دراسة .، منشورات اتحاد الكتاب العرب، (د.ط)، 1996، ص271.

2/. ثقافته ونشاطه:

تعد الأسرة التي عاش فيها محمد العيد آل خليفة أول منبع لثقافته، فقد تشرب منها الكثير كحب الوطن وحب العقيدة والقيام بتعاليمها، وكذا محبة الأخلاق السامية والتحلي بها بدأ مشواره بتعلمه وحفظه للقرآن الكريم في الكتاب، وأتم حفظه وهو ابن الأربعة عشر عاما بعدها توجه لدراسة العلوم الدينية واللغوية كالتوحيد والفقه والنحو والمنطق وغيرها[1]، ثم سافر بعد ذلك إلى تونس قبلة البعثات الطلابية آنذاك وانتسب إلى جامع الزيتونة سنة 1921م ليجد أنه قرأ معظم الكتب المقررة في درجته بالجزائر وبذلك قرر التخلص من الطريقة النظامية التي تلزمه بحضور حلقة معينة فقط، فراح بذلك يحضر حلقات مختلفة المستويات الأمر الذي سمح له باختيار ما يلائمه من دروس وأساتذة، كما أنه كان يداوم في المدرسة الخلدونية بصفة حرة على بعض الدروس في مواد عصرية كالحساب والجغرافيا وغيره.ليعود بعدها إلى الجزائر سنة 1923م لأسباب مرضية دون الحصول على أية شهادة علمية، لكنه لم ييأس ولم تحبط عزيمته، بل ظل متعطشا للمزيد من العلم فاتصل بالعديد من المشايخ كالبشير الإبراهيمي والطيب العقبي، وأخذ عنهم الكثير من المعارف والعلوم منها: الفقه والحساب والفلك والتفسير وعلوم البلاغة.

كما نجد لمكتبته الخاصة الأثر البالغ في تكوين شخصيته وتطوير ثقافته فقد "كانت تحوي مصنفات دينية وعلمية، كما شملت أمهات الكتب المشهورة في اللغة والأدب وبعض دواوين الشعراء القدامى والمحدثين"[2]، وقد تقلد بفضل اختلاف ثقافته عديد المناصب منها: درس في عدة مدارس وتولى إدارتها، مثل: جمعية الشبيبة الإسلامية في مدينة الجزائر سنوات (1928م ـ 1940م)، وكان مديرا لها عام 1931م، وكذا مدرسة التربية والتعليم ببانتة في سنوات (1940م ـ 1947م)، ومدرسة العرفان بعين مليلة سنوات (1947م ـ

1. محمد بن سمينة، محمد العيد آل خليفة دراسة تحليلية لحياته، مرجع سابق، ص ص9 . 10.
2. محمد بن سمينة، المرجع نفسه، ص 24.

1954م)، وتولى منصب إمام بمسجد من المساجد الحرة بعين مليلة[1]، احتل منزلة عضو في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ تأسيسها عام 1931م، وكان نائب رئيس لجنة الآداب التابعة للجمعية، شارك في النهضة الصحافية ببسكرة، حيث نشر شعره في معظم الصحف والجرائد، احتل منصب عضو في الهيئة المؤسسة المحررة لجريدة صدى الصحراء كان العضو الثاني إلى جانب العقبي في إصدار وتحرير جريدة الإصلاح، كما كان عضوا في تأسيس مطبعة الإصلاح، كان عضوا مراسلا في مجمع اللغة العربية بدمشق، كما اعتبر كاتب مسرحي مثلت مسرحياته في الحفلات الطلابية[2]. وبهذا استحق نيل لقب: شاعر الشباب – شاعر الجزائر الفتاة – شاعر الشمال الإفريقي بجدارة واستحقاق.

وقد خلف لنا محمد العيد إرثا ثقافيا كبيرا يتمثل في:

– ديوان شعري ضخم يفوق 600 صفحة، صدرت له خمس طبعات وهي على التوالي: 1967م . 1979م . 1992م . 2007م . 2010م.

– العيديات المجهولة، وهي عبارة عن ملحق شعري يعد تكملة لديوانه، يضم عددا كبيرا من القصائد والمقطوعات والأناشيد والأبيات المفردة.

– رواية بلال بن رباح، وهي عبارة عن مسرحية شعرية طبعت سنة 1938م بالمطبعة العربية الجزائرية.

– مقالات وخطب منشورة في الصحف والمجلات كصحيفة: الشهاب . الإصلاح . صدى الصحراء . الشريعة . السنة . الصراط . البصائر . المرصاد.

– رائيته المطولة التي نشرت على أجزاء في مجلة المعرفة التي كانت تصدرها وزارة الأوقاف[3].

1. عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث تاريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، (د.ط)، 1995، ص66.
2. عمر بن قينة، المرجع نفسه، ص30.
3. باسم بلام، محمد العيد آل خليفة أمير شعراء الجزائر والشمال الإفريقي، مرجع سابق، ص11.

– كما كان له حوليات شعرية اعتاد إلقاءها في المناسبات الخاصة بجمعية العلماء المسلمين، وفيها تنويه بالقيم السامية للدين الإسلامي وتتغنى بالعلم والعلماء.

ومحمد العيد من الأعضاء الفاعلين في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فقد كان محاربا قويا ضد الاستعمار الفرنسي، قلمه يعد القلب الخافق واللسان الناطق والترجمان الصادق لكل طموحات وآمال الشعب الجزائري بصفة عامة، ولطموحاته وآماله هو بصفة خاصة، كما أن شعره ساير النهضة الجزائرية وواكبها، فقد كان يدعو إلى الثورة المسلحة ضد المستعمر الغاشم بسنين قبل اندلاعها، فقد أسهم بشكل كبير في التطور الحاصل على المستويين الاجتماعي والثقافي، يقول: " كنا إلى أمد غير بعيد ننظر إلى هذه الحياة الدنيا في هذه البلاد الجزائرية نظرة الآسف الكاسف...أما اليوم غير الأمس، أما اليوم وقد بدت طلائع النهضة وطوالعها في الجزائر تتجلى فيها نور نهار الإصلاح، وأشرق مدّ نور العلم وأصبحنا بفضل الله نستقبل عصرا جديدا، ونبعث من مراقدنا بعثا جديدا..."[1].

وقد كان لأعضاء هذه الجمعية دور فعال في تطور الحياة الاجتماعية والثقافية في الجزائر، فنجد أنهم "أسسوا المدارس العربية الحرة، والنوادي الثقافية، والمجلات الأدبية وحاربوا الأمراض الاجتماعية مثل الخرافات الغليظة"[2].

كل هذا كان بفضل الجهود الجبارة التي كان يقوم بها أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وعلى رأسهم: عبد الحميد بن باديس – البشير الإبراهيمي – العربي التبسي – الطيب العقبي – محمد العيد آل خليفة، هذا الأخير الذي كان له دور كبير في الدفاع عن الدين الإسلامي واللغة العربية من خلال تدريسه بمدارس الجمعية، أو من خلال مقالاته المنشورة بالجرائد والصحف خصوصا صحيفتي البصائر والشهاب، وقصائده الشعرية التي كانت تتصدر هذه الأخيرة والتي بفضلها "استطاعت أن تظهر للوجود، وأن تحدد لها

1. محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية (1925م . 1975م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1985، ص ص 89 . 90.

2. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ج2، ط3، 1983، ص419.

نظرية اجتماعية وسياسية وثقافية ودينية وكان للشهاب مكانة عالمية ليس فقط في الجزائر بل وفي مصر وسوريا"[1]، وهذا راجع للمستوى الأدبي الرفيع والأسلوب المتميز، الذي ارتقى بالصحافة الجزائرية إلى مستوى العالمية. أو من خلال خطبه وقصائده الملقاة في الأعياد والمناسبات، بالمراكز والنوادي الأدبية، كنادي الترقي الذي "احتضن الحركة الوطنية منذ 1927م حيث عقدت فيه المؤتمرات الهامة، وانبثقت عنه كثير من الأفكار الوطنية، كفكرة جمعية العلماء، والمؤتمر الإسلامي، ومشروع البصائر"[2].

فنجد محمد العيد يلقي فيه الكثير من قصائده، في عديد المناسبات الدينية والوطنية وقد لمع نجمه وداع صيته في هذا النادي الذي يمتاز بمكانة أدبية راقية وشهرة واسعة وفي هذا الصدد يقول عبد الملك مرتاض:"لا يغالي الباحث في جوانب نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر أثناء العقد الرابع من هذا القرن أن يعد نادي الترقي بالجزائر، بل في مجموع الوطن كعكاظ في الجاهلية في جزيرة العرب، وكالمربد في البصرة أثناء القرن الأول الهجري"[3].

ونجد نادي صالح باي (مركز قسنطينة) الذي قال عنه محمد العيد في محاضرته: "سير النوادي وحظ الجزائر منها"، وذلك عند توقف نشاطه بعد الحرب العالمية الأولى:"فهل لنا معشر الجزائريين من هذه النوادي حظ نصيب؟ أما قبل الحرب الكبرى فلا، إلا ما وصلنا من نبأ نادي (صالح باي) بمدينة قسنطينة منذ زمان، وهو اليوم في خبر كان"[4]، وقد كان من أبرز الناشطين فيه من خلال مشاركاته الكثيرة بقصائده الخالدة في عديد المناسبات والاحتفالات، كقصيدة: ختمت كتاب الله التي ألقاها بمناسبة ختم الشيخ عبد الحميد بن باديس للقرآن الكريم سنة 1938م.

1. سعاد محمد خضر، الأدب الجزائري المعاصر، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1967، ص51.
2. أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ط)، 1985 ص116.
3. عبد الملك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر (1925. 1954)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، (د.ط)، 1971، ص ص 33 . 34.
4. صالح خرفي، الشعر الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص139.

أما نشاطه بمركز تلمسان فلا يقل أهمية بالمقارنة مع المراكز الأخرى، فقد ألقى محمد العيد في الاحتفال العظيم بافتتاح مدرسة (دار الحديث) بتلمسان في خريف سنة 1937 ثلاث قصائد هي: تحية دار الحديث، واستوح شعرك، ودعاك الأمل.

كما كان له نشاط كبير في جمعيات كثيرة، سواء كانت إصلاحية ثقافية أو أدبية فنية منها: جمعية الشبيبة والجمعية الخيرية بالعاصمة، والتي ألقى في حفلتها قصيدته: في ظلال الخير.

وبالإضافة إلى نشاط محمد العيد في النوادي والمراكز والجمعيات، كان له نشاط واسع في مختلف الأحزاب السياسية، كحزب الشباب الجزائري بقيادة الأمير خالد، والذي أصدر"جريدة (الإقدام) باللغتين، فكانت تنشر لجيل جديد من الكتاب والشعراء ذوي الطموح الإصلاحي، ومن هؤلاء محمد العيد"[1]، الذي نشر عديد المقالات في هذه الجريدة، وحزب نجم شمال إفريقيا والحزب الشيوعي.

ولقد كان محمد العيد يدعو صراحة إلى الوحدة والتآخي بين هذه الأحزاب عندما تصادمت فيما بينها يقول:

هذه الأرض سوف تنبت عزا * إن تصافت في ظلها الأحزاب**

كلنا إخوة من الدين والجنس * عليها وكلنا أحباب**

3/ . شخصيته ومكانته الأدبية:

نشأ محمد العيد آل خليفة نشأة دينية منذ صباه، فقد شب على الدين والتقوى وشاب عليه، فكان عزوفا عن الحياة المليئة بمظاهر اللهو والترف والبذخ والملذات، راغبا عن الحياة الدنيا، موليا وجهه عن زخرفها، قانعا بالقليل منها،وتجلى ذلك في طهارة قلبه، وعزة نفسه، والميل إلى البساطة والتواضع، والنفور من الادعاء والتكبر والتعقيد.

1. أبو القاسم سعد الله، أفكار جامحة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ط)، 1988، ص90.

وقد شبه محمد بن سمينة شخصية محمد العيد بشخصية حسان بن ثابت الأنصاري في قوله:"وتكاد شخصيته في هذه الجوانب تقترب من شخصية الشاعر حسان بن ثابت الأنصاري، الذي كان يغزو مع المجاهدين في صدر الإسلام، إلا أن عدته وعتاده في ذلك الغزو إنما هو لسانه وشعره، وكذلك شاعرنا كان شاعرا في الحرب وشاعرا في السلم ولكنه لا يملك من العدة في كلتا الحالتين إلا الشعر والأدب".

أسالم الناس في عيشي فإن عمدو * إلى خصامي فسيفي : الشعر والأدب**

وإن دعانـي قومـــي أن أنـاصرهـــم * فعدتي في انتصاري : الشعـر والأدب**[1]

أما الدكتور عمر بن قينة فيقول عن شخصية محمد العيد المتميزة و الفريدة: "فالشيخ محمد العيد آل خليفة شاعر المغرب العربي يعتبر صوتا قوميا متميزا بموافقه الفكرية التي عكسها شعره الذي رافق مرحلة اليقظة والإصلاح والنضال السياسي، وشاهدا على كفاح أمة عربية لا تهن ولا تستكين دفاعا عن وجودها وهويتها الحضارية، كما عكس تمسكها بالعربية لسانا وبالإسلام عقيدة وحياة، فكان بذلك نغما جوهريا في صوت الجزائر بوجهها العربي الإسلامي وملامحها الإنسانية، وقد جسد شعره جوانب مختلفة من قيم الخير والحرية والعدل والمودة والمحبة والرحمة والتكافل والبذل، مما يعكس حقا شخصية شاعر فنان يهزه الحدث الكبير، كما تطربه اللفتة الصغيرة والصورة الجميلة مثل الفكرة العابرة "[2].

وبهذا كان محمد العيد جديرا بكل ما نال من ألقاب تدل على رسوخ القدم في ميدان الشعر، فقيل عنه شاعر النهضة الجزائرية وشاعر الشمال الإفريقي، وخير دليل على صحة هذه الأوصاف، تلك الحياة الصاخبة التي عاشها وكانت نابضة بالشعر والجهاد الفكري والذي ترجم معظمها تراثه الشعري المبثوث في ديوانه الذي حوى مائتي نص شعري أغلبه

1ـ محمد العيد آل خليفة، الديوان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ط1، 1965 ص 51.

2. ينظر، عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث تاريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما، مرجع سابق، ص ص65-66.

قصائد طوال، كان فيها محمد العيد من أقوى الشعراء الجزائريين "تمثيلا للشعر العربي الصميم في صياغته ونظمه"[1].

وقد جمع قصائد الديوان أول مرة تلميذه أحمد بوعدو سنة 1952م، وتم طبعه سنة 1967م، ولكن الأستاذ محمد بن سمينة كشف عن قصائد للشاعر لم تنشر، جمعها من الصحف الوطنية القديمة ومن النسخة المخطوطة من ديوان الشاعر، ومن أسرته ومعارفه وهي بذلك تكملة واستدراك على الديوان، نشرها في كتاب وسمه بالعيديات المجهولة[2].

وكان محمد العيد ينطلق في شعره من أربع كليات هي: الإسلام – الوطن – العروبة – الإنسانية. فكان سجلا أمينا لأحداث الوطن الصغير والكبير على السواء ومعبرا عن آمال الأمة وآلامها، ولا تكاد تخلو قصيدة من الطابع الديني حتى في القصائد الذاتية وقصائد الرثاء والوصف[3]، لأنه كان واقعا تحت مؤثرات البيئة الاجتماعية التي كانت في معظمها بيئة دينية محافظة، تجمع في تكوينه الفكري ما بين مبادئ الإصلاح التي كانت بذورها الأولى قد غرست في نفسه قبل سفره إلى تونس، وبين النزعة الصوفية التي انتقلت إليه وراثة واكتسابا من أسرته بوجه عام، ومن أبيه بوجه خاص، والذي كان صوفيا على الطريقة التيجانية. وبهذا كان الشاعر مصلحا صوفيا داعيا إلى الإصلاح وناشرا للمفهوم الصحيح للإسلام ومقاوما للانحراف، وهذا ما جعل قلب محمد العيد يمتلأ حبا للرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، واعتزازا بسيرته واهتداء بسنته، مما فاض على لسانه إبداعا شعريا صادقا يتمثل في جملة من القصائد، نهج فيها الشاعر نهجا واقعيا، حرص فيه على المساهمة في النهوض بالوطن والمنافحة عن قيمه ومقومات شخصيته والذود عن حقوقه وقضاياه، أي أنه كان يعمل لدنياه وآخرته في الوقت نفسه، وممن أشتهر بذلك من القدماء حجة الإسلام أبو حامد الغزالي رحمه الله، الذي جمع ما بين التصوف والفقه وبين العلوم

1. محمد مصايف، فصول في النقد الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ط2، 1981، ص6.
2. محمد بن سمينة، العيديات المجهولة، موفم للنشر، الجزائر، ط1، 2003، ص51.
3ـ الشارف لطروش، (الشعر الديني عند محمد العيد آل خليفة)، حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد2، 2004 ص51.

والفلسفة، وقد كان محمد العيد معجبا بمنهجه ومتأثرا به، وهو يقر بهذه الحقيقة في قوله: "إني أحب مشرب الغزالي لأنه لا يخرج عن الشريعة، ولا يهمل العقل"[1].

ولهذا نقول إن لنزعته الزهدية الصوفية جذور قديمة متأصلة في أعماقه، فما برحت تمدها وتغذيها أسباب متعددة، من ميراثه الصوفي، ونشأته الدينية، وبيئته المحافظة وتكوينه العربي الإسلامي، ومعايشته لمأساة أمته، كما أن محاصرته داخل منزله وفرت له الجو الملائم للنزوع الصوفي ومكنته من النمو والسمو في نفسه، واستمر على هذا الحال متفرغا للعبادة، لا يتصل بالحياة الدنيا وأهلها إلا بحذر ومقدار، خصوصا بعد أدائه لفريضة الحج سنة 1966م، وهي إحدى أمنياته الثلاث الكبرى: استقلال الجزائر – أداء فريضة الحج على نفقة وزارة الشؤون الدينية – نشر ديوانه الضخم على نفقة وزارة التربية الوطنية.

فبالرغم من الحياة الصعبة التي عاشها محمد العيد آل خليفة تحت الظروف القاسية والحرب النفسية، إلا أن ذلك لم ينل من عزيمته ولم يوقف نضاله، بل واصل رسالته لما يغمر قلبه من ثقة بالله تعالى، وحب الوطن وتفان في خدمته، وقد كان بحق مجاهدا ومناضلا بفكره وقلمه مع واقعه القاتم الرازح تحت نير الاستعمار الفرنسي وبهذا النضال استطاع التغلب على كل المثبطات والحواجز، مما أهله للوصول إلى أعلى المراتب. "فإذا كان (محمود سامي البارودي) رائد الكلاسيكية العربية، وزعيم مدرسة البعث والإحياء في الشعر الحديث، وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم(...) وغيرهم من أساطين سرح الكلاسيكية العربية، فإن (آل خليفة) حامل لوائها في الجزائر والمغرب العربي. لقد تجلت في شعره كل خصائص هذه المدرسة الأدبية(...) فكان (محمد العيد) مدرسة شعرية حقيقية"[2].

فمحمد العيد يعد من رواد الشعر الحديث، ومهما اجتهدنا في تبيان أهمية شعره فلن نقول أكثر مما شهد به رئيس العلماء وشيخ الأدباء محمد البشير الإبراهيمي الذي قال: "رافق شعره النهضة الجزائرية في جميع مراحلها، وله في كل نواحيها، وفي كل طور من أطوارها

1. محمد بن سمينة، محمد العيد آل خليفة دراسة تحليلية لحياته، مرجع سابق، ص 35.
2. باسم بلام، محمد العيد آل خليفة أمير شعراء الجزائر والشمال الإفريقي، مرجع سابق، ص 9.

وفي كل أثر من آثارها القصائد الغر والمقاطع الخالدة، شعره – لو جمع– سجل صادق لهذه النهضة وعرض رائع لأطوارها"[1].

فالموهبة الشعرية لدى محمد العيد مكنته من التعبير عن أحاسيسه وتجاربه بكل عفوية وتلقائية، فجادت قريحته بقول الشعر ونظم القصائد، مستعينا في ذلك بنشأته في بيئة أدبية ودراسته على يد شيوخ معظمهم شعراء.

كما كتب شكيب أرسلان تعليقا في ديوان محمد العيد، يشيد فيه بأدب الشاعر ومكانته يقول: "كان يظن أن القطر الجزائري تأخر عن إخوته سائر الأقطار العربية في ميدان الأدب ولاسيما الشعر، ولعله بعد الآن سيعوض الفرق، بل يسبق غيره بمحمد العيد"[2].

والجزائر كانت متأخرة في مجال الأدب والشعر عن غيرها من البلاد العربية، إلا أنها استطاعت اللحاق بركبها بفضل الجهود الجبارة التي قام بها أدباؤها، على رأسهم محمد العيد آل خليفة.

أما الطيب العقبي فقال:"إني لم أقبل رأس مخلوق في حياتي، غير أني هذا الأسبوع قبلت رأس شاب أجاد فن الخطابة هو الفضيل الورتلاني، واليوم أقبل رأس شاب آخر نبغ في فن الشعر حتى وصل الغاية منه، وهو الأستاذ محمد العيد"[3].

وهذا خير دليل على المكانة المرموقة التي يتمتع بها محمد العيد بين أقرانه في ميدان الشعر.

1. أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ج1، ط1، 1997، ص 369.
2.. محمد العيد آل خليفة، الديوان، ص يا.
3. أبو القاسم سعد الله، محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث، مرجع سابق، ص41.

كما يرى عبد الله الركيبي بأن: "محمد العيد كان صوتا فريدا ومتميزا في التعبير عن الحركة الإصلاحية وأهدافها، وسياستها وتوجهها، واستطاع أن يطبع القصيدة العربية في هذا الاتجاه بطابع خاص"[1].

فمحمد العيد كان له دور كبير بمساهمته الفعالة في الحركة الإصلاحية وجعل القصيدة العربية متميزة عن غيرها، ويتجلى ذلك في وضوح الرؤيا وثبات المواقف.

وفي الأخير نقول بأن محمد العيد آل خليفة جمع بين الإصلاح والتصوف، فهو بذلك جمع بين العمل للدنيا والعمل للآخرة، كما يمكن أن تعتبر شخصيته دينية أكثر منها أدبية، وهذا ما لاحظناه من خلال كل ما سبق، فعمله يلخص في ثلاث كلمات: الكلمة الهادفة شعرا، والكلمة الطيبة تربية، والكلمة الصادقة إصلاحا، كما يمكن أن نقول أن تجربته ناجحة صادقة ومؤثرة.

1. محمد الطاهر يحياوي، أحاديث في النقد والأدب، شركة الشهاب، الجزائر، (د.ط)، 1990، ص 64.

ثانيا: الإطار المفاهيمي لمصطلحي التقليد والتجديد.

1 /- تعريف التقليد:

أ- لغة:

جاء في المعجم الوسيط: التقاليد مفردها تقليد وهي العادات المتوارثة التي يقلد فيها الخلف السلف[1]. وجاء في لسان العرب قلّد فلان فلانا: عملا تقليدا[2]. وقد ورد في معجم العين تعريفا آخر للتقليد: تقلدت السيف والأمر ونحوه: ألزمته نفسي، وقلدنيه فلان؛ أي ألزمنيه وجعله في عنقي[3].

ب- اصطلاحا:

اختلف الباحثون والأدباء في وضع مفهوم محدد لمعنى التقليد، فالتقليد أو التراث هو (خلفية ثقافية)[4]، فالتقليد محاكاة للقديم ومحافظة على الموروثات السابقة، "والأدب يميل إلى الاستناد إلى تراث ما لمكانته وإمكاناته"[5].

أي أنّ التراث يكون جذرا لساق وأغصان تورق عليها كل الإنجازات اللاحقة لما يحظى به هذا التراث من منزلة ولما يتمتع به من إمكانات. وقد عرّف علي عقلة عرسان التقليد بأنه: "رفض الخروج على أبسط تفاصيل القواعد والمفاهيم المستقرة"[6].

---

1. صلاح الدين الهواري وآخرون،المعجم الوسيط، دار مكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، مادة (قلد)، ص 1357.

2. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور)، لسان العرب، تر، عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ج7، (د.ط)، (د.ت)، مادة (قلد)، ص 3718.

3. أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تح، مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، ج5، (د.ط)، (د.ت)، مادة (قلد)، ص 117.

4. عبد القادر عميش، اشتغال الرمز ضمن إسلامية النص، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، الجزائر، عدد2 2004، ص 74.

5. هارولد بلوم، مفارقة الحداثة، تر، خالدة حامد، مجلة الآداب الأجنبية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، عدد 105 شتاء 2001، ص 51.

6. علي عقلة عرسان، أسئلة الحداثة والتراث، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، عدد58، جانفي 1995، ص 18.

وعلى هذا الأساس فهو تشبث بالأسس والقواعد الثابتة وتمسك بها ورفض للخروج عن مبادئها.

أما طراد الكبيسي فعرفه بقوله: "هو مجموع ما ورثناه من الخبرات والإنجازات الأدبية والفنية والعلمية، ابتداء من أعرق عصورها إيغالا في التاريخ، حتى أعلى ذروة بلغتها في تقدمها الحضاري"[1].

فالتقليد هو كل المعارف والمؤلفات والمنجزات التي وصلتنا وانتقلت إلينا منذ القديم وحتى يومنا هذا، "إذ التقليد في كل عصر يدين نفسه بنفسه، ولا يستحق ثورة إلاّ عندما يصبح قاعدة"[2]. وبهذا عندما يصبح التقليد قاعدة وأساسا هناك فقط يستدعي القيام بثورة ضده.

أما التقليد في الشعر فيعتبر "صورة رديئة مسفة سواء في الأغراض والمعاني والأساليب؛ أما الأغراض فكانت ضيقة تافهة، وكانت المعاني مبتذلة ساقطة، وأما الأساليب فكانت متكلفة، مثقلة بأغلال البديع وما يتصل بها من حساب الجمل الذي كانوا يؤرخون به حوادث شعرهم وقصيدهم"[3].

فقد عُد التقليد في الشعر أمرا قبيحا وصورة سيئة خصوصا ما تعلق منه بالأغراض والمعاني والأساليب، كما عده محمد بنيس عيبا من العيوب الأربعة وهي بإيجاز: "التفكك والإحالة والتقليد والولوع بالأغراض دون الجواهر"[4]. أي أنّ التقليد هو أحد العيوب الأربعة التي يمكن أن يقع فيها الشاعر عند نظم قصيدته.

---

1. طراد الكبيسي، التراث العربي كمصدر في نظرية المعرفة والإبداع في الشعر العربي الحديث، الموسوعة الصغيرة، وزارة الثقافة والفنون، بغداد، العراق، العدد12، 1978، ص 16.
2. إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، مجلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت العدد2، 1998، ص 113.
3. شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط10، (د. ت)، ص 38.
4. محمد بنيس، الشعر العربي الحديث، بنياته وإبدالاتها– مساءلة الحداثة –، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب ط3، 2014، ص 64.

كما يعتبر التراث (التقليد): "تاريخ الأمة السياسي والاجتماعي والنظم الاقتصادية والقانونية التي شرعتها، ومجموع خبراتها الأدبية ومنجزاتها في الطب والكيمياء والفلك والفيزياء وعلم الاجتماع والنفس وفن التصوير والعمارة والتزيق يضاف إلى هذا الخبرات المكتسبة عن طريق الممارسات اليومية والعلائق الاجتماعية"[1].

فالتقليد هو البناء الذي تقوم عليه أي أمة من الأمم وأي شعب من الشعوب في جميع ميادينها ومجالاتها، كما يعد المقوم الأساسي الذي تبني عليه مكتسباتها وخبراتها في شتى مناحي الحياة.

والتراث "ليس مجرد تراكم خبرات ومعارف.. وكتب، ولكنه اعتراف أمام الذات والعالم اعتراف بوجود، واعتراف بشخصية لها وجودها التاريخي النفسي"[2].

فالتقليد إذن هو الاعتراف بالكيان والوجود النفسي والتاريخي للشخصية، سواء أمام الذات أو أمام العالم بأسره، وليس مجرد تراكمات للكتب والمعارف والخبرات.

2/- تعريف التجديد:

أ- لغة:

ورد في معجم أساس البلاغة في مادة (جدد) ما يلي: جدد: رجل مجدود، وجد: ذو جد، وهو أجد من فلان. وجد في عيني: عظم. جد به الأمر، وجد جده، وهو على جد أمر. وركب جدة من الأمر أي طريقة[3].

وجاء في المعجم الوجيز جَدّدّ الشيء: صيره جديدا، ويقال جدد العهد. تجدد الشيء: صار جديدا. استجد الشيء صار جديدا، والشيء استحدثه وصيره جديدا[4].

1. طراد الكبيسي، التراث العربي كمصدر في نظرية المعرفة والإبداع في الشعر العربي الحديث، مرجع سابق، ص 16.
2. طراد الكبيسي، المرجع نفسه، ص 14.
3. أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تح، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ط1، 1998، مادة (جدد)، ص 125.
4. مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، مطابع الدار الهندسية، مصر، ط1، 1980، مادة (جد)، ص 94.

أما الفيروز ابادي فيعرف التجديد في قاموسه المحيط بقوله: جدّ يجدُ: فهو جديد. وأجده وجدده واستجده: صيره جديدا فتجدد[1].

ب- اصطلاحا:

لقد تعددت تعريفات الأدباء والباحثين لمفهوم الحداثة والتجديد "فالحداثة سمة للأقوال والأشياء غير المعروفة من قبل وبهذا المعنى لكل عصر حداثته"[2].

أي أنه لكل مجال من المجالات وكل ميدان من الميادين تعريفه الخاص به لمعنى التجديد والحداثة "فعلميا تعني الحداثة إعادة النظر المستمر في معرفة الطبيعة للسيطرة عليها وتعميق هذه المعرفة وتحسينها باطراد، ثوريا تعني الحداثة نشوء حركات ونظريات وأفكار جديدة ومؤسسات وأنظمة جديدة تؤدي إلى زوال البنى التقليدية في المجتمع وقيام بنى جديدة، فنيا تعني الحداثة تساؤلا جذريا يستكشف اللغة الشعرية ويستقصيها وافتتاح أفاق تجريبية جديدة في الممارسة الكتابية وابتكار طرق للتعبير تكون في مستوى هذا التساؤل وشرط هذا كله صدوره عن نظرة شخصية فريدة للإنسان والكون"[3].

فالتجديد هو نوع من المعرفة التي لها قوانينها الخاصة، في معزل عن قوانين العلم إنه إحساس شامل بحضورنا، وهو دعوة لوضع معنى الظواهر من جديد موضع البحث والتساؤل.

وقد عرف جبرا إبراهيم جبرا الحداثة بقوله: "هي أن تجد الطريق لكي تكون مساهما فاعلا في حضارة هذا القرن لذلك فأنت مطالب بالتمرد، ومطالب بأن يكون في تمردك ما يستمد بعض حيويته من جذورك، وتضيف إليه من أصالتك المتجهة نحو زمانك فتصبح

1. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، (د.ط)، (د.ت)، مادة (جدد)، ص 351.
2. أدونيس، النص القرآني وأفاق الكتابة، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص 96.
3. محمد لطفي اليوسفي، البيانات، دار سراس للنشر، تونس، ط1، 1993، ص ص 31- 32.

جزءا فاعلا في عصرك، جزءا غير منقطع عن ماضيك، ولكنه جزء لا يكرر ماضيك ويحفزه التحرر حتى من حاضرك"[1].

فالتجديد إذن هو المغايرة والخروج عن النمطية والمألوف أي أنه يشكل ثورة كاملة وانقلابا شاملا على كل ما كان وما هو كائن في المجتمع.والحداثة من منظور محمد بنيس هي: "نمط حياة وتصوير مجتمع وثقافة تقنية تكتسح الإنسان والطبيعة"[2]. بمعنى أنها أنموذج يحاكي معيشة الإنسان وتفاعلاته مع الطبيعة.

أما شوقي بغدادي فقد عرفها بقوله: "هي النشاط البشري الذي يجسد حركة التغيير وليس بالضرورة أن تتوجه هذه الحركة دائما نحو الأرقى والأفضل إذ كثيرا ما يحدث في التاريخ أن يتم هذا التوجه نحو الأحط والأردأ"[3].

لهذا فليس كل تجديد معناه تغيير نحو الأحسن، فكثيرا من الحوادث والوقائع التي حدثت في العالم عبر مرور العصور، أكدت على أنها كانت كوارث على الإنسانية والعالم ولتقريب الصورة سوف نسوق مثالا عما حدث مع العولمة الأمريكية التي أدت إلى سيطرة القطب الواحد على كل التفاعلات، وتحكمها في كل مجالات الحياة الاجتماعية والثقافية الاقتصادية والعسكرية ... الخ.

فالإنسان هو المسؤول الأول والأخير عن فعل التجديد سواء كان هذا التجديد نحو الأفضل أو نحو الأسوء والأحط. إذن "فكلمة الحداثة تجري مجرى الدال المتعدد الوجهات طبق تعدد صوره اللغوية القائمة في أذهان المستعملين"[4].

1. جبرا إبراهيم جبرا، ينابيع الرؤيا، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، لبنان، (د. ط)، 1979، ص 140.
2. محمد بنيس، سؤال الحداثة، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2014، ص165.
3. شوقي بغدادي، هذه الحداثة؟، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، العدد5، سبتمبر 1996 ص55.
4. عبد السلام المسدي، النقد والحداثة، دار الطليعة للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1983، ص 7.

فالمتمعن في سيرورة الزمن يجد أنه هناك جديدا يولد كل يوم وباستمرار دائم، كما أنه يحمل معاني عديدة ومتنوعة يحددها المجال الذي نود معرفة معنى الحداثة فيه وهكذا نجد بأنّ الحداثة (التجديد): "هي حركة تغيير تصيب اللغة فتقضي بعدولها عن المعيار المألوف وكسرها للنظم الرتيبة التي تحكمها وكأنها تصنع لنا لغة تتعمد الخطأ بغية الوصول إلى التفرد والتميز"[1].

هذا يعني أنّ التجديد ثورة على ما هو كائن أو موجود بغية تغييره واستحداث معايير ونظم جديدة ترقى به إلى الريادة.

1. نادية بوذراع، الحداثة في الشعرية العربية المعاصرة بين الشعراء والنقاد– عبد الوهاب البياتي محي الدين صبحي أنموذجا–، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2007 . 2008، ص 23.

ثالثا: التقليد والتجديد ومظاهرهما في الشعر العربي.

1 . التقليد في الشعر العربي:

كان الشعر قديما يتمتع بأهمية كبيرة وشهرة واسعة، وذلك لكونه سجل حافل بالمفاخر والمآثر والقيم، فضلا عما يضم بين جوانحه من لمحات، تكشف لنا الكثير من جوانب الحياة في جميع أصعدتها المختلفة، واستطاع الشعراء تكوين صور كثيرة لحياة العرب، بفضل براعتهم وموهبتهم النادرة والفذة في هذا الميدان الفسيح.

وقد اقتفى الشعراء المحدثون أثار القدامى في نظم قصائدهم، لتأثرهم الكبير بما كتبه أولئك الأفذاذ، وللمكانة المرموقة التي حضي بها الشعر العربي القديم في الأوساط الأدبية الحديثة، فقاموا بالنسج على منوالهم،ومحاكاتهم شكلا ومضمونا لأن كل من الشكل والمضمون يعتبر الدعامة الأساسية لأي قصيدة من القصائد، فكل منها مكمل للآخر، كما أنّ للمضمون أهمية كبيرة في جمال الشكل؛ وعلى هذا فإنّ أي اختلال في أحدهما قد يؤدي إلى قصور القصيدة شعريا، والحفاظ عليهما ومراعاتهما يكفل إخراج القصيدة على صورة مقبولة شعريا، ثم تأتي الموهبة والبراعة لكي تدخلها في جو الإبداع.

فمن مظاهر التقليد في القصيدة العربية شكلا نجد:

1- **نظم الأشعار على نمط القصيدة العمودية:** أي أنهم كانوا يعتمدون على نظام الشطرين.

2- **اعتماد الشعراء على الوزن والقافية في نظم قصائدهم:** باعتبارهما أساسا للشعر وقواما له، بالإضافة إلى محافظتهم على حرف الروي نفسه من بداية القصيدة إلى نهايتها.

3- **عدم توفر الوحدة العضوية:** أي وحدة البيت، حيث نستطيع التقديم والتأخير والحذف دون اختلال في المعنى.

4- يستمد الشعراء ألفاظهم من القاموس العربي القديم.

5- الصورة السمعية: فالشاعر القديم يعتمد بشكل رئيس على الإيقاع السمعي لكونه مسموعا: "فالشعر قديما كان ينشد في أسواق العرب المعروفة، أو عند موارد المياه أو في مجالس القبائل، كما أنّ للأمية وانعدام الكتابة وإمكان الذاكرة أن تستوعبه وتحفظه أثر بالغ في هذه الصورة السمعية"[1].

6- الموسيقى الشعرية: وهي نوعان؛ موسيقى داخلية وموسيقى خارجية، فنجد بأنها كانت مبتذلة ورتيبة.

7- استهلال القصيدة بمقدمة طللية أو نسيب أو غزل أو مشاهد طبيعية [2]، أو افتتاحها بمناجاة الصحب والأهل والأحباب.

8- التطريب والتغني بالقصيدة: فبإمكاننا أن نجعل من هذه الأشعار أغاني وأناشيد نتغنى ونطرب لها.

أما التقليد في القصيدة العربية من ناحية المضمون فتضمن:

1- الصورة الشعرية: والتي تعد ركيزة أساسية من ركائز العمل الأدبي؛ فهي طريقة المبدع في صياغة أعماله الفنية، كما تعد "الجوهر الثابت والدائم في الشعر"[3].

كما أنها بمثابة المرآة العاكسة لشخصية الأديب، فهي ليست "شيئا جديدا فإنّ الشعر قائم على الصورة منذ أن وُجد حتى اليوم"[4]. فالأديب الذي لا يقيم شعره على الصورة ستغيب عن أعماله ميزات الإبداع.

---

1. صاحب خليل إبراهيم، الصورة السمعية في الشعر العربي قبل الإسلام . دراسة . اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا (د. ط)، 2000، ص 13.
2. شوقي ضيف، في التراث والشعر واللغة، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د. ط)، (د. ت)، ص 111.
3. جابر عصفور،الصورة الفنية في التراث والنقد البلاغي، دار المعارف، القاهرة، مصر،(د. ط)، 1980، ص 05.
4. إحسان عباس، فن الشعر، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط2، 1995، ص 230.

2- الأدوات التعبيرية: وتشمل المفردات والعبارات والمعاني؛ فالمفردات تكون من المعجم القديم، والعبارات رصينة، والمعاني والصياغات واضحة القصد، مستقيمة بعيدة عن التعمق.

3- غياب الموضوعية: فنجد بأنّ القصيدة في القديم "لا تنتظم موضوعا واحدا في الأعم والأغلب، وإنما كان يزف فيها الشاعر ما اختلج في أعماقه وما وقع عليه حسه"[1].

4- الأغراض الشعرية: من الأغراض الشعرية التي كان ينظم حولها الشعراء القدامى قصائدهم نجد: المدح، الهجاء، الرثاء، الغزل، الإخوانيات، الوصف، الحكمة، الحماسة والفخر وغيرها.

5- اقتفاء آثار الشعراء القدامى في عرضهم لأفكارهم: فنجد بأنّ جل الشعراء ينظمون قصائدهم بطريقة واحدة وبالأسلوب نفسه، لأنّ طريقة تفكيرهم واحدة.

6- الصياغة الشعرية: فالشعراء يستخدمون في نظم قصائدهم اللغة العربية الفصحى السليمة الخالية من جميع العيوب والأغلاط، وهذا هو ديدن شعراء العرب.

7- السياق الشعري: فنجد بأنّ الشعراء يكتبون على شاكلة الشعراء التقليديين بصوت منفرد منكفئ على الذات[2].

8- كثرة الصور البيانية والمحسنات البديعية: أي الاهتمام بالمبنى أكثر من المعنى.

9- الخيال: وهو عنصر من العناصر الرئيسية في الشعر، وأساس متين من أسسه التي تعمل على إثارة العواطف، كما أنه وسيلة الأديب أو الشاعر في نقل مشاعره وتجسيم عواطفه ومعانيه.

1- محروس منشاوي الجالي، منتخبات من الأدب العربي الحديث - دراسة فنية-، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، (د. ط) 1987، ص 19.

2- رجاء محمد عودة، قراءة في بنية القصيدة المدحية، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، العدد 86، أوت 2002، ص 93.

10- الاقتباس والتضمين: لقد شاع الاقتباس والتضمين كثيرا في قصائد الشعراء العرب المقلدين، فنجد أنهم اقتبسوا وضمنوا أشعارهم كثيرا من معاني القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وكذلك من أشعار العرب القدامى، لنقل أفكارهم وتوصيلها إلى الجمهور المتلقي.

2 . التجديد في الشعر العربي:

كما تغيرت البنى العربية اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وثقافيا، حين أخذ العرب يعيشون في مناخ حضاري جديد، فإنه كان لا بد أن تتغير البنية الأدبية أيضا، وهكذا انطلق التجديد في الشعر من التغيرات الطارئة على البيئة، سواء كانت في الشكل أو في المضمون أو في تطور المدارك المعرفية للفنان المبدع عبر التراكم الزمني الطويل.

"فالتجديد في الشعر هو عملية معقدة ومتشعبة ولها أكثر من بعد واحد، بالإضافة إلى أنها ككل عمليات الحمل والولادة خاضعة لعوامل الزمن والتهيؤ"[1].

ومن أبرز التغيرات التي طرأت على القصيدة العربية شكلا نجد:

1- تغير الشكل الشعري العربي وانتقاله من عمود الشعر إلى قصيدة الشعر الحر: أي أنهم أسقطوا فكرة الشطر، فتحولت منظومته إلى سطور متلاحقة، تطول حتى تصبح تسع تفعيلات، وتقصر حتى تصبح تفعيلة واحدة من غير نظام موسيقي[2].

2- التنويع في الأوزان والقوافي وحرف الروي.

3- توفر الوحدة العضوية: أي أنه لا نستطيع أن ننقص منه سطرا أو سطرين أو سطورا لنرددها أو ننشدها.

4- التجديد في المعجم الشعري: بحيث يكون موائما وملائما لمواقف الشاعر، فنجد بأنه تغلب عليه المصطلحات الحديثة، التي تعد وليدة العصر وصدى البيئة.

1. عبد العزيز لمقالح، الشعر بين الرؤيا والتشكيل، دار طلاس للترجمة والنشر، دمشق، لبنان، ط2، 1985، ص 157.
2. شوقي ضيف، في التراث والشعر واللغة، مرجع سابق، ص 216.

5 – الصورة البصرية: حيث انتقل الشعر من صورته السمعية إلى الصورة البصرية بسبب الدعوات المختلفة إلى الشعر المهموس والمكتوب، وما رافق ذلك من ظهور المطابع وانتشارها وظهور المذاهب الأدبية المتعددة[1].

6– التجديد في الموسيقى الشعرية: وهي نوعان؛ داخلية تزيد من التناغم الموسيقي للنص محاولة المزاوجة بين الشكل والمضمون لتوصيل الرسالة الشعرية بطريقة جذابة إلى المتلقي وخارجية تتداعى تبعا لطبيعة التجربة الشعورية[2].

7– الانزياح في الشعر؛ أي الغرابة: وهو الخروج عن المألوف والشذوذ عن القاعدة فالشعر الحديث خارج عن القانون، لأنه يضع قوانينه بنفسه،ولأنه متمرد على التقاليد والسنن السابقة[3].

8– تعارض نزعة التطريب والتغني بالشعر الحر: وكيف يتغنى شخص بشيء منه وسطوره تتوالى وكأنه مقالة يقرؤها القارئ دون توقف[4].

أما التغيرات التي طرأت على القصيدة العربية من ناحية المضمون فنجد:

1– تجلي التجديد في الصورة الشعرية حيث تناولت: "موضوع الأخيلة والصور التي اعتبرتها أهمية عظمى للتعبير عن المشاعر المتضمنة التجارب النفسية عبر قنوات الصراع الداخلي التي تعاني منه الذات المبدعة، وهي نظرة تختلف عن نظرة البلاغيين القدامى الذين تعاملوا مع الخيال في إطار الإدراك الحسي والتصوير المجازي"[5].

1. صاحب خليل إبراهيم، الصورة السمعية في الشعر العربي قبل الإسلام، مرجع سابق، ص 175.
2. رجاء محمد عودة، قراءة في بنية القصيدة المدحية، مرجع سابق، ص 9.
3. محمد عمران، أفق على الحداثة، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، العدد 291، مارس 1995، ص 54.
4. شوقي ضيف، في التراث والشعر واللغة، مرجع سابق، ص219.
5. عبد القادر فيدوح، الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، (د. ط)، 1992 ص 378.

2- التجديد في الأدوات التعبيرية وتشمل: المفردات، والعبارات، والحقول الدلالية فالمفردات تتجاوز دلالتها المعجمية لتصل إلى دلالات إيحائية، العبارات وهي الرابط بين الحقول الدلالية من جهة والمعبرة عن التجارب الإنسانية والصراعات والمتغيرات من جهة ثانية والحقول الدلالية التي تتنوع وتختلف باختلاف الحالات النفسية المتعاقبة على الشاعر[1].

3- توفر الوحدة الموضوعية: أي أنّ القصيدة تعالج موضوعا واحدا من بدايتها إلى نهايتها.

4- التجديد في الأغراض الشعرية: لقد اختلفت أغراض الشعر الحديث عما كانت عليه في القديم، نظرا للتطور الحاصل في شتى الميادين، فقد ظهرت مضامين جديدة ومتنوعة حسب مقتضيات العصر منها: الشعر الوطني . الشعر القومي . الشعر الاجتماعي[2].

5- التجديد في الفكر: وهو لا يعني التمشدق بالمصطلحات الحديثة، إنه بالأحرى تغيير عام في المقاييس الذهنية التي يجري عليها المرء في تفكيره[3].

6- التجديد في الصياغة الشعرية: فقد عمد بعض أنصار الشعر الحر إلى اختيار بعض ألفاظهم من لغة الحياة اليومية، وأصروا إصرارا على أنه لا بأس من استخدام بعض الألفاظ العامية أحيانا، ما دامت أكثر دلالة على ما يريد الشاعر نقله إلى الجماهير[4].

7- التجديد في السياق الشعري: أي تبني الشعراء لفكرة الالتزام، بحيث يتفرغون لقضايا وطنهم ويكرسون شعرهم لخدمة مجتمعهم، متخلين بذلك عن قضاياهم الذاتية ومضحين

1. رجاء محمد عودة، قراءة في بنية القصيدة المدحية، مرجع سابق، ص 6.
2. شوقي بغدادي، تحولات في بنية القصيدة العربية، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، العدد 335، مارس 1999، ص 05.
3. على الوردي، مهزلة العقل البشري محاولة جديدة في نقد المنطق القديم لا تخلو من سفسطه، دار كوفان للنشر، توزيع دار كنوز الأدبية، بيروت، لبنان، ط2، 1994، ص 09.
4. شوقي ضيف، في التراث والشعر واللغة، مرجع سابق، ص 216.

بمشاعرهم الشخصية، "فالالتزام هو الجانب الايجابي من علاقة متبادلة بين الشاعر والمجتمع"[1].

8- توظيف الرمز والقناع: فهما وسيلة فنية لجأ إليها الشعراء للتعبير عن تجارب تتصل في الأغلب بالواقع السياسي، وقد استخدمهما في إغناء القصيدة العربية وتطويرها، لأنّ الشاعر العربي اتخذ منهما وسيلة تعبيرية في بناء القصيدة الحديثة[2].

9- استلهام الأسطورة: هو من أبرز وجوه التغيير التي طرأت على الشعر العربي سواء منها ذات الأصول العربية القديمة، أو تلك التي تنتمي للمواريث الثقافية الأخرى، فقد وجد الشعر العربي أنّ استلهام الأسطورة يساعده على شحن قصيدته بطاقات تعبيرية وأبعاد دلالية لا تتيسر لها دون هذا الاستلهام[3].

10- الغموض في الشعر: هو سمة من سمات الحداثة والتجديد، ذلك أنّ اللغة تتخلى عن وظيفتها القديمة المألوفة وظيفة النقل والتوصيل، فهي لم تعد حاملة للمعاني بل للإشارات هي تلقى على شكل تعازيم أو رموز إشارية أو أصوات، واللغة ما عادت تتكلم بل تقدم إشارات (...)، وعلى المتلقي أن يلتقطها وإلاّ غابت عنه القصيدة[4].

1. إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 160.
2. خالد عمر يسير، الدوافع إلى القناع في الشعر العربي المعاصر، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق سوريا، العدد 340، شهر أوت 1999، ص 55.
3. عبد النبي أصطيف، المؤثرات الأجنبية في الشعر العربي المعاصر، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب دمشق، سوريا، العدد 305، سبتمبر 1996، ص22.
4. محمد عمران، أفق على الحداثة، مرجع سابق، ص 63.

تمهيد:

إنّ عودة الشاعر العربي إلى تراثه وإلى التراث الإنساني، هو بمثابة العودة إلى الينابيع، إلى مهد الطفولة البشرية في عهودها الأولى، مما يشعر بنوع من الحنين إلى عصور الفطرة والبراءة "وقد أخذ الشاعر الجزائري بمبدأ العودة إلى الموروث اللغوي للاستفادة منه في بناء نصوصه الشعرية، ولإحداث التواصل مع القارئ الذي يشترك معه في الأرضية اللغوية، فالموروث الشعري أساس الشعر الحديث والمعاصر، وهو الخلفية الأساسية للكثير من النصوص، والرجوع إليه رجوع إلى الأصل"[1]. فنجد بأنّ النزعة المحافظة والتقليد هي التي دفعت بشعراء الجزائر، ومن بينهم محمد العيد آل خليفة في مرحة من المراحل الإصلاحية، إلى انتهاج نهج القصيدة التقليدية القديمة فظهر تعلقه بمتن العمود الشعري بصفة جلية في الصناعة الشعرية، سواء في طبيعة العبارة أو موقفه من صياغتها، "والواقع أننا لو اختبرنا شعره لوجدنا أكثره من الشعر التقليدي ولاسيما من حيث الصورة وطرق التعبير، فتمسكه بالقافية والتصريع والاقتباس والتضمين والتلغيز وتصيد الحكمة والمثل والبديع اللفظي وطريقة تناول الموضوعات .. كل هذه وغيرها جعلت شعره أقرب ما يكون إلى الشعر التعليمي الغارق في التقليد. وإذا تجاوزنا هذا إلى الأغراض نفسها لوجدناها جميعا تقريبا من الأغراض القديمة التي نظم فيها الشعراء العرب على اختلاف عصورهم"[2].

1. محمد الصالح خرفي، الشاعر الجزائري المعاصر والموروث الشعري العربي القديم، الملتقى الوطني الأول حول: التراث العربي وجديد القراءات النقدية، 09 . 10 ماي 2011، المركز الجامعي برج بوعريريج، الجزائر، ص 134.
2. أبو القاسم سعد الله، شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، مرجع سابق، ص 235.

المبحث الأول: الأغراض الشعرية:

لقد تعددت الأغراض الشعرية التي نظم على منوالها محمد العيد آل خليفة قصائده وتنوعت بتنوع مواضيعها، فنجد: الوصف، والمدح، والرثاء، والغزل، والإخوانيات، واللزوميات وغيرها.

1/ . الوصف:

الوصف هو عمود الشعر الجاهلي، وركيزته الأساسية، وأهم غرض من أغراضه فالشعراء عندما تدفقت ألسنتهم بقول الشعر وأفعمت به قرائحهم، تدافقوا واصفين شعورهم ووجدانهم، وما يحيط بهم من أشياء ساكنة أو متحركة.

والوصف عند الشاعر الجاهلي كان عدته في تصوير ما يدور حوله، فكانت حدقته المبصرة تدور فيما حوله فتصوره وتنقله كما يراه ويحسه[1].

فوصف الشعراء الجاهليون السفوح، والجبال، والنجود، والقصور، والمرابع، والقدران والمطر، والسحاب، ووصفوا الدور، والقصور، والبساتين، والرياض، والمياه، ووصفوا ما يتصل بحياتهم الاجتماعية، وصوروا مجالس أنسهم وسمرهم، ووصفوا ما يشربون وما استجد في عصرهم وبيئتهم من مخترعات ومستحدثات[2].

ومما لا شك فيه أنّ شعراء الجزائر قد هاموا بالطبيعة أيضا، وجعلوها متنفسا لهم فتفننوا في وصف مناظرها، وأبدعوا في التفنن بها، ومحمد العيد آل خليفة من أولئك الشعراء

1. سليمان محمد سليمان، المحاكاة في الشعر الجاهلي بين التقليد والإبداع، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية مصر، ط1، 2005، ص 225.

2. دلال الشريف شاكر العبدلي، مظاهر التجديد في شعر العواد، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، السنة الجامعية 1982 . 1983، ص 51.

الذين سحرتهم الطبيعة بجمالها، وجذبتهم بروعتها، فوصف البحر، والجبل والريف، والطلل ... وغيرها.

يقول محمد العيد آل خليفة في قصيدة "الصحو"[1].

وأرى الثلج ذاب إلاَّ بقيَّا ... ت بها الدورُ تُوِّجت فهي بُلق
خالعاتٍ على الرُّبى حُلَلًا بِيـ ... ـضًا بدتْ تحتها غلائلُ زُرْق
وإذا الأرضُ كالسماء رُوَاءً ... ليس بين السَّماء والأَرض فرْق
فكأنَّ الثلوجَ فى الأرض غيْمٌ ... وكأنَّ الرياض فى الأَرض أفْق

في هذه القصيدة يصف لنا محمد العيد منظر الثلج الذي هطل على الجزائر العاصمة بعد طول انقطاع وعند بدأ انقشاع الثلوج من شوارعها حرك ذلك مشاعر محمد العيد فنظم هذه الأبيات.

كما ترك الريف وجماله أثرا بالغا في نفسية محمد العيد، فنظم قصيدة رائعة يتغنى فيها بمناظره ويصف روعته ومباهجه يقول[2]:

حيَّتك في البَدْوِ كلُّ الكائنات به ... الريحُ عازفةٌ والروْض صفَّاق
والحقْل محتفلُ الأَشجار من طرَب ... تَشِدو وتَهفو به وُرْقٌ وأوراق
والنهرُ في جنَبات السَّفح منبَسطٌ ... والماء في جَنبات النَّهر رَقْراق
وفي الكروم عناقيدٌ تحفُّ بهَا ... كأنها في نُحور الغِيد أطواق
وفي المزارع قِطعانٌ منوَّعَة ... ضأنٌ ومعْز وأبقار وأنياق

في هذه الأبيات كذلك يظهر لنا الشاعر مدى روعة الريف وجماله، بكل ما يحويه من رياح وحقول وأنهار، وكروم ومزارع وأشجار.

1. محمد العيد، الديوان، ص 25.
2. محمد العيد، الديوان، ص 56.

أما قصيدته "يا بحر" فيقول واصفا شدة إعجابه به معددا مزاياه[1]:

حاولت حَصرَكَ وصفا ... فلم أطق لك حصرا
يا بحر أنت أنيسي ... إن ضقتُ بالهم صدرا
حسبي جوارك إني ... أرى جوارك ذُخرا
أطريتُ حسنك مدحا ... يا بحر والحسنُ يُطرى
أغريتَني بكَ حسنا ... فلم أزل بك مغرى

من الأبيات السابقة يتضح بأنّ للبحر مكانة خاصة في نفس الشاعر محمد العيد، فقد نظم قصيدة مطولة يصف فيها البحر الأبيض المتوسط، بكل ما فيه من مناظر أخاذة سالبة للعقول، تضفي على النفس بهجة وأنسا وانشراحا، وكل ما يتمتع به من مزايا.

كما يقول في وصف آثار تيمقاد[2]:

طَرائقها بالصَّخر رُصَّت ودُورها ... فما آنقضَّ منها غيرُ دُور قلائل
مبانٍ كأمثال الجبال شماخة ... تروع النُهى بالذكريات الجلائل
فمسرَحُها ذكرى لإبداع فنِّها ... وساحتُها ذكرى لعَرْض المسائل

فالشاعر في هذه الأبيات يصف خرائب وأطلال المدينة الرومانية تيمقاد، التي بقيت شاهدة على مرور الجزائر بحقبة زمنية متطورة، عرفت ازدهارا عمرانيا لا نظير له من مباني، ومسارح، وأسوار ذات إبداع فني راقي ، يوحي بخيال متقد خصب، بالإضافة إلى مختلف النحوت والفسيفساء التي صورت لنا الجانب المشرق لماضي المدينة وسكانها.

ولما كانت الطبيعة مصدرا لإلهامه ومنبعا لتدفقات شعره، فإنه لا يفتأ يحاورها ويناجيها، فنجده يناجي جبل بومنقوش قائلا[3]:

1. محمد العيد، الديوان، ص 63.
2. محمد العيد، الديوان، ص ص 318 . 319.
3. محمد العيد، الديوان، ص 425.

أبا المنقوش هل تدري بحالي فأنت اليوم جاري في الجبال
يعيش الحرُّ مثلك وهو حرّ يلاقي كل عصف وهو عالي
اراك تطاول الأَحداث رأسا وتصمد في شموخ واعتدال
كأنك قائد لغزَاة فتح ترابط مستعدا للقتال
تلقِّنهم بصخرك درس صبر وتحفزهم ببأسك للنضال

فمحمد العيد يخاطب الجبل والذي هو من الجمادات، على أنه كائن حي يسر له بما في خاطره، ثم يعمد إلى الإشادة بمزاياه، وبأنه رغم توالي العواصف والأحداث عليه على مر السنون، إلاّ أنه ظل شامخا صامدا كأنه قائد عظيم ينتظر الغزاة، ويحفزهم على الجهاد ويعلمهم رباطة الجأش ويبعث في نفوسهم الصبر والشجاعة.

زار محمد العيد دار السينما الناطقة بالعربية يوما، فتحركت مشاعره بعد مشاهدته لفيلم أنشودة الفؤاد فانطلق صوته واصفا لها بقوله[1]:

أنت دنيا ما أنت لوح خيال ما على العلم غايةٌ بمحال
أنت دُنْيا عريضةٌ من بلاد وعبادٍ وأبحرٍ وجبال
بين حالَيْ سعادة وشقاء وزَماني ودَاعة وقتال
في ملاهيكَ جدَّ للعيْن والأذ نِ ضُروب من الرُّؤَى والأمالي
آنَ للذَّوق منك والشَّمِّ واللَّـ ـمسِ نوالٌ فجدْ لها بالنَّوال

فمحمد العيد على عادته في اتخاذ البحر أنيسا، والجبل نجيا، فقد اتخذ هذه المرة من السينما واعظا، فجعل منها دنيا حقيقية بكل ما تحويه من بلاد وعباد، يسيرها العلم على اختلاف حالاتها.

1. محمد العيد، الديوان، ص 24.

كما أنه إنسان ذو نفس طيبة وإحساس مرهف يتأثر بكل ما يراه فكان شعره غذاء الأرواح وشفاء الأنفس الجريحة يواسي هذا ويساند ذاك، يقول في قصيدته "أسطر الكون"[1]:

وأَقرأ من آيِ الشَّقاوة أسطرا ... على صفحات الكون مرتسمات
فسطر عياييلٍ أمضَّهم الطَّوى ... عراة على لفح الأثير حفاة
وسطر أيامى يصطرِخن توجعا ... من البؤس لا يفتَأن مكتئبات
وسطر يتامى مرهقين تكبهم ... على جُرُف البلوى يد العثرات
وسطر شيوخ كالأهلَّة شُيَّب ... وهل شيْبُهم إلا نذير وفاة
وسطر مشائيم غرار أذلة ... يسامون بالارزاء والنكبات

في هذه القصيدة وصف الشاعر الحالة المزرية التي يعيشها الشعب الجزائري بجميع فئاته من أطفال ويتامى وشيوخ وأيامَى وغيرهم، كما يصور حالة البؤس والشقاء والجوع والعراء التي يعيشونها تحت وطأة الاستعمار الغاشم.

جاء في الديوان قصيدة بعنوان: "ميلاد التحرير" وهي مقتطفة من قصيدة مطولة سماها" وحي الثورة والاستقلال" سجل فيها بعض أحداث الثورة الجزائرية وبعض أحداث عهد الاستقلال وبعض الأحداث العربية، يقول محمد العيد في مطلعها[2]:

وطني المُفَدَّى بِالكفاح تحرَّرا ... ومَصيرُه بعدَ النَّجاح تَقرَّرا
فابنُ الجزائر صارَ سيدَ أرْضها ... والغاصبُ المحتَلُّ ولَّى مُدْبرا
بُشْرَى لنَا بحكُومةٍ عربيةٍ ... شَعْبيَّةٍ رَعَتِ البلاَدَ لِتعْمُرَا
قد كان تحْريرُ الجَزائر غَايةً ... مُثْلى لِثَورتنَا وَفَتْحًا اكبرا
أَبْدَى نظامًا للرشادَ مُمهَّدا ... وأقامَ حُكمًا للبلاد مُطوَّرا
وقضَى بتَعْريب الْجَزَائر كُلِّها ... مُستقبحًا تغْرِيبَها مُسْتَنكرا
سوت حكومتُه مشاكل أمنِها ... فاستأمنت شعبًا وعزت عسكرا

1. محمد العيد، الديوان، ص 10.
2. محمد العيد، الديوان، ص 443.

فقد بدأ الشاعر أبياته بوصف وطنه الذي تغنى به كثيرا، ثم ذهب إلى حال ابنها الذي هو الشعب بعدما أخذ حريته، فنلمس أنه هناك علاقة كبيرة بين الشاعر ووطنه.

2 / . المدح:

فالظاهرة المدحية لم تكن غريبة على المجتمع العربي منذ القديم، فنجد الشاهر يشيد في قصائده بما لدى الممدوح من خصال وفضائل ومكارم الأخلاق، يقول شوقي ضيف: "جرت عادة الشعراء منذ العصر الجاهلي على الإشادة بالأشراف، وذوي النباهة ووصف خصالهم بالكرم والحلم والشجاعة والوفاء وحماية الجار، وسوى ذلك وكان لا يعد السيّد فيهم كاملا إلاّ إذا أشاد بنباهته ومآثره غير شاعر، ومضوا على هذه السنة في الإسلام"[1].

ومحمد العيد آل خليفة من الشعراء الذين نظموا قصائد شعر كثيرة في مدح أماكن وشخصيات عديدة جاء في مقدمتها مدحه للرسول صلى الله عليه وسلم حيث يقول[2]:

كريم طبعه سمحٍ ... كمثل الغُصن ميَّاد
من الآثام معصوم ... إلى الطاعاتِ مُنقاد
عن الأَحساب والأنسا ... ب والأَعراض ذَوَّاد
نفَى ما ساد فوقَ الأَر ... ضِ من شِرك والحاد

في هذه الأبيات يمدح الشاعر نبي الله ويشيد بكريم أخلاقه وطيب نسله وحسن تعبده لربه، بدحضه للشرك وذوده عن الإسلام وأهله.

ومدح محمد العيد أيضا صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول[3]:

(سَلْمَان) فاقَ الفُرْسَ أجمعَهُمْ بهِ ... وَ(صُهَيْبٌ) فازَ به على الأَرْوام
وبلاَل سَادَ بِهِ على الأَحباش مَا ... دَوَّى الأَذان بمُطرب الأَنغام

1. شوقي ضيف، العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د. ط)، (د . ت)، ص 215.
2. محمد العيد، الديوان، ص 76.
3. محمد العيد، الديوان، ص ص 214 . 215.

في هذين البيتين يمدح الشاعر سلمان الفارسي الذي علا قدره، وفاق جميع الفرس كما أشاد بعلو شأن صهيب الرومي، وسيادة بلال الحبشي وخلوده في النفوس، وما نالوا هذا الشرف إلاّ بإتباعهم لدين النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وإعلائهم لراية الإسلام.

ويقول الشاعر مادحا للمسلمين[1]:

رضُـــوا أبـدا بـقـسـم الله حـظـا ... وهـل فـي قـسـمـه إلا الـكـمـال
عـلـى الـسـراء شـكـــرانٌ وحـمـد ... وفـي الـضَّـــرَّاء صـبـرٌ واحـتـمـال
فـلـيـس لـهـم عـلـى القـدَر انتقـاد ... ولـيـس لـهـم عـلـى العمـل أتـكـال

فهو يمدح في المسلمين رضائهم بقضاء الله وقدره، وبكل ما قسمه لهم، صابرين متوكلين عليه في أعمالهم.

كما مدح محمد العيد بعض الأعلام والشخصيات التاريخية، يقول مادحا الشيخ محمد البشير الإبراهيمي[2]:

فـأهْـلاً وسـهْـلاً بالـبـشـيـر مـتـوَّجًـا ... بِـتـاج تـحَـلَّـى بـالـنُّـهـى وتـرصَّـعـا
إِمـارةُ عِـرفـانٍ يَـسـوس أمـورَهـــا ... أمـيـرٌ عـلـى دَسْـتِ الـبَـيـانِ تـربَّـعـا
يُـوالـيـه شـعـبٌ للـعروبـة ينتـمِـي ... ويـصْـبُـو كـمـا وَالَـى الـيَـمـانُونُ تُبَّعَا
يُـبـايـعُ قـلْـبـي قبـلَ كَـفِّـيَ عـالـمًـا ... عـلـى الـمـلك أرْبَـى قـدْرُهُ وتـرفَّعـا
تَغذَّى من الـفُصحى بِمَحْضِ لبانِـهـا ... وشـبَّ عـلـى آدابـهـا وتـرَعْـرَعـا
أدْرَك مـن فِـقْـه الـشَّـرِيـعـة سـؤْلَـه ... وأصَّـل فـي شـتَّـى الـعـلـوم وفـرَّعـا
وسـار الـى الـسِّتين يـحْـمِلُ عِبْئَها ... وعِبْءَ الـمَعالـي مَا وَنَـى أو تـزَعْزَعا

1. محمد العيد، الديوان، ص 280.
2. محمد العيد، الديوان، ص 186.

في هذه الأبيات يمدح الشاعر البشير الإبراهيمي مستهلا إياها بالبشر والتهليل به وهو يسوس جمعية العلماء المسلمين كأمير يسوس إمارته، بحسن بيان والتفاف الشعب حوله فهو الفصيح الأديب العالم الفقيه، الذي ارتشف من ينابيع العلم حتى نازع في ذلك كبار العلماء. ويقول في قصيدة "هذه خطوة"[1]:

إرق بالشعر لا عدمت رقيا ... قد عرفناك نابغا عبقريا
قد عرفناك نابغ الفكر حرا ... نابه الذكر مخلصًا وطنيا
قد عرفناك بالجزائر بَرًّا ... يوم أحييت ذكرها الأدبيا
يوم احييت شعرها بعد أن لم ... يكن الشعر في الجزائر شيًّا
كان بالأمس مودع القبر ميِّتًا ... كيف اخرجته من القبر حيا؟!

فهذه القصيدة المدحية ألقاها الشاعر في حفل تكريم الأستاذ الهادي السنوسي بمناسبة طبع كتابه شعراء الجزائر في العصر الحاضر، فنراه يشيد ببراعته ونباغته وعبقريته، ونباهته في النهوض والرقي بالشعر الجزائري، بعدما كان مسفها مهمشا وهذا إن دل فإنما يدل على صدق الرجل ونبله وإخلاصه الوطني.

كما يمدح محمد العيد الأمير عبد القادر الجزائري بقوله[2]:

مضت لك في أرض الجزائر ثورةٌ ... يباهي بها تاريخُنا ويماجد
أغرت على الغازين غارات شدة ... وبأس بحمّلات لها أنت قائد
وخضتَ غمار الحرب للدين ناصرا ... تكابد من ويلاتها ما تكابد
فلقِّيت فيها (ناصر الدين) حلية ... بها في مجال البأس حلاَّك والد
وربَّ مجال للفروسة جُلته ... وتحتك نهد للأوابد صائد
مرقتَ به كالسهم تعلوه واثبا ... فهابك خصم للفروسة ناقد
ورب مقام للتفاوض قمتَه ... وقولك مسموع ورأيك سائد

1. محمد العيد، الديوان، ص 14.
2. محمد العيد، الديوان، ص 507.

في هذه الأبيات مدح الشاعر فيها الأمير، حين أعيد رفاته إلى أرض الوطن، بعدما كان مدفونا في دمشق، فذكر مناقبه وشدة بأسه على المستعمر، وما ألحقه به من خسائر على رغم الويلات والصعوبات التي كابدها.

كما يقول في مدح الشيخ العلامة عبد الحميد بن باديس[1]:

وهو في الزَّحف قائد الْجيل حقًّا ... وهو في الدِّين حُجةُ الإِسلام
وهو واعي الذِّكر الحكيم وداعـ ... ـيه وراعي ما فيه من أَحكام
وهو حامي هَدْي الرسول وناهيـ ... ـك بداع له من الزَّيْغ حامي
كان عبدُ الحميد رائدَ برٍّ ... طيِّبَ القلب راحمًا للأَنام
طاويَ الكشْح عن نزاع البرايا ... صادفا عنه صارفا للوئام
علَويا في العلم نفسًا ودرسا ... عُمَريا في الحُكْم والإِلهام

في هذه الأبيات يمدح محمد العيد الإمام ابن باديس قائد في الحرب، حجة في الدين واعي للقرآن، راعي لأحكامه، يذود عن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم من الزيغ ومن جميل خلقه أنه بر، طيب، رحيم، سمح، يعمد للوئام، كان علوي العلم، عمري الحكم، إصلاحي فذ قلّ نظيره في زمانه.

كما مدح الشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة الرئيس المصري جمال عبد الناصر فقال[2]:

يا فحلَ مصرَ أثرتَ مصرَ وشعبَها ... وأدرتَ دولتها بحِذق ماهر
(فلَسَفْت ثورتَك) الحَكيمة بالحجى ... ورعيْتَ وِجْهتها بطرف ساهر
وأقمتَ بُرهانا عظيمًا باهرًا ... من سَدِّ (أَسْوانَ) العظيم الباهر
وصَمَدتَ كالطَّودِ الأَشمِّ مُرابطا ... فِي (بور سَعيدَ) وخابَ كيدُ الغادر

1. محمد العيد، الديوان، ص 497.
2. محمد العيد، الديوان، ص223.

في هذه الأبيات يمدح الشاعر الرئيس المصري جمال عبد الناصر، ويثني على حسن إدارته لبلاده، وكذا حسن تسييرها، ومشيدا بفكره ورجاحة عقله.

3 / . الرثاء:

هو غرض من الأغراض الشعرية العربية القديمة، يظهر فيه الشاعر الحزن والأسى والحرقة على الميّت، ويتم فيه ذكر محاسن الميت ومآثره "والرثاء لا يتحدد عند نقاده القدامى بما يتضمنه من معاني لأنّ معانيه مشتركة مع المديح، بمثل ما يمدح الممدوح يرثي الميت، والفرق بين المديح والرثاء هو الصيغة اللغوية، حيث توظف في الرثاء صيغة زمن الماضي"[1].

ولمحمد العيد آل خليفة حوالي ستة عشر قصيدة في الرثاء، رثى فيها عدة شخصيات تاريخية وأدبية وغيرها. فنجده يقول في رثاء الطالب الجزائري الذي كان يعيش وضعا مزريا مات على إثره جراء همه وغمه من الحياة البائسة الجائرة التي كان يعيشها[2]:

حياتك كلها مأساةُ حزن ... يَشيب لهول منظَرها الوليد
وموتك يا شهيدَ العدل ذكرىٰ ... مؤثِّرة يلين لها الحديد
وقفتُ عليك أشعاري عظاتٍ ... بما أوْلَىٰ لك الدهرُ العنيد
ونحتُ عليك في ظلم الدياجي ... وهل يُجدي نُوَاحِي أو يفيد؟
وإن تكُ قد قضيتَ العيش بؤسًا ... فعند الله طالعُك السعيد

فقد كانت حياته كلها مأساة ومعاناة بسبب ظلم السلطات الاستعمارية له، وتفضيل صديقه فرانسو عليه لأنه فرنسي الجنسية، بالرغم من أنهما كانا حاصلين على الشهادة نفسها ومتساويين في القدرات العلمية، فيوم دخلا الحياة العملية فرقت العنصرية بينهما، فشق

1. رشيد يحياوي، الشعرية العربية الأنواع والأغراض، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1991، ص 74.
2. محمد العيد، الديوان، ص 450.

فرانسوا طريقه في الترقية الاجتماعية والإدارية، بينما أوصدت الأبواب في وجه رشيد لأنه جزائري، لكنه سوف يلقى الجزاء والثواب عنه خالقه.

كما رثى محمد العيد العالم البحاثة محمد بن أبي شنب بقوله[1]:

هذه نفحةٌ من الشعر هبَّت ... بك (عبد الرحمن) تُوليك شكرا
أو بُكائي على تُراث مضاع ... بِدموع تنهلُّ شفْعا ووترا
أنت ذكَّرتَني بمَن كان فُلكا ... سائرًا يمّخر المعارف مخرا
سارَ في العلم ناشئًا ثم كهْلا ... ثم شيخًا ثم انتهى واستقرا
وقضى تاركا بَنينَ كِراما ... وشبَابًا في العلم يَقْفُوهُ إِثرا

في هذه الأبيات يرثي الشاعر الدكتور محمد بن أبي شنب، الذي قضى حياته في طلب العلم وتعليمه، مجدا في البحث فيه، حتى برع وتألق، فكان بذلك نجما وعلما يحتذى به، ومثالا وقدوة لكل من يريد إتباع نهجه.

" وحين فقد الشرق شاعريه الكبيرين حافظ وشوقي، بكت الجزائر وأقامت المآتم وحفلات التأبين، ووقف الشعراء يندبون حظ الشعر ويُعزون الشرق الحزين"[2]. فكان محمد العيد من الشعراء الذين رثوهما.

يقول في رثائه لشاعر النيل حافظ إبراهيم[3]:

يا ويح مصر خلت (من حافظ) وخلا ... في الهامدين كأن لم يشوها دارا
كأنه لم يَجُدها كالحَيا أدبا ... جمًّا ولم يُروها كالنيل أشعارا
يا موت فاجأت من لو ضِفت ساحتَه ... مهلاً لوفَّاك ترحيبا واكبارا
وطبت نزلا بأخلاق مهذبة ... أذكى بها النورَ للأضياف لاَ النارا

1. محمد العيد، الديوان، ص 453.
2. أبو القاسم سعد الله، شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط5، 2007، ص 202.
3. محمد العيد، الديوان، ص ص 454 . 455.

في هذه الأبيات يندب الشاعر حظ مصر، بفقدانها أحد أعمدة شعرها، فصار إلى اللحد كأنّ لم يكن بين الأحياء، يسقيهم أدبا وشعرا، فالموت نزل بساحة كريم طيب الأخلاق وعاد بنفس شهمة كانت بجنب النيل تتغنى به وتذود عنه.

وفي رثائه لأمير الشعراء أحمد شوقي يقول[1]:

فقد الشعر أبا الشعر (شَوقي) فطغَا الويلُ به والثُّبور
فمساري الهم منهُ غواض ومَجارِي الدمّع منه بُحور
أي بلوىٰ مضَّةِ الوقع فيها وهن الجلد وطاش الصبور
أيها الباكي بمأتَم (شوّقي) أرأيتَ النَّجم كيف يغُور
أرأيتَ الصُّبح كيف يولىٰ أرأيتَ الأَرض كيف تَمور

في هذه القصيدة يرثي محمد العيد أحمد شوقي، الذي علا النواح والبكاء بفقده وجرت لذلك أنهار العبرات، وكدرت القلوب بالجزع والأسى لعظم مصابها، وبذلك فقدت مصر سيفها البتار، فأفل نجمها وتولى صبحها وغابت شمسها.

ويقول في رثائه للأمير خالد الجزائري حفيد الأمير عبد القادر[2]:

اليومَ يا قلبُ فاهْلك تحسُّرا والْتياعا
واليوم يا طرفُ فاذْرف منك الدموعَ تباعا
أبكِ الزعيم المفدَّىٰ أبك الأَميرَ المُطاعا
أبك الكريمَ المرجَّىٰ أبك الغيورَ الشُّجاعا
أبك الجليلَ مزايَا أبكِ الجميل طباعا

1. محمد العيد، الديوان، ص 457.
2. محمد العيد، الديوان، ص 263.

في هذه الأبيات يبكي الشاعر الأمير خالد، والطرف مفجر بالعبرة، والقلب تملؤه الحسرة، على الأمير البطل، والشجاع الغيور على وطنه، ذو الأخلاق السامية والطباع النبيلة والخصال الحميدة، التي هي سمات ورثها عن جده الأمير عبد القادر.

كما رثى محمد العيد صديقه وصاحبه رشيد بطموش بقصيدة يقول في مطلعها[1]:

جوانِحي في ٱلتهابِ ... وأدمُعي في ٱنسكاب
أصبحت ولهانَ مضْنًى ... في لوْعةٍ واكتئاب
مُروَّعًا ليس يدرِي ... غيرُ الإلاه بما بي
الحزن ملْءُ فُؤادي ... والسَّقم مِلءُ اهابي
أوشكتُ أفقد رشدي ... من الأَسَى وصوابي
وا حسْرتِي وبَلائِي ... ونكْبتي وعَذابي

يعبر الشاعر في هذه الأبيات عن عظيم حرقة قلبه، ولوعة فؤاده، واكتئاب نفسه بفقده لصديق عزيز وغال على قلبه، وقريب من نفسه، فلا أحد غير الله يعلم بحاله ويلطف به ويهون عليه هذا المصاب الجلل، لأنه كاد يفقده صوابه من شدة حزنه وأساه.

وفي حفل تأبين الإمام المصلح، ورائد الثقافة العربية محمد البشير الإبراهيمي، ألقى الشاعر محمد العيد قصيدته "أبت النفس أن تراك عديما" حيث يقول فيها[2]:

قُمْ بحق الإخاء وٱرْثِ حَميمًا ... راحلاً مُخْلصَ الوَلاء صَميما
صدَّ عنكَ الذي دَنَا مِنك وُدًّا ... وحنَا عاطفًا عليكَ كريما
صدَّ عنك «البَشير» شَبَّ حَنايا الصَّـ ... ـدرِ نارًا وهدَّها تحطيما
حمَّ موت البشير فاكْتَأبَ الشَّعب ... وأصْغَى إلى النَّعِيِّ كظيما
فُجِعتْ أمَّةُ العُروبة في الهَا ... دِي لمن ظلَّ نهجَها المُستقيما

1. محمد العيد، الديوان، ص 471.
2. محمد العيد، الديوان، ص 488.

وهو بهذا يخاطب الشعب الجزائري بأن يعرف للبشير قدره، فقد كان المخلص الذي صدَّ عنه الرَّزايا عطفا منه وتكرما، كما كان للعروبة هاديا ومقوما، وكان للعلم روضا مستطابا، فأسس المعاهد وخطط التعليم، وبوفاته فقدت الجزائر معلما حكيما، ومرشدا حليما ومصلحا عظيما.

4 / . الغزل:

الغزل فن شعري قديم عرفه الجاهليون منذ أول عهدهم بالشعر، فهو وصف للمحبوبة، وذكر لوعة الحب والاشتياق لها، وتصوير لأثر الهوى الذي تركته في نفسه وكيف صنع به ما صنع. كما يمتاز أسلوب الغزل بجماله وسلاسته وعذوبة ألفاظه ومعانيه. ويكاد الباحثون في الأدب الجزائري الحديث يتفقون على قلة الشعر العاطفي فيه بالنسبة إلى الشعر الوطني والديني، ويفسرون ذلك بعاملين اثنين: المأساة الاستعمارية والتقاليد الاجتماعية، فقد كانت القيود الاستعمارية أقصى من أن تسمح للشاعر بأن يتغنى بعواطفه، أو ينصرف لنوازع ذاته،وأنى يكون له ذلك وشعبه نهب لمخالب القهر والجوع؟ أما التقاليد الاجتماعية فالمعروف عن الشعب الجزائري أنه شديد المحافظة عليها، فلم يتساهل مع الذين يخرجون عليها، حتى ولو كان ذلك بالشكل الأدبي أو الفني، مما جعل الشاعر يبتعد عن التصريح بعواطفه فيعمد إلى إخفائها أو الرمز إليها[1].

ورغم ذلك فإنّ محمد العيد آل خليفة على تدينه وتصوفه نجد أنّ نفسه نفس شفيفة طروب، ترى بعين الجمال، وبصيرة الذائقة لوحات الفن مجسدة في أوجه الحسان وقدود البان والأعين النجل، المجلوة بالكحل، ترفل في وشي الغنج والدلال، وتنثني انثناء الغصن إن مال، فها هو يقول في قصيدة (الشعر العصري في الغزل):

1. شلتاغ عبود شراد، حركة الشعر الحر في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د. ط)، 1985، ص ص 107 . 108.

قضى الله تعذيبي بها قبل تكويني * دعـوها بنيران المحبة تكويني**

فتـاة أتـت (عين الصبية) بكـرة * بكأس من البلور في رخصها اللين**

يلاعب صدغيها النسيم كأنمـا * يلاعب في روض الربا زهر نسرين**

تميس لفرط الـدَّلِّ في خطواتهـا * كغصن النقا ثنته رياً الرياحن** [1]

يقول محمد بن سمينة: "أفادني الشيخ حمزة بوكوشة أنّ الشاعر عاش تجربة خاصة أيام كان طالبا بتونس، وفيها نظم مقطوعاته" قضى الله تعذيبي بها "كما نظم ببسكرة في هذا المجال أيضا قصيدته (غزالة تحنو على غزال)"[2].

غير أنّ الظروف التي كانت تعيشها أمته يومئذ، لم تكن تسمح له ولا لغيره من الشعراء الجزائريين أن يتجرأ على نشر هذا اللون من الشعر على الناس، إن تحركت نفسه إليه في بعض الأحيان وأقدم على نظمه.

وتجدر بنا الإشارة في هذا المقام إلى المساجلة الشعرية التي دارت بين الشعراء الثلاثة: أحمد سحنون، جلول البدوي، ومحمد العيد آل خليفة، في هذا الغرض مشهورة وقد نشرها ابن باديس في الشهاب، وحاول أن يوحي في ذهن المتلقي بأنها كانت رمزية ولم تكن حقيقية، ومع ذلك فقد اتخذ منها خصوم الإصلاح ذريعة للتشهير بحركة الإصلاح والنيل من سمعة رجالها كما فعلت ذلك جريدة الطرقيين (الإخلاص)[3].

يمهد ابن باديس لهذا النص الشعري فيقول: اجتمع الأساتذة البدوي جلول، وأحمد سحنون، ومحمد العيد آل خليفة، في إحدى المنتزهات الجميلة بعاصمة الجزائر، فمرّ أمامهم ما حرك شاعريتهم بالأبيات التالية، وكأنهم خاطبوا في ذلك الشخص المرئي شخصا آخر غير مرئي:

1. باسم بلام، محمد العيد آل خليفة أمير شعراء الجزائر والشمال الإفريقي، مرجع سابق، ص ص 17 . 18.
2. محمد بن سمينة، محمد العيد آل خليفة دراسة تحليلية لحياته، مرجع سابق، الهامش، ص 138.
3. محمد بن سمينة، المرجع نفسه، ص 139.

البدوي جلول: **فتاة مـرت بنـا ذات صبـاح * تثنى كـأنهـا غـصـن الـبـان**

أحمد سحنون: **ثم تولق ومـا رثـت لقلـوب * رشقتـهـا بلحظهـا الفتـان**

محمد العيد: **قربت وصلها القلـوب ولكـن * حال من دونها اختـلاف اللسـان**

البدوي جلول: **ربت الذل داركي أنفسا حيـرى * تعـانـي مـن الضمـا مـا تعـاني**

لفتة ترجـع الحيـاة إلى القلـو * ب وعطفا يعيد ميـت الأمانـي

أحمد سحنون: **وارتشافا من خمـر ريقـك يـك * في ما بنا من لواعـج الأشجـان**

وابتسامـا ينير ظلمة نفـس * عذبت بـالـصـدود والـهـجـران

محمد العيد : **أحسني فالحسان في شرعة ال * آداب أولـى الأنـام بـالإحسـان**

ملـك الحسـن أمـرنا فـأرانا * كيف يبلى الإنسـان بالإنسـان

ونمضي في قراءة هذا الشعر الذي تطربنا موسيقاه، وينشينا بعطوره و يلذنا بعذاباته وتأوهاته، وتهالك صاحبه أمام الحب الجارف لكننا نفيق على الغرض الذي يهدف إليه الشاهر (الحنين)، فندرك أن ذلك الحب وتلك الصبابة لم يكونا سوى تعويض عما فقده الشاعر من حرية في التعبير عن حبه[1].

فنجد مثل هذا الشعر التعويضي في قصيدة: "أين ليلاي" فمحمد العيد عندما يقول[2]:

أيـنَ (لـيْـلايَ) أيُّـنَـهـا ... حِـيـل بـيْـنِـي وبـيْـنَـهَـا

هـل قَـضَـتْ دَيْـن مَـن قـضَـى ... فـي الـمُـحـبِّـيـن ديـنـهـا

أصـلَـتِ الـقـلـبَ نـارَهـا ... وأذاقـتْـه حَـيْـنَـهـا

مـذ تـعـرَّفـت سـرَّهـا ... وتَـعَـشَّـقْـتُ زيْـنـهـا

روَّعـتـنـي بـبـيْـنِـهـا ... لا رَعَـى الله بـيْـنَـهـا

1. أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص 76.

2. محمد العيد، الديوان، ص 41.

فإنه يتغنى بالحرية لكن ألفاظه كلها مستقاة من ألفاظ الغزل بداية باسم "ليلى" أصلت القلب نارها- تعرفت سرها- تعشقت زينها- روعتني ببينها، وذلك تعويضا لما يعانيه من حرمان عاطفي "لأنّ أغلبية الشعراء كانوا من المصلحين وهذا يعني أن يكون الشاعر ورعا له ثقافة دينية وسلفية عتيقة. كما كان يعني التعمم والتجلبب وارتياد المساجد والبعد عن الشبهات وفي معظم الأحيان كان الشعراء مدرسي دين وعربية، ووعاظ منابر وأئمة مساجد وقضاة محاكم (...) وكيف ننتظر من شاعر ذلك ظاهره وهذا باطنه أن يتماجن ويعبث ويتغزل في سعاد أو نهاد"[1] أو ليلى؟

ولهذا نجد الإمام عبد الحميد ابن باديس عندما نشرت القصيدة في الشهاب، ذيّلها بتعليق له، ليبعد عن محمد العيد الاتهامات والشبهات التي أحيطت به، يقول: "فمن هي ليلى شاعرنا يا ترى؟ ليست له قوس ولكن له مروحة فهل يعني هو الآخر مروحته، إنّ محمد العيد الذي يشعر شعور الشعب ويتخيل خيال الشعب. لا تشغله قوس ولا مروحة ولكن لا تفتنه- وهو البلبل الغريد في قفص ... - إلاّ الحرية فهل يوافق على هذا بعض من ينقصهم شيء من السياسة ليفهموا؟"[2].

وقال محمد العيد في قصيدة "يا هزاري"[3]:

إن تكن ولهانَ فيها مُستهاما فاقتَحِمْ معقِلَها الوعْرَ اقْتحاما
أو تُرد منها الْتفاتًا وابتساما فترنَّم بأهازيج الضَّواري
وتهيَّأ للطَّوارِي يا هَزاري!!

في هذه القصيدة أيضا نجد بأنّ ألفاظ الشاعر غزلية: ولهان . مستلهما. التفاتا. ابتساما.

1. أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص 77.
2. محمد العيد، الديوان، الهامش، ص 42.
3. محمد العيد، الديوان، ص50.

فالشعراء كأفراد في المجتمع، وجدوا أنفسهم أمام الأمر الواقع، فتزوجوا كما يتزوج الآخرون، وغضوا عيونهم عن المرأة، وكفوا عن الحديث عنها كبقية المجتمع، واتبعوا التقاليد والعادات[1].

أما في قصيدة "استقلال ليبيا" فيقول[2]:

وَا لَهْفَتَاه عليكِ حسنُك فاتنٌ ... وهواكِ مَمْنوعٌ وَوَصْلُك غال

من كانَ في العُشَّاق بِاسْمِكِ ناطقًا ... فكأنَّما هو ناطقٌ بمحال

قد أحدق الرُّقباء والعُذَّال بي ... ويُحِي من الرُّقباء والعُذَّال

عزَّ اللقاءُ ولستُ منكِ بيائسٍ ... فلعلَّ بعد البَيْن قُرْبَ وِصال

وهنا نجد الشاعر مرة أخرى يستوحي عباراته من الألفاظ الغزلية: والهفتاه عليك حسنك فاتن . هواك ممنوع . وصلك غال . العشاق العذال . عز اللقاء . قرب وصال.

وهو في هذه الأبيات يتخفى وراء قناع الحرية مرة أخرى للترويح عن نفسه، والتنفيس عن آلامه ومكبوتاته، فالشعراء الجزائريون قد استعاضوا عن الغزل بالمرأة غزلا آخر ظنوه يحميهم من سلطة المجتمع وإرهاب الاحتلال[3].

فالمروءة تقضي بأن يبتعد عن ذكر الحبيبة وعن التشبيب بها، فما دامت الأمة تحت ذل الفقر والجهل والعبودية لا يمكن له أن يتذوق الحياة[4].

وكان الشاعر"ينظر إلى عواطفه على أنها غير ذات موضوع، لا يحق لأحد أن يطلع عليها، فهو يعرف مسبقا أنّ المجتمع الذي يعيش فيه يترصده (...) أنه يرفض مثل هذا الشعر (...) وينبذ كل شعر يكون الحب موضوعه بشكل من الأشكال"[5].

1. أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص 76.
2. محمد العيد، الديوان، ص352.
3. أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص 75.
4. الوناس شعباني، تطور الشعر الجزائري منذ سنة 1945 حتى سنة 1980، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر (د . ط)، (د . ت)، ص 65.
5. أبو العيد دودو، كتب وشخصيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د. ط)، 1970، ص 169.

يقول محمد العيد في هذا السياق[1]:

وقائلة علام أبيتَ وصلي ... وعِفتَ لِقَايَ مِن دُون الأَنام
وكمْ حرٍّ كمثلِك حوّل بابي ... قد أستَلمَ الرَّغامَ من الغَرام
فقلت لها أَبتَلِي الأَحرار تَدْري ... تبايُنَهم نفوسًا في المقام
وقلت لها أَعْذِرِي فالبَرُّ بيني ... وبينَك طامِسٌ والبَحْرُ طَامي

لأنّ محمد العيد كان على قناعة تامة بأن حاجة الأمة إلى من يناضل عن أصالتها ويحدوها على طريق الجهاد، وطلب الحياة الكريمة، أكبر من حاجتها إلى من يعزف لها مختلف الألوان الراقصة الحالمة، تلك التي تعطل قواها، وتلهيها عن الاهتمام بما يجري في واقعها[2].

وبهذه الطريقة استطاع الشاعر التخلص من مراقبة المجتمع من جهة، ومن مراقبة المستعمر من جهة ثانية.

5 . الإخوانيات:

وهي عبارة عن قصائد مجاملة يتبادلها الشاعر مع أصدقائه ومعارفه في بعض المواقف والمناسبات. وقد كان لمحمد العيد آل خليفة أصدقاء كثر تربطه بهم علاقات وطيدة، وكانوا يتراسلون ويتواصلون فيما بينهم بواسطة الشعر كلما دعت الحاجة إلى ذلك.

1. محمد العيد، الديوان، ص 385.

2ـ محمد بن سمينة، شخصيات لها تاريخ محمد العيد آل خليفة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1990 ص 66.

جاءت القطعة الشعرية "بين كاتب وشاعر دعاة إبليس" بعد إطلاع محمد العيد آل خليفة على المقالين اللذين كتبهما الأستاذ مصطفى صادق الرافعي بعنوان: "إبليس يعلم" و"دعابة إبليس" فأرسل إليه بأبيات مخاطبا له ومداعبا[1]:

سخرتَ بإبليس في علمه ... وأمعنت كالنَّجم في رَجْمهِ
أهنِّيك أنك في المُنشئين ... ثأرتَ لآدَمَ من خصمه
وأحْذر أن يهمس القارؤون ... وَقَدْ طال كشفُكَ عن ظلمه
دعابةُ ابليس للرَّافعي ... مَخايل دَلَّتْ على وهْمه
ومن هَمْز إبليس همْس الشفاه ... فَلُذْ بالإله وعُذْ باسمه

وفيها مجاملة له بأنه انتقم لآدم من إبليس، وعليه الحذر من همزه، بالاستعادة بالله منه ومن شره.

ولما تعرض أمير الكتاب محمد البشير الإبراهيمي إلى حادث سيارة أنجاه الله منه بأعجوبة نظم فيه محمد العيد قصيدة بهذه المناسبة قال فيها[2]:

فرَّ منك الموت يُخزَى بالمَلامهْ ... وتخطَّاك فأبشرْ بالسَّلامهْ
خاب كيْد الموت فيما حاكَه ... لكَ لم يغنَم به غيْرَ النَّدامهْ

وفي قصيدته "باقة شعر" التي أهداها لصديقيه الطيب العقبي وعباس التركي بعد إطلاق سراحهما من سجن الاحتلال قال[3]:

رعَى الله يومًا فيهِ أفرج عَنكُما ... ولا زالَ في الأيام كالنَّجم يُشرق
ولا زِلتُما رمْزَيْ نَجاةٍ وعِصْمة ... لكل امْرِئ في جانبِ الله دوام
يحييكما اللهُ الكريم ورسلُه ... وكلُّ حنيفٍ بالشهادة ينطق

1. محمد العيد، الديوان، ص 391.
2. محمد العيد، الديوان، ص 369.
3. محمد العيد، الديوان، ص 395.

فالشاعر في هذه القصيدة يحي صديقيه ويباركهما، بأن أنعم الله عليهما بالتفريج عنهما.

وعلق محمد العيد على قطعة نظمها أحد التلاميذ قائلا[1]:

أيها الشاعرُ الذي حذق الشِّعرَ في الصِّغرْ
هكذا الشعرُ يُنتَقى هكذا الشعرُ يُبتكَرْ
ليسَ كالشعر حافزٌ للنُّهى بالغ الأثَرْ

فهذه الأبيات هي عبارة عن ثناء على قطعة نظمها أحد تلاميذ الشاعر عثمان بوقطاية، وألقاها في حفل ختان.

كما كتب الشاعر قطعة شعرية يصف وينوه فيها بجهود الشيخ محمد الصالح الصديق الجزائري، بعدما قرأ مؤلفه "أدباء التحصيل" الذي أهداه إياه فقال[2]:

حلِّلْ فإنَّك باحثٌ منْطيقُ وانقُدْ فإنك بالصَّواب خَليقُ
وانهَجْ لناشئَة الجَزائر مَنهجا حرًّا بأحرار العُقول يَليقُ
واكشف لهم أدبَ العُروبة إنه عنهم خفيٌّ كالسُّهى وسَحيقُ

في هذه المقطوعة يحث محمد العيد صديقه على البحث والتحليل، والنقد والاكتشاف لتعليم الناشئة ما خفي عنهم من آداب العرب.

ولما كان لدى الشاعر نزعة وطنية اجتماعية تتجلى في مدح الصناعات والمصانع متأسفا على أمته أن لا يكون لها مصانع، فنظم في ذلك العديد من القصائد قال في إحداها[3]:

1. محمد العيد، الديوان، ص 401.
2. محمد العيد، الديوان، ص 406.
3. محمد العيد، الديوان، ص 409.

(لإبراهيمَ خير الدّين) فكر يُجِيدُ مِن الصنائع ما يَشاء
تفَوَّق في صنائع نافعات وما أستاذُه إلاَّ الذَّكاء
فنجَّارٌ وحدَّادٌ بحقٍّ وَبنَّاءٌ إذَا لَزِم البِناء

في هذه الأبيات مدح محمد العيد صديقا له، تعلق بالصناعات بموهبة خاصة فيها إلاّ أنّ الدولة الجزائرية لم تنصفه، ولم تقدر موهبته.

كما أرسل محمد العيد بأبيات إلى البشير كاشة قائلا[1]:

هُوَ الفوزُ لا يحظى به غيرُ صابرِ طموح إلى نيل المعالي مُثابرِ
لئن نلتَ فوزًا يا (بشيرُ) فإنني ازفُّ اليك اليوم ازكى البشائر

في هذه الأبيات كذلك يهنئ محمد العيد تلميذه البشير كاشة، وهو أحد أفراد بعثة جمعية العلماء في بغداد بفوزه في الامتحان.

6 / . اللزوميات:

أي لزوم ما لا يلزم، ونعني به التزام حرف بذاته قبل الروي يستمر طول القصيدة أو المقطوعة، فكان الشعراء لا ينظمون معه بقافية واحدة بل بقافيتين، ولا يلتزمون بقيد واحد بل بقيدين، واللزوميات أقرب إلى النظم منها إلى الشعر الوجداني الصادق، أو الوطني الثائر لأنّ قيودها الثقيلة قد حدت من نشاط الذهن، وشلت عاطفة الشاعر عن الحركة والاندفاع وأغلب موضوعات اللزوميات كان في التأمل والحكمة والشكوى وغير ذلك.

ومما نستدل به على تأثر محمد العيد بالقدماء، نظمه في هذا اللون من الشعر لتأثره الكبير بالمعري، الذي قرأ له كثيرا والذي نظم فيه وبرع[2].

1. محمد العيد، الديوان، ص 412.
2. أبو القاسم سعد الله، شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، مرجع سابق، ص 229.

ففي قصيدته "الدنيا" دعوة للتأمل في مصائب الدنيا وفعالها يقول[1]:

أرى دُنيـاك تعفـو كـل عيـن ... بهـا وتجـر للأثـر العفـاءَ
فـلا تطلب صفاء العيش فيها ... أفي الكُدُرات تلتمس الصفاء
ولا يغررْك حِلف من بَنيها ... فلست أرى لأكثرهم وفاء

فقد ألزم الشاعر نفسه حرف الألف قبل الروي وهو الهمزة في القصيدة كلها.

ويقول في تجربته مع الناس[2]:

انستُ بالخلْق حِينًا ... والأنسُ بالخلقِ جِبْت
حتى بلوتُ خبايا ... طباعِهِمْ فاجتنَبْت
ولَّيتُ نحوَكَ وجهي ... وتبتُ يا ربِّ تبت!

فقد ألزم محمد العيد نفسه حرف الباء قبل الروي التاء في كل قصيدة.

ينقل لنا محمد العيد مواقفا من الحياة التي يراها ويعيشها يوميا يقول[3]:

أجَلْتُ في الناس طرفًا ... بالاعتبار قَمِينا
فما وجدتُ قويا ... على الضعيف أمينا
أو مبدأً بالأَماني ... وبالحقوق ضمينا
وما حمدت شِمالا ... ولا حمِدت يمينا

فقد لزم نفسه حرف الياء قبل حرف الروي النون في كل القصيدة. وقال واعظا[4]:

1. محمد العيد، الديوان، ص 362.
2. محمد العيد، الديوان، ص 374.
3. محمد العيد، الديوان، ص 369.
4. محمد العيد، الديوان، ص 372.

الشرُّ والخيرُ في البرايا حظان كالقبح والجمال
فقابل الخيرَ باعتراف وقابل الشَّرَّ باحتمال
كن طاهرا كالمَلاك نفسًا لا تضمر الحقد كالجِمال
ان الفتى مَن سخا بقلب ليس الفتى من سخا بمال

ألزم الشاعر نفسه حرف الألف قبل الروي اللام في القصيدة كلها.

ويقول مخاطبا نفسه ومودعا لشهر الصيام[1]:

يا نفس أزمعَ عنك الصومُ رِحلتَه فودّعِيه يُودِّعْ جَوَّك الكَدَر
ما بال جسمك طول الليل مطَّرحًا كأنما فيه وَهْنٌ أو بهِ خدَر
تهجَّدي في اللَّيالي العشْرِ وارتقِبي في ليلةِ القدْرِ ما يَسخو به القَدَر

ألزم محمد العيد نفسه حرف الدال قبل حرف الروي الراء في المقطوعة كلها.

ويقول محمد العيد مبينا مكانة الحق وأهميته في حياة الإنسان[2]:

الحق ثوبٌ تعالَى الله ناسِجُه
تبَّتْ يدَا كلِّ عاث فيه بالجَلَم
فمُلّ الى الحق في الدنيا تُصب أمَلا
يُنسيكَ ما قد يَشُوبُ الحقَّ من ألم

فقد ألزم نفسه حرف اللام قبل الروي الميم في كل المقطوعة.

كما قال في موقفه من الناس[3]:

1. محمد العيد، الديوان، ص 373.
2. محمد العيد، الديوان، ص 375.
3. محمد العيد، الديوان، ص 377.

الـنـاس لـلـنـاس عيَّـابـون جُلّهُـم اذَا رَأوْا غَـمَـزوا أوْ حـدَّثـوا سَلَـقـوا
قـد اكْـتَـشَـفْـتُ بـأن الـدَّاء قُرْبُـهُمُ فـيـمـا اكـتـفـتُ وأن الـحِمْيَةَ الطَّلَق
لا أمْـنَـحُ الـنـاسَ مـيـثاقِـي ولا ثِقتي وان أحـاطـتْ بـي الأَفْـواجُ والـحِلَق

ألزم الشاعر نفسه حرف اللام قبل الروي القاف في القصيدة كلها.

نظم محمد العيد آل خليفة قطعة شعرية جراء سجن أربعة من جمعية العلماء، بتهمة فتحهم مدارس عربية بدون رخصة يقول فيها[1]:

تـسـاءَلَ الشعبُ في ضيْق وفـي حَرج هـل للمساجيـن من عفوٍ ومن فرج؟
هل للذين بِسجْن «الكدية» أعْتقلوا روحٌ من العفـو صفـو طيـب الأَرَجِ
قـل للـوُلاة دَعوا التَّضييق وأقْـتصدوا فـرُبَّمـا جـرَّنـا التضييـقُ للـمَـرَج

ألزم الشاعر نفسه حرف الراء قبل حرف الروي وهو الجيم في كل المقطوعة.

كما عبر عن موقفه من الإنسان بقوله[2]:

أنـا الـمـرءُ فـي مـثـل خَلْـق الـملاك أنـا الـعـبـدُ فـي صـورة الـعـاهـل
ذُهـلتُ عـن الـمـوت وهـو اليقـيـن ولـسـتُ عـن الـعـيـشِ بـالـذاهـل
حـمـلـت الأمـانـة دون الـسـمَـاوا ت والأرضِ فـيـهـا عـلَـى كـاهِـلـي
لظلمـي وجهْلـي أقتحمْتُ الصِّعـاب فـوَيْـحِـيَ مِـنْ ظـالِـم جـاهـل

التزم محمد العيد حرف الهاء قبل حرف الروي اللام في القصيدة كلها.

1. محمد العيد، الديوان، ص 382.
2. محمد العيد، الديوان، ص ص 385.

المبحث الثاني: الصورة الشعرية:

تسهم الصورة الشعرية في التعبير عن رؤية الشاعر للواقع، فتصور مشاعره وأفكاره وتحمل أصالته، فهي وسيلة الأديب الأولى التي يستعين بها في صياغة تجربته الإبداعية لأنها: "تركيبة عقلية تنتمي في جوهرها إلى عالم الفكرة أكثر من انتمائها إلى عالم الواقع"[1].

فالصورة الشعرية لها وقع خاص لدى المتلقي، لأنها تحرر اللغة من العلاقات العقلية التقليدية التي تربط بين مفرداتها، وتولد علاقات جديدة من شأنها أن تحقق الدهشة، فتكسب بذلك معان جديدة.

أما الصورة الشعرية عند محمد العيد آل خليفة، فمن خلال قراءتنا لديوانه نجد كثرة وتنوع الصور الشعرية التي وظفها، فبيئة الشاعر وطبيعة تكوينه التربوي والديني لها دخل كبير، وتأثير مباشر في تكوين لغته وصورته الشعرية.

كما أنّ للتراث العربي الأصيل بمصادره الفنية، الأثر البالغ في تكوين مادته الشعرية وأول مصدر من هذه المصادر هو:

1 / . القرآن الكريم:

إنّ القرآن الكريم زاخر بالصور الشعرية المعبرة، لدى حاول الشاعر استلهامها للتعبير عن آرائه، والإفصاح عن مشاعره ومكنوناته. وقد استقى محمد العيد آل خليفة صورا كثيرة من قصة سيدنا يوسف عليه السلام، تكشف عن أحاسيسه وتعبر عن مكنوناته منها:عندما تحدث عن شعره في بواكير حياته واصفا روعته وجماله، وكيف أنه كان عاشقا له قال[2]:

وقـافِـيـةٍ أَمـسـت تـمثِّل يوسفـا بِمَـا فيـه من يمـن وحسـن صفـات

1. عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، مكتبة غريب، مصر، القاهرة، ط4، 1977، ص 58.
2. محمد العيد، الديوان، ص 11.

فقد استقى صورته الشعرية من قصة سيدنا يوسف حتى يعبر عن مدى جمال وإبداع شعره حتى ضاهى جمال سيدنا يوسف.

وعبر عن الحالة المأسوية التي يعيشها الشعب الجزائري، من ظلم واضطهاد من طرف المستعمر الغاشم فقال[1]:

وطني الذي همُّوا بِهِ ودليلُه كدليلِ يوسفَ ثوبه المقدود

فاستقى صورته الشعرية من قصة يوسف عليه السلام، وحياة الظلم والجور التي عاشها مع امرأة عزيز مصر، وسجنه ظلما وعدوانا وبهتانا.

كما عبر عن حالة البؤس والشقاء التي أصبح يعانيها الجزائريون، جراء الاستعمار الغاشم بقوله[2]:

فأصبح مغبونا من العيش مرغَما على الهون مرهونا كيوسُفَ في الجب

فاستقى الشاعر صورته الشعرية من القصة نفسها، عندما رمي يوسف عليه السلام من قبل إخوته، وما عاناه في غيابات الجب.

أما عندما اشتدت الأزمة الاقتصادية، وتفشى الفقر والجوع في أوساط الجزائريين عبر عنها محمد العيد بقوله[3]:

رجالَ الشعور أفيضوا البُرور وَقُوا الأَنفُسَ القَسْوةَ القاهره

فشا الجوع واشتدَّ عسر المَعاش وعادتْ سِنُو يُوسُفَ الغابرة

فالشاعر في هذه الأبيات يحث ميسوري الحال على مساعدة وإعانة من أثقل كاهلهم ضيق العيش، فأعادت هذه الصورة إلى ذهن الشاعر صورة السنين السبع الشداد العجاف التي مرت على مصر زمن يوسف عليه السلام.

1. محمد العيد، الديوان، ص 22.
2. محمد العيد، الديوان، ص 248.
3. محمد العيد، الديوان، ص 250.

ويقول في قصيدته "دعاة إلى الحسنى"[1]:

ضـفِ الـجزائـر فيمـا شئت من كرم ولـذْ بـهـا حـرمًـا نـاهِيـكَ من حـرَم
ألَـمَّ ركـبـك فـاهـتـزت لـه وربـت كـالأَرض غبَّ نـزول الـهاطلِ العَمم

ففي البيت الثاني استلهم الشاعر صورته الشعرية من صورة الأرض، في معنى الآية الكريمة في سورة الحج، عندما ينزل المطر عليها، فتهتز وتربو ويزداد نباتها، من زرع وعشب وأشجار وثمار ...الخ.

ويقول الشاعر ممجدا للعلم وحاثاً عليه، لما له من فضل في إحياء العقول والأمم الميتة بظلام الجهل، والمضي بها نحو العلا[2]:

إن في الـعـصـر آيـةً لـبـنـي الـشـرّ قِ ولـكـنـهـمْ عـن الـذكـر حَـادوا
أعـلـن الـصُّـور بـالقِيـامـة فـي الأَر ض وقـامـتْ مـن الـقـبـور الـعِبـاد

فالشاعر هنا استقى صورته الشعرية من صورة نفخ إسرافيل في الصور، وإحياء الموتى من جديد بفضل الله وقدرته.

كما عبر عن الوعود الكاذبة والعهود الخادعة التي قطعها الاستعمار الفرنسي على الشعب الجزائري بقوله[3]:

ومـا وعْـدُهُـمْ الاَّ سَـراب بـقـيـعَـةٍ ومـا عـهْدهـم الإمـداد بـقـرطـاس

فمحمد العيد استلهم صورته الشعرية من سورة النور، عندما يخبرنا الله عز وجل بأنّ أعمال الكافرين ما هي إلاّ سراب بقيعة يحسبه الضمآن ماء.

1. محمد العيد، الديوان، ص 102.
2. محمد العيد، الديوان، ص 118.
3. محمد العيد، الديوان، ص 327.

يذكر الشاعر الشعب الجزائري بجهاده، وكفاحه ضد الاستعمار الفرنسي، ومدى صبره على المحن والشدائد حتى نال حريته، فيقول[1]:

فيأيها الشَّعْبُ «الخليلي» محنَة تَبارَكَ مَنْ أنجاك من لَهَب الجَمْر

فالصورة الشعرية هنا مستقاة من قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام، حينما صبر على ظلم قومه له، فحاولوا حرقه فأنجاه الله تعالى من النار ولهيبها.

يقول محمد العيد في إحياء الذكرى العاشرة للفاتح من نوفمبر[2]:

نوفمبر «هاروتُ» الشهور بعَصْرنا و«مارُوتُها» أبدَى بثورتنا السّحرا

فالشاعر استقى صورته الشعرية من قصة هاروت وماروت مع السحر، واعتبر نوفمبر هو هاروت الشهور وماروتها، لما يملكه من سطوة على قلوب الجزائريين، فكان بالنسبة للثورة التحريرية كالسحر، لما له من تأثير على الناس وامتلاك قلوبهم.

ويقول في رثاء أحمد شوقي مستلهما قصة موسى عليه السلام[3]:

أتت الفصحى فرفّت وزفّتْ مثلما يأتي الطيورَ البكور
وأضاءتْ حولَها فهي نَار والورَى مُوسى وشخصُك طور

وهي صورة مركبة، شبه فيها فصاحة الشاعر أحمد شوقي بالنار التي تضيء ما حولها، والمستمتعين بهذه الفصاحة شبههم بموسى عليه السلام، دلالة على الانبهار وشبه أحمد شوقي بجبل الطور، دلالة على مكانته وعظمته، وهي بالطبع صورة لا تخلو من المبالغة[4].

1. محمد العيد، الديوان، ص 434.
2. محمد العيد، الديوان، ص 438.
3. محمد العيد، الديوان، ص 458.
4. إبراهيم لقان، ملامح المقاومة ضد الاستعمار في شعر محمد العيد آل خليفة (دراسة فنية)، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، السنة الجامعية 2006 . 2007، ص 166.

ويقول في حفل الذكرى الأولى لوفاة فقيد العلم والعلماء، ورائد الثقافة العربية والنهضة الوطنية بالجزائر، الشيخ محمد البشير الإبراهيمي[1]:

هل كنتَ عِيسىٰ الذي أَحيا الرُّفاةَ بها أَحيا وبدَّل آجالاً بآجال
أَم البشير الذي أَلقَىٰ القَميصَ علىٰ يعقوب طِبًّا بنُورٍ للأَسَىٰ جالي

فمحمد العيد استلهم من القرآن الكريم، الدور الذي لعبه البشير الإبراهيمي في مساعدة ومساندة الشعب الجزائري وتعليمه، ومحاولة إخراجه من ظلمات الجهل إلى نور العلم، فشبهه بعيسى عليه السلام الذي يحي الموتى، ويبدل آجالهم بآجال أخرى بإذن الله، وبالبشير الذي جاء ليعقوب بقميص يوسف، فأعاده بصيرا بإذن الله.

2 / . الحديث النبوي الشريف:

يمثل الحديث النبوي الشريف الوافد الثاني الذي استقى منه الشاعر محمد العيد آل خليفة بعض الصور الشعرية بعد القرآن الكريم، ومن أمثلة ذلك: دعوته الشباب إلى التآخي والاجتهاد في نشر دين الله وسنة نبيه وذلك بالسير على هداه، وتقفي آثاره وخطاه وفي ذلك يقول[2]:

يا شباب العلىٰ اعتصم بالتآخي زانك الله في العلي من شباب

فقد استقى الشاعر صورته الشعرية من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: {**يَا بُنَيَّ، إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ لَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لِأَحَدٍ فَافْعَلْ «ثُمَّ قَالَ لِي» : يَا بُنَيَّ وَذَلِكَ مِنْ سُنَّتِي، وَمَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِي فِي الجنة**}[3].

1. محمد العيد، الديوان، ص 502.
2. محمد العيد، الديوان، ص 88.
3. سنن الترميذي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، م4، ط2، 1983، ص 15.

كما قال محمد العيد إثر حادثة اعتقال زميليه الطيب العقبي وعباس التركي، بتهمة اغتيال المفتي ابن دالي محمود كحول[1]:

ان تـكـن نـعـمَـىٰ فـحـمّـد كـثـيـرٌ أو تـكـن بَـلْـوَىٰ فـصْـبـرٌ جـمِـيـل

فنجد بأنه استلهم صورته الشعرية من قوله صلى الله عليه وسلم: { **عَجَبًا لأمرِ المؤمنِ إنَّ أمْرَه كُلَّهُ لهُ خَيرٌ وليسَ ذلكَ لأحَدٍ إلا للمُؤْمنِ إنْ أصَابتهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فكانتْ خَيرًا لهُ وإنْ أصَابتهُ ضَرَّاءُ صَبرَ فكانتْ خَيرًا لهُ** }[2].

وقال إثر افتتاح مدرسة الهدى بمدينة القنطرة[3]:

حـكَـــم هُـــدىٰ الإســـلام تُـــرْ ضِ الله تُـــــرْضِ مُـحَـمّـــــدا
وأقْـفُ الـهُـــداةَ الـــرَّاشـديتـــــ ـــنَ الـرَّكـعـيـــنَ الـسُّـــجَّـــدا

فهذه الصورة مستقاة من قوله صلى الله عليه وسلم: { **أصحابي كالنُّجومِ بأيِّهم اقتدَيتُم اهتدَيتُم** }.

كما يذكر أننا من سلالة واحدة فيقول[4]:

يـا أيـهـا الـنـاسُ أنْتُمْ فـى السَّلالة مِن آب وأمٍّ فـكـونـوا إِخـوة شـرعـا

استلهم الشاعر صورته من قول الرسول صلى الله عليه وسلم:{ **كُلُّكُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَاب، لَيَنْتَهِيَنَّ قَوْمٌ يَفْخَرُونَ بِآبَائِهِمْ أَوْ لَيَكُونَنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجَعْلاَنِ** }[5].

1. محمد العيد، الديوان، ص 131.
2. يحي بن شرقي، رياض الصالحين، دار المدائن العلمية، القاهرة، مصر، ط1، 2003، ص23.
3. محمد العيد، الديوان، ص 184.
4. محمد العيد، الديوان، ص 254.
5. ابن حمزة الحسين، أسباب ورود الحديث الشريف، المكتبة العلمية، ج2،(د . ط) ، (د . ت)، ص 64.

ويقول حاثا على العلم مرغبا في طلبه[1]:

ليس للعلم في الدراسة حدٌّ فاطلُب العلم جاهدًا كُلَّ آن

فهذه الصورة مستقاة من قوله صلى الله عليه وسلم:{ **اطلبوا العِلم من المَهد إلى اللَّحد**}.

ويقول محمد العيد متحدثا عن اليسر الذي يعقب العسر، والفرج الذي يعقب الشدة وأنّ هذه سنة الله في خلقه[2]:

كلَّ يوم لله في الخلق شأن فعساه يُديل بالعسر يسرا

حيث استمد صورته من حديث النبي صلى الله عليه وسلم:{ **وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**}[3].

كما يقول ساخطا على حال فتيات هذا العصر[4]:

في كل مرحلة تزداد ظلمتها في الرأي فاقرأ عليها سورة النور[1]

استقى الشاعر صورته من قول الرسول صلى الله عليه وسلم:{علموهن سورة النور}.

3 / التراث العربي القديم:

بالإضافة إلى تأثر محمد العيد آل خليفة بالقرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة واستلهام بعض صوره الشعرية منهما، نجد تأثره بالأدب العربي كذلك شعره ونثره. فاستلهامه من هذا الأدب يمثل بالنسبة له المعين الذي لا ينضب، والعطاء الذي لا ينتهي، كالتأثر

1. محمد العيد، الديوان، ص 266.
2. محمد العيد، الديوان، ص 453.
3. الحافظ ابن كثير، التفسير، دار الفكر، بيروت، لبنان، ج7، (د.ط)، (د.ت)، ص 273.
4. محمد العيد، الديوان، ص 279.

بالأمثال العربية القديمة التي تدل على سعة ثقافته، وقدرته على توظيفها مما يظهر المهارات الفنية في شعره، والاستفادة من الموروث القديم، ومثال ذلك، ما قاله في نقده للمعجبين بالغرب وحضارتهم وتقدمهم، داعيا للحفاظ على المقومات والأصالة[1]:

قـــال لـــي إنـــه تـقـدُّمُ فـكْـــر قـلـتُ مَـرْعَـىً ولـيـــسَ كَالسَّعْـدان

إن حـفـظ الـمُـقـوِّمـــات حـيـاةٌ كـلّ شـعـب أضـاعَـهـا فـهْـوَ فـانـي

فهذا القول مستلهم من المثل القائل: "مرعي ولا كالسعدان"، الذي يضرب به للشيء المفضل والمخير على أقرانه وأشكاله.

كما يقول في مأساة الثامن ماي 1945[2]:

لَـمْ نَـنْـسَ (مَايُو) لاَ ولا مَـأْسَـاتَـهُ حتَّىً جـبـهـنـا الغاصِبَ الـمتجبـرا

لَـمَّـا ازْدَرىً بـحُقُـوقـنـا مُـتَـصَـلِّبًا فـي كبـره قلنـا لـه (أطْرِقْ كَـرَىً)

أطرق كرى: مثل يضرب لتوبيخ المتكبر، وكرى مرخم كروان وهو طائر معروف.

كما نلحظ تأثر محمد العيد بالشعر العربي القديم، وذلك باستقائه لبعض صوره، وهذا راجع لتأثره بقصائده تأثرا كبيرا فمثلا في قصيدته "أسطر الكون" نجده وهو ابن العشرين من العمر يعيش إحساس بائس في الثمانين أو التسعين من عمره ضجرا من الحياة يقول[3]:

سئمت وإن كـنـت ابن عشرين حجة حـوادثَ لا تـنـفـك مـسـتـعـرات

وهي صورة مستقاة من قول أبي الطيب المتنبي:

سَئِمْتُ تَكالِيفَ الحَياةِ وَمَـنْ يَعِـشْ * ثَمانِيـــنَ حَـوْلًا لا أَبـا لَـكَ يَسْـأَمِ**

1. محمد العيد، الديوان، ص 269.
2. محمد العيد، الديوان، ص 444.
3. محمد العيد، الديوان، ص 11.

ويقول مخاطبا الأستاذ الهادي السنوسي[1]:

أنت أغريتني بحب حياة كدت فيها أقلد المانويا[1]

استلهم الشاعر صورته الشعرية من قول المتنبي:

وَكَمْ لظَلامِ اللّيْلِ عِنْدَكَ مِن يَدٍ * تُخَبِّرُ أنّ المَانَوِيّةَ تَكْذِبُ**

وفي تأثره بأسلوب التراث الإسلامي، نجد ما تأثر به حين راح يفتخر بانتمائه العربي وقدوته تكتمل لهذا الاتجاه دون غيره بالشاعر حسان بن ثابت إذ يقول[2]:

صِل العرَبَ العُرْبَاءَ واحْم لسانهم فإنك من أصلابهم تَتَحَدر
وسرٌ في طريق الراشدين على الهُدى فكلُّ طريق غيرها لكَ مَعثَر
فهمٌ أسوة الخَلْق التي يُهتدى بها وهم صَفوة الله التي لا تكدَّر
وهم مُثُلِى العُليا الذين بفضلهم أَتيهُ على كل الأَنام وأفخر
تدبرْ كتاب الله ان كنت أهلَه فأهلُ كتاب الله من يتدبر

فهي صورة مستقاة من قول حسان بن ثابت الأنصاري وهو يحث المسلمين على إتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ومناصرة دينه:

فِينَا الرسولُ وَفِينَا الحقُّ نَتْبَعُهُ * حَتَّى المماتَ وَنَصْرٌ غيرُ محدودِ**

مُسْتَعصِمينَ بحَبْلٍ غَيْرِ مُنْجَذِمٍ * مستحكمٍ منْ حبالِ اللهِ ممدودِ [3]**

1. محمد العيد، الديوان، ص 15.
2. محمد العيد، الديوان، ص 159 .
3. حسان بن ثابت الأنصاري، محمد العيد، الديوان، شرح، يوسف عيد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1992 ص 84.

ويقول محمد العيد في قصيدته "رعد البشائر"[1]:

وبشِّرْ أخًا يخشَى الوعيدَ بما بِهِ عِلمْنا (جَرِيرًا) قبْلُ بَشَّرَ (مرْبَعَا)[1]

فالشاعر استقى صورته من قول جرير:

زَعَمَ الفَرَزْدَقُ أنْ سيَقتُلُ مَرْبَعاً؛* أبْشِرْ بطُولِ سَلامَةٍ يا مَرْبَعُ**

كما قال مخاطبا الوفد الذي شكل للذهاب إلى باريس، حاملا نسخة من مطالب الأمة الدينية والسياسية والاقتصادية والثقافية[2]:

فكم أمانِيٍّ ظَمْاىٰ أتتْكِ تطلُبُ وِرْدا
أوردتها مثلَ (سَعدٍ) لا بل تجاوزْتِ (سَعْدا)[1]

وهي صورة مستقاة من قول الشاعر:

أوْرَدَهَا سَعْدٌ وسَعْدٌ مُشْتَمِلْ * مَا هكَذَا يا سعدُ تُورَدُ الإبلْ**

وقال محمد العيد ناصحا مرشدا لتلامذته[3]:

واذا أرَادَ الشَّعب نالَ مرادَه ولوَ أنَّه كالنَّجم عزَّ منالا

استلهم صورته الشعرية من بيت أبو القاسم الشابي الذي يقول فيه:

إذا الشّعْبُ يَوْمَاً أرَادَ الْحَيَاةَ * فَلا بُدَّ أنْ يَسْتَجِيبَ القَدَر**

كما قام محمد العيد بتشطير بيتين للشافعي وبيتين آخرين لأحمد شوقي.

1. محمد العيد، الديوان، ص 188.
2. محمد العيد، الديوان، ص 300.
3. محمد العيد، الديوان، ص 340.

في قصيدته "فوض إلى الله" تشطير بيتين للشافعي يقول[1]:

(دع المقادير تجري في اعنّتها) فللمقادير سِرٌّ غامضٌ عالي
فوِّض إلى الله ما يعْرُوك من نُوَب (ولا تبيتَنَّ إلا خاليَ البال)
(ما بين غمضة عين وانتباهتها) يسلو الحزينُ كما قد يحْزَنُ السَّالي
إنْ ساءت الحالُ فارقُبْ أن تطيب فقد (يُحوِّلُ اللهُ من حال إلى حال)

في البيتين الأول والثاني، يقدم لنا الشاعر صورة التوكل على الله، وتفويض كل الأمور له، أما في البيتين الثالث والرابع، فقد قدم لنا صورة عن تغير حال الإنسان وتحوله ما بين لحظة وأخرى، وقد استمد هاتين الصورتين من بيتي الشافعي التي قال فيها:

دَع المقاديرَ تَجري في أَعِنَّتِها * ولا تَبيتَنَّ إلا خالِيَ البالِ**

مَا بين غَمضَةِ عَينٍ وانتباهَتِها * يُغيِّرُ اللهُ مِن حَالٍ إلى حالِ**

ففي هذه القصيدة صورة معنوية، على أن لا يشغل الإنسان تفكيره بأشياء مقدرة من الله تعالى، ولا يبيتنّ إلا خالي البال، وأنه يجب عليه استغلال وقته في أشياء أخرى أما وضعه فإنّ الله كفيل بتغييره دون أن يشعر بذلك، وما عليه إلاّ الدعاء والرجاء، أما العطاء فمن الله وحده، وهذه الصور مشتركة مع صور محمد العيد، لأنها تناولت فكرة مشتركة أي تفويض الأمور إلى الله.

وفي قصيدة معبرة بعنوان" وعظ دقات القلوب "، وفيها تشطير بيتين لأحمد شوقي إذ يقول[2]:

1. محمد العيد، الديوان، ص 276.
2. محمد العيد، الديوان، ص 277.

(دقـات قـلـب الـمـرء قـائـلـة لـه) عـجّـل بـمـا يـبـقـى فـإنـك فـانـي
مـا فـي حـيـاتـك لـلـمـلاهـي فـسـحـةٌ (إن الـحـيـاة دقـائـقٌ وثـوانـي)
(فارفع لـنـفـسـك بـعـد مـوتـك ذكـرَهـا) بـصـنـائـع الـمـعـروف والاحـسـان

يقدم لنا الشاعر في هذه الأبيات صورة عن قصر الحياة، وقلة حظ الإنسان، منها في البيتين الأول والثاني، ليقدم لنا صورة أخرى في البيتين الأخيرين عن ضرورة استغلال الإنسان لها في صالح الأعمال التي تخلد ذكراه، وهاتان الصورتان مستمدتان من أبيات شوقي التي يقول فيها:

دَقّاتُ قَلـبِ المَـرءِ قائِلَـةٌ لَـهُ * إنَّ الحَيـاةَ دَقائِـقٌ وَثَوانـي**

فَارفَع لِنَفسِـكَ بَعـدَ مَوتِـكَ ذِكرَهـا * فَالذِكـرُ لِلإنسـانِ عُمـرٌ ثانـي**

وهي صورة حسية على أنّ الحياة قصيرة الأمد دقائق وثواني، ويجب استغلالها في أنفع الأشياء، ليكن حظ الإنسان منها الذكر بعد الفناء والزوال، بفضل عمله الصالح. فهذه الصور مشتركة مع صور محمد العيد لأنها تناولت فكرة مشتركة ألا وهي الموت والخلود.

كما استلهم محمد العيد آل خليفة بعضا من صوره الشعرية من الأقوال المأثورة ومثال ذلك قوله[1]:

وأعـدَ عـلـى (سـر هغرى) مـا قالـه للأنـجـلـيـز (مـحـمَّـدُ) الـمعْوان[1]
لا يـتـرك الـسـودانُ مصـرَ ولو بَـدا تـركٌ لـه مـن مـصـرَ أوْ هـجـران

فهذه الصورة مستقاة من الكلمة المأثورة للمغفور له المحسن محمد الشريف باشا الكبير، وهي قوله للإنجليز "إذا تركنا السودان فإنّ السودان لا يتركنا".

1. محمد العيد، الديوان، ص 357.

كما يقول في الحادث الذي كاد يودي بحياة الشيخ البشير الإبراهيمي وسلمه الله منه:[1]

أيُّهـــا الـحـاكـــي ابـــا شُـبْـرُمـةٍ اذْ رمـاه الـدَّهْـــرُ بـالـضُّـرِّ ورامـــه
لـيـتـنـي جـئـت كـيـحـيَ عـائـذًا نـــاذرًا عـــتـــقَ غُـــلام وغُـلامـــــه

وهي صورة مستقاة مما حكاه ابن قتيبة في الجزء الثالث من عيون الأخبار ... أنّ القاضي أبا شبرمة سقط عن دابته فوثئت رجله فدخل عليه يحي بن نوفل وأنشده أبياتا من الشعر.

1. محمد العيد، الديوان، ص 396.

المبحث الثالث: اللغة.

يولي الدارسون أهمية كبيرة باللغة نظرا لمكانتها في العمل الأدبي، إذ أنها العنصر الأول في كل عمل فني يستخدم الكلمة أداة للتعبير، كما أنّ لها دورا أساسيا في الحكم على الشعر إيجابا أو سلبا، واللغة الشعرية "مجموعة من الكلمات والرموز يجمعها الشاعر والذي تسلم له اللغة أسرارها بمنتهى العناية لينقل صورا وحالات نفسية تثير انفعالات شعورية، وهذه الصور هي قوام الشعر"[1].

واللغة الشعرية تكسب جمالياتها من استخدام الشاعر لمعجمه اللغوي، وتوظيفه لما يلائم الموقف والحدث. فالمتصفح لديوان آل خليفة يدرك أنّ معجمه الشعري تمثلته جملة من الحقول اللفظية بداية بـ:

1 . حقل الألفاظ المستقاة من الطبيعة:

لقد ترددت الألفاظ والكلمات المستقاة من الطبيعة في شعر محمد العيد، كالليل والصباح، والفجر، والبحر، والرعد، والبرق وغيرها، فها هو يقول في قصيدة "يا دار" معددا ما تحتويه من أضداد[2]:

والـليلَ والـصَّبْحُ والانسَانَ عندَهـما ... نـعْـسـانَ مستيـقِـظ والـمـاءُ والـنـار

والأنجُم الـزُّهـر: هـذا الـنَّجم مرتَفِعٌ ... زَاهي الضيـاء وهـذا الـنجـمُ مُـنهـار

تبدُو على الأُفقِ أَشْتـاتًـا ويـجمَعُهـا ... فِـي سـيْـرها فـلَـكٌ فـي الأُفْـق دَوَّار

قـد قِـيـل فـي كَـوْكَبِ الـمَرِّيخِ أبنيَةٌ ... مـشـيـــدَّاتٌ وجـنَّـــاتٌ وأَنـهـــار

وقـيـلَ فـي الـبـحـر آكـامٌ وأَوْديَـــةٌ ... كـمـا عـلَـى الـبَـرِّ أنـجـــادٌ وأغْـوار

1- عبد المجيد زراقط، الحداثة في النقد الأدبي المعاصر، دار الحرف العربي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د. ط) 1991، ص 257.

2. محمد العيد، الديوان، ص 07.

فنجده في هذه القصيدة يوظف عديد الألفاظ المستقاة من الطبيعة مثل: الليل . الصبح الماء . النار . النجم . الأفق . الفلك . كوكب المريخ . أنهار . البحر . أودية . البر .

ويقول في قصيدة "بين الشك والتشكي"[1]:

صبرا على ليل الحياة وطوله ... حتى يشق من الصباح عمود
في القبر نُزِّل طيِّبٌ وكرامة ... كبرَىٰ وظل وارف ممدود
كم قدروا فوق التراب خلودهم ... طمَعًا وما فوق الترابِ خلود
يا دهر عاجلت الصبا بالقطف لَمْ ... يُزهر، ولم يُثمِر به عُنقود

ففي هذه الأبيات استقى الشاعر ألفاظه من الطبيعة مثل: الليل . الصباح . القبر . ظل وارف . القطف . الزهر . الثمر . العنقود .

كما يقول في حالة الجزائر العاصمة بعدما غطتها الثلوج بعد طول انتظار[2]:

أصحُ قلبًا فوجدُك اليوم حقُّ ... إن وجهَ الطبيعةِ اليومَ طَلْقُ
زانت الجونةُ السَّماء فزالتْ ... ظُلُمَاتٌ بها ورَعْدٌ وبَرق
وبدَا النُّور من وراء الغَيابات ... فما في خلالها اليومَ وَدْق
وبدَا البحر ساكنًا غير موّجات ... علَتها طيرٌ أبابيلُ بُهْق

بما أنّ الشاعر يتغنى بظاهرة طبيعية فمن البديهي أن تكون معظم ألفاظه مستقاة من حقلها:الطبيعة . الجونة (السحاب) . السماء . الظلمات . الرعد . البرق . النور . الغيابات البحر . الموج . الطير . الثلج . الربت . الأرض . الغيم . الرياض.

كما يقول واصفا الريف وجماله[3]:

1. محمد العيد، الديوان، ص ص 20 . 21.
2. محمد العيد، الديوان، ص 23.
3. محمد العيد، الديوان، ص ص 56 . 57.

حيَّتك في البَدْوِ كلُّ الكائنات به ... الريحُ عازفةٌ والروْض صفَّاق
والحقْل محتفلُ الأَشْجار من طرَب ... تَشِدو وتَهفو به وُرْقٌ وأوراق
والنهرُ في جنَبات السَّفح منبَسطٌ ... والماء في جَنبات النَّهر رَقْراق
وفي الكروم عناقيدٌ تحفُّ بهَا ... كأنها في نُحور الغِيد أطواق

فمن ألفاظ الطبيعة التي وظفها: البدو . الريح . الروض . الحقل . الأشجار . الأوراق النهر . السفح . الماء . الكروم . العناقيد . المزارع . القطعان . الضأن . الماعز . الأبقار . النوق الرعاة . الوديان . الغابات . الطير . الأوكار . الشمس . البدر . الليل.

ويقول متباهيا بحسن قسنطينة وبجمالها الفاتن الأخاذ[1]:

تِيهي بحسنِك يَا قُسَنْطي وافخَرِىْ ... وعلى العواصم فاسْحَبِي الأَذيالا
بلدَ الهَواء دعوْكِ أمّ بلدَ الهَوىْ ... إنِي أراك لِذَا وذَاكِ مَجالا
قد ضَمَّكِ الطَّوْدُ الأَشَمُّ لصدرِه ... وتعطَّف الوادي عليك ومَالا
وجرَىْ بجنبكَ ماؤه فكأنَّه ... عافٍ يُريد بجنْبكِ اسْتظلالا
وازْدان سفحُك واستطال كأنَّما ... هو ذَيْلُ طاوُوس مشَىْ مُختالا

لقد تفنن محمد العيد وأبدع في وصف سيرتا، مدينة الهوى والهواء والماء، فلا ضير أن يكون معجمه الشعري مستقى من الطبيعة التي استلهم منها جل ألفاظه: الهواء الطود الوادي . الماء . الظل . السفح . الطاووس . الجسر . الصخر . البحر . السفينة.

2 . حقل الألفاظ المستقاة من القرآن الكريم:

نظرا لكثرة تعامل الشاعر محمد العيد مع ألفاظ القرآن الكريم تلاوة ودراسة وتدبرا فقد رسبت في ذاكرته الكثير من الألفاظ القرآنية، ولهذا فقد دارت في شعره وارتبطت بحياته من حيث التعبير عن مكنوناته، والإفصاح عن مشاعره. ومع أنّ القرآن الكريم نزل بلسان عربي

1. محمد العيد، الديوان، ص 342.

مبين؛ أي أنّ ألفاظه هي كلمات عربية لقوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾[1]،إلاّ أنّ السياق الذي وردت فيه والمعنى الذي أعطي لها من بين المعاني الكثيرة في القرآن الكريم، فاستقاها وأوردها في شعره مع المحافظة على أصالتها[2].

وكما نعلم فإنّ محمد العيد شخص رقيق المشاعر، مرهف الإحساس، فقد أسرته فوارة بمدينة باتنة بجمالها الأخاذ، فتفجرت في نفسه ينابيع سحرها، فغنى لها أعذب الأشعار لشدة طغيان حسنها عليه، فقال[3]:

قد جئتُ ظلَّك زائرًا حَسبي بِظِلِّك من مَزُور
فوجدتُ حُسنا فيكِ لا يَطْغَى عَليَّ ولاَ يَجُور

وقد استقى لفظة يطغى من القرآن الكريم.

كما استعمل اللفظة نفسها في التعبير عن مدى افتتانه بالبحر، وما شهده من أحداث ورجال أشداء على مر التاريخ يقول[4]:

وقائد فيك حُرٌّ سَاقَ الأعاجم أسْرى
والحُرُّ إنْ ثَار يَطْغَى كاللَّيث إنْ جاع يضْرى

فالشاعر استلهم هذه اللفظة من قوله تعالى: ﴿**اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ**﴾[5].

وفي موضع آخر يستخدم محمد العيد لفظة طغى، مصحوبة بلفظة أخرى هي صواعق، في قوله عن الزلزال الذي ضرب مدينة الأصنام[6]:

---

1. سورة يوسف الآية 2.
2. سهام بن شعلال ، Le charme de la textualité religieuse dans la poème de Mohamed El Aid El Khalifa، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أبي بكر بالقايد، تلمسان، الجزائر ، السنة الجامعية 2010 . 2011 ص 50.
3. محمد العيد، الديوان، ص 53.
4. محمد العيد، الديوان، ص 65.
5. سورة النازعات، الآية 17.
6. محمد العيد، الديوان، ص 69.

هـل كـان بـعـض صـواعـق جـويـة الله قـــدر وحـــده إنـــزالـــهـــا
أم كـــان هـزة تـربـــة نـــاريـــة طـغـت الـمـيـاه فسبـبـت إشعالـهـا

فالصـواعق لفظـة مسـتمدة مـن قولـه تعـالى: ﴿**وَفِـي ثَمُـودَ إِذْ قِيـلَ لَهُـمْ تَمَتَّعُـوا حَتَّى حِينٍ** [43] فَعَتَوْا **عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ** ﴾[1].

كما استلهم كلمة يزجي في رثائه لشاعري النيل الكبيرين شوقي وحافظ عندما قال[2]:

حـاشـرُ الـخـلـق الـى خَـلاَّقـهـا ومُـزجـيـهـا الـى فـصـلِ الـقـضـاء

فالشاعر استقى لفظة يزجي من قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ** ﴾[3].

ويقول في تعبيره عن معاناة الشعب الفلسطيني، وما تعرض له من أذى، أملا في الخلاص والنجاة[4]:

هـــل يـبـلـــغُ الـشَّـــطَّ أمـــرٌ كـــالـفـلـــكِ فـيـــك يُـزجَّـــى
وهـــل تُـــنـجَّـــى قـــريـــبًـــا مِـــنَ الأَذَى هـــل نُـــنـجَّـــى؟

ففي هذه الأبيات يستلهم الشاعر ألفاظه من قوله تعالى ﴿**رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ** فِي **الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا** مِنْ **فَضْلِه إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا** ﴾[5].

كما استمد لفظة لظى، للتعبير عن هول الكارثة التي حلت بميناء عنابة إثر الانفجار المريع والذي أودى بحياة عشرات الأشخاص يقول[6]:

1. سورة الذاريات، الآية 43 . 44.
2. محمد العيد، الديوان، ص 493.
3. سورة النور، الآية 43.
4. محمد العيد، الديوان، ص 388.
5. سورة الإسراء، الآية 66.
6. محمد العيد، الديوان، ص 486.

وهبَّت ريحُها تُذكي لَظاها وتنقُلُها إلى الدُّور البعاد

وهي لفظة مستمدة من قوله تعالى ﴿**فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى**﴾[1].

يقول الشاعر محمد العيد معاتبا للذين تخلو عن الشريعة الإسلامية، وصاروا دعاة للمسخ والنسخ[2]:

شريعةُ الله أوْلَى في الشرائع أن تمتازَ عنها بتفضيل ورُجْحان
وكيف ننسَخ أو ننْسَى شريعتَه ونحنُ أمةُ إسلام وإيمان
ويْلٌ لأَشْياخِ بُلدان عَتَوْا وعَشَوْا فيها كأنَّهُمُ خُرَّابُ بُلدان

فقد استلهم كلمة عثوا من القرآن الكريم، من قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾[3].

يقول محمد العيد متحدثا عن خطر العلم على البشرية[4]:

هل ستَنْجُو روسيا من بأسها أم ستصلَى في الوغى منها جحيما

ونجده في هذه الأبيات يستقي ألفاظه من الآية الكريمة التي تقول:

﴿ **هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ** (63) **اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ** ﴾[5].

ونجد الشاعر محمد العيد يثور ضد تعسف واستبداد المستدمر الغاشم، فينطلق صوته صارخا بقوله[6]:

1. سورة الليل، الآية 14.
2. محمد العيد، الديوان، ص 316.
3. سورة الأعراف، الآية 71.
4. محمد العيد، الديوان، ص 336.
5. سورة يس، الآيتين 62 . 63.
6. محمد العيد، الديوان، ص 417.

أنصلَى الجَحيم، ونُسقَى الحميم، ونُرعَى الوَخيمَ، ونُعطَى الدَّنيه؟

فقد استقى جل ألفاظه من المعجم الديني، وهي مستقاة من قوله تعالى: ﴿**فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ** [19] **يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ** [20] **وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ**[21] ﴾[1].

ويقول في قصيدة "صوت جيش التحرير"[2]:

واقْتَحَمْنَا الهَيْجَاءَ نارًا تَلَظَّى كلَّ صال منَّا بها لا يُبالي

فنجد بأنّ بناء ألفاظ هذا البيت مستقاة من قوله تعالى: ﴿**فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ** [14] **لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى** [15] **الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ**[16] ﴾[3].

3 / حقل الألفاظ الدالة على الضواري:

استعان محمد العيد آل خليفة بالعديد من الألفاظ الدالة على الحيوانات الضارية رغبة منه في تصوير بسالة رجال الجزائر، ومن ذلك قوله مادحا الهادي السنوسي:[4]

يا أَسدَّ الشباب رأيا صحيحًا يَا أحدَّ الشباب عقلا ذكيا

فهو يطلق عليه لقب أسد الشباب لرجاحة عقله وسداد رأيه.

ويقول واصفا البحر حال هيجانه[5]:

أراك كَالنِّمر وثبا أراك كالليث زأرا

1. سورة الحج، الآيات 19 ، 20 ، 21.
2. محمد العيد، الديوان، ص 427.
3. سورة الليل، الآيات 14 ، 15 ، 16.
4. محمد العيد، الديوان، ص 15.
5. محمد العيد، الديوان، ص 64.

ففي هذا البيت يصور لنا الشاعر مشهدا من مشاهد البحر، وهو في حالة هيجان فيشبهه بالنمر عند وثبه، وبالأسد عند زئيره، كما صور لنا حالة السفن عند غوصها في الماء، فيشبهها بالأفاعي التي ترتعد منها الحيتان خوفا فيقول[1]:

وإن تـــغُـــصّ فـــأفَـــــاع يَـهَـابُـهـــا الـحُـوت ذُعـــرا

ويقول مصورا حالة الخوف والجزع التي أصابت مدينة الأصنام جراء الزلزال الذي وقع فيها[2]:

عـوت الـكلاب وخارت الأَبقار فـي هـلـع كـأنّ قـد ألـهمت اقبالـهـا

كـم مـرضـع صـاد الحمـام وحيدها كـالـنـسـر صـاد حـمـامة فاغتالـهـا

كما قال حاثا أولاد الشرق على العلم والعمل، وتحريضهم للحاق بمركب الغرب[3]:

يـا بـنِـي الـشـرق حَرِّكوا العزْمَ فيكم وَثِـبُـوا فـي الـحـيـاة وَثْـبَ الـنُّمور

فهو يشجعهم على العمل والاجتهاد في الحياة، وأن يتحركوا فيها مشبها إياهم بالنمور حال جريها. ويقول مشجعا أبناء وطنه[4]:

هـلُّـم نـذدْ عـنـهـا نُـسـورا حوائمـا عـسـى تنجلـي عنهـا النسورُ الحوائم

لـقـد كـانـت الأَجـداد أسدًا ضراغما بـهـا، فـهـل الأَحفـادُ أَسْـد ضـراغم؟

فهو في هذه الأبيات يشجع أبناء الجزائر على الدفاع عن وطنهم وتخليصه من أيدي الطغاة الطامعين، ويبث فيهم روح الحماس، لكي يكونوا مثل أجدادهم ويسيروا على نهجهم وخطاهم.

1. محمد العيد، الديوان، ص 64.
2. محمد العيد، الديوان، ص ص 70 . 71.
3. محمد العيد، الديوان، ص 107.
4. محمد العيد، الديوان، ص 136.

ويقول في قصيدة "استوح شعرك"[1]:

والـقـومُ كـالأَسْـد الـرَّوابـض جُثَّم ... مـن حَـوْلِـهمْ أو كـالـنُّسـور الـوُقَّع
قُـلْ لِـلجزائـر وهْـيَ أمٌّ مُـرضـعٌ ... مـثْـلُ الـلَّـبـؤة أيُّ أمٍّ مَـرضـع!!
أبـنـاؤك الأَشـبـال فـيـك تَـزَاوَروا ... وتَـزَاءرُوا فـي الـغِـيـل مـنـك بمسمع

فهو في هذه الأبيات يشبه الشعب بالأسود التي لا تستطيع الحركة، وبالنسور التي لا تقدر على الطيران، والجزائر باللبؤة التي لم تعد تلك الأم الحنون على أبنائها، أما الأبناء فشبههم بالأشبال الذين يتحابون ويتخاصمون على مرأى العدو، والجزائر لا تحرك ساكنا إزاء ذلك.

ويقول متحسرا على الحالة التي وصلنا إليها، فصرنا أذلة ضعافا، بعدما كنا أسيادا خلفاء[2]:

حـيـارَىٰ كـقُـطـعـان جَفتْهـا رُعاتُـها ... فـأغـرَت بـهـا خصمين ذئبًا وثعلبا

وهنا الشاعر يشبه الشعب الجزائري بالقطيع عندما يهجره راعيه، ويبقى فريسة تتقاتل عليها الذئاب والثعالب.

ويقول محمد العيد واصفا أفراد جيش التحرير[3]:

نـحـنُ جيـشُ التحريـر جندُ النِّضـال ... نـحُـن أسْـدُ الفـدىٰ نُـمُـورُ الـنِّـزال

فقد شبه جنود جيش التحرير الوطني بالأسود في التضحية وبالنمور في المواجهة.

ويقول الشاعر في رثائه لشاعر النيل حافظ إبراهيم[4]:

1. محمد العيد، الديوان، ص 143.
2. محمد العيد، الديوان، ص 195.
3. محمد العيد، الديوان، ص 427.
4. محمد العيد، الديوان، ص454.

وغُـلّـت ليثًـا بجنـب الـنِّـيـل كانَ له زأرٌ به أوْسَـع (الـتَّـامـيـز) إنـذارا

فيشبه محمد العيد حافظ إبراهيم بالضيغم الذي كان يحمي مصر وشعبها ويتصدى لأعدائها،وينذر كل من يحاول الاقتراب منها.

ويقول في رثائه لرشيد بطموش[1]:

قـد أنـشـب الـمـوتُ فـيـنـا أظـفـارَه كـالـعـقـاب

فهو في هذا البيت يشبه الموت بالعقاب الذي ينقض بأظافره على فريسته.

أما قصيدته "دمعة منهمرة على فتاة منتحرة" فيقول فيها[2]:

ما هَـابـهُ الليـثُ الـهَصور من الـردى قـدَرتْ عـلـيـه الـظَّـبـيـةُ الـهَـيْـفـاء

في هذا البيت يشبه الشاعر الفتاة بالظبية، ويتعجب لأمرها كيف استطاعت الانتحار من ذلك الشاهق الذي يعجز عنه حتى الرجال.

4 / . حقل الأدوات القتالية:

يشيع في شعر محمد العيد آل خليفة الكلمات الدالة على الأدوات الحربية والقتالية مثلما نلمحه في قوله[3]:

تـحـاول نَـكْـبَـاء الضلالـة نـسـفَـهُ وتـرمـيـهِ أَشـلاء الـردى بـنـبـال

فهو في هذا البيت ينبه أبناء الإسلام لضرورة الدفاع عن عقيدتهم السمحاء ودينهم الحنيف، لأنّ أعداءه يترصدون به من كل مكان، محاولين التخلص منه والقضاء عليه بشتى الوسائل.

1. محمد العيد، الديوان، ص 472.
2. محمد العيد، الديوان، ص 475.
3. محمد العيد، الديوان، ص 13.

وحينما كره واقعه وضاقت به الحياة ذرعا، أحس بأنّ الليل طويل لا ينجلي، فأنشد يقول[1]:

كـــــأنَّ تَـحْـتـــي شـوْكـــا يـشُـــوكـنـــي أَوْ رمـاحـــــا

فالشاعر هنا يحس وكأنّ في فراشه أشواكا، أو أنه نائم على رماح، ولهذا لا يستطيع الارتياح من شدة ما يعانيه. ويتابع حديثه عن الشاعر وما يطمح إليه فيقول[2]:

فـــي قـلـبـــــه نَـــزَواتٌ مـثـــل الـــزِّنـــادُ أَنـقِـــداحـا
وفـــي حَـــشـــاه سِـهـــامٌ قـــد أَثْـخَـنـتْـه جِـراحـا

فقلب الشاعر حامل لجميع آلام وآمال الشعب، ولديه طموحات وتطلعات لا حدود لها، لكنها ظلت مجرد أحلام لم تتحقق، وبقيت كالسهام لا تزيده إلاّ آلاما وجراحا.

كما كان يذود عن الدين الإسلامي ويدافع عنه فنجده يقول[3]:

قـولـوا لـمـن راشَ الـنِّـبـال لـصيْده أَلْـق الـنـبـالَ فـإِنَّ صـيـدَك طـارا

في هذا البيت يعلم الشاعر أعداء الدين بأن مخططاتهم فشلت، وبأنّ المسلمين يهنوا ويخزوا ما داموا متمسكين بحبل الله.

كما يقول في تحيته للعلماء[4]:

مضـى زمـنٌ والبعدُ كالسيف مُصلَتٌ عليـكـم مُـشِـتٌّ للجميع بلا ذنـب

فهو يرحب بأصحاب العقول الراجحة، والوجوه النيرة ويستبشر بقربهم ووصالهم وبأنّ زمن البعاد والفرقة قد ولى.

1. محمد العيد، الديوان، ص 45.
2. محمد العيد، الديوان، ص 46.
3. محمد العيد، الديوان، ص 113.
4. محمد العيد، الديوان، ص 247

ويقول في رده على الرسالة الشعرية التي وجهها إليه الشاعر الجزائري أحمد سحنون[1]:

وأقصرْ مداك فذو السهام وإن غفا مترصِّدًا ابدًا لذئ المِنقار

فهي نصيحة ينبهه فيها بأنّ مترصديه على استعداد دائم للخلاص منه، ولهذا يجب عليه تقصير مداه لكي لا ينالوا منه.

أما في قصيدته إيراد وإصدار فيقول[2]:

ما النَّفس والعقل الا للأذئ التقيا فينا (كَغَدَّارَةٍ)[1] في كف غدَّار

فمحمد العيد في هذا البيت يحذر الإنسان من إتباع هوى نفسه وعقله، لأنهما لا يلتقيان إلاّ للأذى، كالمسدس في يد الخائن الغدار.

ويقول مفتخرا ببنات الجزائر المجاهدات المناضلات في سبيل الوطن والحرية[3]:

واتَّخذْنا من الرَّصاص عُقودًا وانتَطَقْنا به على الأكباد
واعتَقلْنَا رَشَّاشنا سَاهراتٍ شَاهراتٍ لَهُ على ٱستعداد
وقدَحْنا زنادَنا فقَهَرْنا وبَهَرْنا العدَا بقَدْح الزِّناد

فالثورة التحريرية لم تكن حكرا على الرجال فحسب، بل حتى النسوة كان لهن حضور بارز فيها، فقد اتخذن مع الرصاص عقودا والتزامات، حتى صار أغلى من فلذات أكبادهن وكن ساهرات مستعدات دائما مصوبات رشاشهن نحو الأعداء وأسلحتهن مقدوحة، جاهزة على الدوام لأي طارئ قد يحدث.

1. محمد العيد، الديوان، ص 329.
2. محمد العيد، الديوان، 361.
3. محمد العيد، الديوان، ص 431.

كما يفتخر بثورة نوفمبر قائلا[1]:

وقمنا الى رشّاشنا برَصاصنا نفنِّد دعْواها ونُبطِلُها جَهْرا
زحفْنا عليها نزْدري بعَتادها وبالنَّار والبارودِ نَصْهَرُهَا صَهْرا
وفي النَّار والبَارودِ أبلغُ حُجَّة تَرَدُّ بها الدَّعوى على مَن طغَى كِبرا

فبفضل جرأة وبسالة ثوارنا الشجعان، استطعنا التغلب على الاستدمار الفرنسي، فكان بارودهم ورصاصهم ورشاشاتهم كالنار الحارقة على هذا المستعمر المتجبر.

كما يفتخر بإمام جمعية العلماء المسلمين، العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس عندما وقف في وجه دالادي رئيس وزراء فرنسا ووزير دفاعها، يوم ذهب وفد المؤتمر الإسلامي الجزائري إلى فرنسا حاملا مطالب الشعب الجزائري سنة 1936م فيقول[2]:

قلت بالمدفع اغتَرَرْتَ وحَسْبي مدفع فوقه به الله رامي
موقفٌ حاسمٌ شَهَرتَ بِه الإنـ ـكارَ في وجه مَن طغَى كالحسام
هكذا أعلن الأئمةُ قبلاً سيفَ إنكارهم على الظَّلاَّم

فبالرغم من قوة مدافع العدو، إلاّ أنّ مدافعه أقوى، لأنه يتوكل على القوي القادر كما يشيد بموقفه عند تصديه لدالادي رغم قوته وجبروته، وهذا هو حال الأئمة منذ الأزل، يقفون في وجه الظلم والطغيان، ويتصدون للإثم والعدوان، مهما كانت المخاطر والصعاب التي يتعرضون لها.

وبهذا يتضح لنا ثراء معجم محمد العيد آل خليفة الشعري، مع تميزه بخصوصية لغوية، تتمثل في حسن اختيار اللفظ الدال على الهدف المنشود، وجريان اللغة الوارفة الظلال تدفقا وراء المعاني المختارة، فصوت محمد العيد يجلجل بصخب عنيف وقوة تدفق مشاعره، تصاحبها نبرة حادة متأججة العواطف، كما أنه فخم الألفاظ لبق في تصريفها وتنزيلها في مواضعها محكمة النسيج.

1. محمد العيد، الديوان، ص 439.
2. محمد العيد، الديوان، ص 499.

المبحث الرابع: الأسلوب.

الأسلوب هو الطريق الذي يتبعه الشاعر للتعبير عن أفكاره وترجمة خواطره، وقد اختار محمد العيد الأسلوب الذي رآه مناسبا، وله قدرة على التفاعل بين الفكرة والعاطفة الذي وصل به إلى الغاية المقصودة، فنجد بأنّ أسلوبه يشتمل على: التكرار . الاقتباس . الرمز.

1 . التكرار:

يعتبر التكرار من الأساليب التي اعتمدها محمد العيد بكثرة في شعره، كـ "تكرار المعنى الواحد في القصيدة أو القصائد، أو تكرار الكلمات بأعيانها أو أشطار بذاتها عدة مرات، وهذا التكرار قد يقصد به إلى توكيد المعاني وإعطائها صفة الحتمية والوجوب، وقد يقصد به الاستثارة والحماس في نفوس الجمهور المستمع حتى يستحوذ على مشاعره ويحرز إعجابه"[1].

ومن أمثلة تكراره للكلمة نجده يقول[2]:

قُلْ لِلأَدِيبِ هَوَىٰ الطَّبِيـ ... ـعَةِ لا يَحُول ولا يَجُور
فَاهْوَ الطبيعةَ إِنها ... أُمٌّ تَحوطُك بالبُرور
حُبُّ الطبيعة طاهرٌ ... لا فِسْقَ فيهِ ولا فجور

فنجد الشاعر هنا يكرر كلمة (الطبيعة) ثلاث مرات لشدة حبه لها وتعلقه بها.

ويقول في قصيدة ألقيت في الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين، بنادي الترقي إثر انتخابات المجلس الإداري للجمعية[3]:

1. أبو القاسم سعد الله، شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، مرجع سابق، ص 217.
2. محمد العيد، الديوان، ص 53.
3. محمد العيد، الديوان، ص 100.

أخشَى من الأجيال أنْ ... يَصموك فيها بالتُّهَمْ
أخشَى لِليِنكَ أنْ يُقا ... لَ ظلمتَها فيمنْ ظَلَم
أخشَى لَهونكَ أن تُنا ... دَىٰ في الحواضِرِ والخِيَم
يا وفدُ إنك في ربَا ... طٍ بالمعارِفِ مُقتَحَم
يا وفدُ لا تنَم اللَّيا ... لي في رِباطِكَ لا تَنَم

فقد كرر الشاعر الفعل (أخشى) ثلاث مرات، وكلمة (يا وفد) مرتين، وكلمة (رباط) مرتين، والفعل (لا تنم) مرتين، للدلالة على منزلة هذا الوفد ومكانته بين الناس، والحضوة التي نالها جراء أعماله وخدماته التي يقدمها، ويظهر خوف الشاعر من تراجع هذه المكانة جليا في تكراره لكلمة (أخشى)، وحثه على عدم النوم في رباطه.

ويقول داعيا إلى العلم محببا فيه[1]:

علِّموا أهلَكم من العلم حظًّا ... نَافعًا تستغلُّه الافهام
علموا الطفل ما به يتزَكى ... قبلَ أن يستبين منه احتلام
علِّموا البنت ما به تحصِن النفـ ... ـسَ لينكفَّ عن أذاها اللئام
علموا المرءَ كل ما فيه مجدٌ ... وشُفوفٌ لقَدْرِهِ واحترام
علِّموا المرأةَ الحقائقَ في الدِّيـ ... ـنِ فقد طوحت بها الاوهام

فقد كرر محمد العيد الفعل (علموا) خمس مرات، حاثا على طلب العلم وإعلاء مكانته وتعظيمه في حياة كل شخص، كما كرر الفعل (علموها) أربع مرات، دليل العناية بالمرأة بشكل خاص، لأنها عماد البيت وركيزته، وهي قوام المجتمع وصانعة الأجيال.

وعندما زار الشاعر مدينة قسنطينة، أقام له تلامذته حفلا عبروا به عن تقديرهم لأستاذهم، فألقى فيه هذه القصيدة الوطنية التي قال فيها[2]:

1. محمد العيد، الديوان، ص ص 178 . 179.
2. محمد العيد، الديوان، ص 340.

وأذكرْ أوائلَها بني فِينيقِيا ... وأذكر بها الرُّومان والوَنْدال
واذكر بها أتْرَاكها وإنِ اعْتَدوا ... حالاً فقد حرَسوا الرَّعيةَ حالا
واذكُر من البَايات (أحمد) إنه ... ذَاد العِدىٰ عنها وصَال وَجَالا
واذكر من البايات فيها (صَالِحًا) ... فقد أعْتَنىٰ وبنَىٰ بها فأطالا
واذكر بدخْلتها (ابنَ عيسىٰ) ثائرا ... يلقَىٰ المُغير ويستميتُ قِتالا
واذكر بها العُبَّادَ في خلواتهم ... واذكُر بها العُلماء والأبطال

كرر محمد العيد في هذه الأبيات الفعل (واذكر) ثمان مرات، للتعريف والتذكير بأمجاد سيرتا، وأصالتها وعراقتها على مر العصور.

ويقول في قصيدته "الشعر والأدب"[1]:

أنا ابن جدِّي وقومي السادةُ العَربُ ... وحرفتي ما حيِيت: الشعرُ والأَدبُ
أنفقت وقتِي في شعرٍ وفي أدب ... لا شغلَ عندي إلاَّ: الشعر والأَدب
ولا غذاءَ به أحيا بغير طَوىٰ ... منعم البال إلاَّ: الشعر والأَدب

كرر الشاعر عبارة (الشعر والأدب) في نهاية أبياته من بداية القصيدة إلى نهايتها لإعطائها صفة الحتمية والوجوب.أما في قصيدة "يا أمة الخير" فيقول[2]:

محمدٌ ليس يرضىٰ ... أن تُوصَمِي بشَنيع
محمدٌ ليس يرضىٰ ... أن تُخلِدِي لوَضِيع

كرر الشاعر في هذين البيتين عبارة (محمد ليس يرضى) لبث روح الحماس في الشعب الجزائري، كي ينهض من سباته، ويزيل عنه كل أنواع العبودية.

1. محمد العيد، الديوان، ص 51.
2. محمد العيد، الديوان، ص 174.

ويقول محمد العيد مرحبا بعودة الحجاج الميامين من بيت الله الحرام[1]:

حَبَـاكـمْ بحـجِّ البيت أكرمُ من حَبـا فـأهـلاً وسـهـلا بالـحَجيج ومرحبـا
حبـاكـم بـحجِّ الـبيت جاعلُ ركـنـه قيـامًـا لمن بـالـحـجِّ فـيـه تـقـريـبـا
حبـاكـم بحـجِّ الـبـيـت باسطُ ظلِّه أمَانًا لـمن خـاف الـرَّدىٰ حيـن أذنبـا

فنجد بأنه كرر عبارة (حباكم بحج البيت) ثلاث مرات، لإعلاء منزلة الحجاج بأن قدَّر الله لهم زيارة بيته الحرام، وفضلهم على كثير من خلقه تفضيلا.

ويقول متحدثا عن النفس وفعالها ورغباتها[2]:

تـريـديـن يـا نـفـس الـحياة طلـيقـةً وتـهـويـن أن تَـلـهَـيْ عليهـا وتـلـعبي
تـريـديـن يـا نـفـس الـحيـاة طويلـة لـتـقـضـي عليهـا مـأربًـا إِثْـر مأرب

فقد كرر الشاعر عبارة (تريدين يا نفس الحياة) مرتين، قصد معاتبتها وتأنيبها على أهوائها وشهواتها، وإتباعها لملذات الحياة.

كما يقول عن منزلة المجاهد والمكانة التي حضي بها عند خالقه وبين الناس[3]:

سَلـوا عـنـهُ اطوادَ الـجزائر إِنَّـهـــا صفـائـحهـا ذكـرَىٰ صَحائـفـه الغُر
سَلـوا عـنـهُ أطواد الـجزائـر إِن فـي مَعاقـلـه اللاَّتـي بـهـا كـان يستَـذري
سَلـوا عـنـه أطواد الـجزائــر كـلَّـهـا فـغـارَاتُـه فـيـهـا تَـجلُّ عن الـحَصْـر

كرر محمد العيد عبارة (سلوا عنه أطواد الجزائر) ثلاث مرات، لبث روح الحماس واستثارة نفوس المستمعين، في تعداده لفعال ومآثر الشهداء، في سبيل استقلال بلادهم وعيشها حرة أبية.

1. محمد العيد، الديوان، ص 194.
2. محمد العيد، الديوان، ص 288.
3. محمد العيد، الديوان، ص 433.

وفي مرثيته التي نظمها في أحمد شوقي يقول[1]:

فَقد الشعر من الشرق شمسًا ... لم يزل منها على الشَّرق نور
فقد الشعرُ من الشرق سرًّا ... طالَما غنَّت عليه الطيور
فقد الشعر أبا الشعر (شَوقي) ... فطغَا الويلُ به والثُّبور

فكرر عبارة (فقد الشعر) لتبيين منزلة شوقي العظيمة في الساحة الأدبية، والفراغ الذي تركه في نفوس محبيه، فبموته فقدت مصر والأمة العربية جمعاء صرحا شعريا ضخما، وقامة أدبية رفيعة.

وكرر محمد العيد في بعض قصائده المعنى الواحد في القصيدة نفسها، ومثال ذلك ما ورد في قصيدة "إلى العلم" يقول[2]:

سلامٌ كأزهار الرُّبى طيِّب الشَّذى ... على كل قُحٍّ فِي عُروبته شهْم
على الْعَرب الأَحرار مَن كان عاربًا ... ومن بَاد قِدْمًا من جَديسٍ ومن (طَسْم)
ومن كان في أستِعرابه لاحقًا بهمْ ... نُزوعًا إِليهم في الفَصاحة والفَهْم
ومن أَتقنوا الفُصحَى ورَضوا علومَها ... بحِذقٍ فكانوا مِنْ صَوارمها الخذم
ومن نَشروها كاللِّواء وأَكثروا ... بكلِّ مكان مِن مَعاقلها الشُّمِّ
لقد رفَعوا رأس العروبة عاليًا ... سلامٌ عليهمْ في البداءة والختْم

ففي هذه الأبيات نجد الشاعر يدور حول معنى واحد، وإن حاول أن يقسمه ويشعبه ويضع لكل قسم عنوان، ولعل البيت الأول فيها كاف عن كل ما جاء بعده ولكنه رغبة في توكيد المعنى ووضوحه أتبعه بخمسة أبيات أخرى[3].

1. محمد العيد، الديوان، ص 457.
2. محمد العيد، الديوان، ص 205.
3. أبو القاسم سعد الله، شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، مرجع سابق، ص 218.

أما في قصيدة "يا شباب" فيقول فيها[1]:

يـا شـبـابُ أتَّـجـهْ الى الشَّرق واحْفَظ كـلَّ كـنْـز لـه الـيـه أنـتـسـاب
انـمـا الـشَّرق نسبـةُ الـعَـرب الأَحـ ـرارِ لـم تـنـقـطـعْ لـهـا أَسـبـاب
انـمـا الـشَّـرق لـلـعُـروبـة كـهْـفٌ آمِـنُ الـظِّـل بـالأَذىٰ لا يُـصـاب
انـمـا الـشَّـرق لـلـعـرُوبـة وكْـرٌ مـن بَـنـيـهـا تـؤُمُّـه أسـراب

كرر الشاعر في هذه الأبيات المعنى نفسه، قصد توكيد المعنى وإبرازه للمتلقي.

كما كرر محمد العيد المعنى الواحد في قصائد متعددة، ومن أمثلة ذلك قوله خائفا من الزمان وتقلباته ومصائبه والتي تعيقه عن الاستماع بالدنيا ولذاتها[2]:

أَرىٰ حـظ أَرذال الـنـفـوس مـواتـنـا وحـظَّ كـريـم الـنـفـس غيـر مواتـي
فأوجس فـي نفسـي من الدهر خيفة لـعـلـمـي بـأن الـدهر ذو غـمـرات

فنجده يستعمل العبارة نفسها للتعبير عن الأحداث الدموية التي قام بها الاستعمار الفرنسي، في الثامن ماي 1945م، ضد الشعب الجزائري الأعزل يقول[3]:

رأىٰ مـا دَّعَـوْا من رَعْيِه محضَ خُدعة فـأوْجـس مـنـهـم خِيفـة أيَّ إِيـجاس

ويقول محمد العيد متحدثا عن الدنيا ومصائبها[4]:

لا يـأمَـنـوا صـبَّ الـعـذاب عـليهمو فـرعـونَ أعْـتـىٰ مـنـهـم وثـمـود

1. محمد العيد، الديوان، ص ص 259 . 260.
2. محمد العيد، الديوان، ص 10.
3. محمد العيد، الديوان، ص 326.
4. محمد العيد، الديوان، ص 22.

والمعنى نفسه استعمله في وصفه للمأساة التي حلت بالفارين الجزائريين إلى فرنسا في باخرة سيدي فرج، وموت أحد عشر رجلا منهم بالاختناق[1]:

وصب عليهم الارهاق سَوْطًا من البلوىٰ فكان لهم مذيبا

ويقول عن عزلته وسكوته واحتجابه عن الظهور وقول الشعر[2]:

إن أكن قد سكتُّ قبل مليًّا فلانَّ السكوت فصل خطابي

فيكرر المعنى ذاته في وصفه لعلماء وطلاب مدرسة الشبيبة:

يَتناجَوْن حولَ برٍّ وتقْوَىٰ بين فصل من الخطاب ولَحْن

كما يقول محمد العيد في دور مصر في نصح وإرشاد بني الشرق[3]:

هذه مِصْرُ تُوسع الشرقَ نصحًا بنداءٍ كأنه نفخُ صور

المعنى نفسه نجده في نداء الشاعر للعلم، ونعي الشرق في القعود عن مجازاة السابقين[4]:

أعلن الصُّور بالقِيامة في الأَر ض وقامتْ من القبور العِباد

ويستعمل المعنى ذاته في التذكير بأمجاد الجزائر فيقول[5]:

قف اليوم بالزِّيبان وانْزل بها علىٰ مَليكَتِها واحْضُر بمَحْفلها الفخْم
تجدْ داعيًا للعلْم في الصُّور نافخًا وبعْثًا من الأَشْهَاد يزْخَرُ كاليَمّ

1. محمد العيد، الديوان، ص 286.
2. محمد العيد، الديوان، ص 87.
3. محمد العيد، الديوان، ص 106.
4. محمد العيد، الديوان، ص 118.
5. محمد العيد، الديوان، ص 202.

ونجد المعنى نفسه تكرر في بداية قصيدته "تهنئة الجيش وتحية العلم"[1]:

دَعـا صُورُ إِسـرافيلَ مَنْ مات للنشـر وأقـبـلَ يـوْمُ الـبَعْث يزخَرُ بالـحَشْـر

كما يقول في طباع الإنسان ومكائده[2]:

والـشـرُّ فـي الإِنـسـان طـبْـعٌ ثـابـتٌ والـخيْـرُ فـي الإِنـسان مـحْضُ تَطَبُّع
بـاللهَّ قـبـلُ وبـالـنَّبـيِّـيـن ازدُرِي والقـانـتِـيـن الـسَّـاجـدِيـنَ الـرُّكَّـع

فمحمد العيد يكرر المعنى عينه في نصيحته الموجهة للشعب، حتى يعيش حرا أبيا[3]:

حـكَّـم هُـدىٰ الإِسـلام تُـرْ ضِ الله تُـرْضِ مُـحَـمّـدا
وأَقْـفُ الـهُـداةَ الـرَّاشـديـتـ ـنَ الـرَّكـعـيـنَ الـسُّـجَّـدا

2 / . الاقتباس:

تميز أسلوب محمد العيد آل خليفة بتأثره الكبير بالقرآن الكريم، فاقتبس منه وعمد إلى تضمين معانيه وألفاظه وتراكيبه في أكثر شعره، "والشاعر لحذقه في الاقتباس لا يأتي به إلاّ عند الضرورة، ولا يسوق المعنى الديني في ثوبه الشعري إلاّ إذا رأى الموقف يتطلب ذلك كأن يحث على البذل ويؤكد الإحسان، أو يستثير عطف الناس على مشروع ونحوه"[4].

فيقول مثلا عن أصل الإنسان، وأنه خلق من مادة سريعة الانكسار وهي الفخار جعلت التئامه صعبا، بل غير ممكن أحيانا، فجاءت تصرفاته تبعا لذلك[5]:

1. محمد العيد، الديوان، ص 432.
2. محمد العيد، الديوان، ص 148.
3. محمد العيد، الديوان، ص 184.
4. أبو القاسم سعد الله، شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، مرجع سابق، ص 217.
5. محمد العيد، الديوان، ص 8.

وعنصرُ النَّاسِ فَخَّارٌ أَلَمَّ بِهِ كَسْرٌ ومَا ٱلْتَامَ بعْدَ الكسْر فخَّار

وهذا البيت مقتبس من قوله تعالى: ﴿**خَلَقَ الإنْسَانَ** مِنْ **صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ**﴾[1].

وبالصبر تزول الشدائد، ويأتي الفرج اليسر، يقول محمد العيد في ذلك[2]:

لابد من بعد عُسر أن يجعل الله يُسرا

في هذا البيت إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**فَإِنَّ** مَعَ **الْعُسْرِ يُسْرًا** * **إِنَّ** مَعَ **الْعُسْرِ يُسْرًا**﴾[3].

وفيه يتفاءل الشاعر بقرب الفرج واليسر عقب الشدة والعسر.

ويصف الشاعر الزلزال الذي ضرب مدينة الأصنام، فيلتفت إلى المضمون القرآني قائلا[4]:

دوت دوي الرعد ثم تدكدكت بالآهلين وأخرجت اثقالها

وهذا المعنى مقتبس من قوله تعالى: ﴿**وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا**﴾[5].

ويرد محمد العيد على الذين افتروا عليه الكذب، فيذكرهم بأنه رغم حقدهم عليه وحسدهم له إلاّ أنه نال فضلا وثوابا من الله عز وجل، فأكسبه شهرة وخلودا[6]:

فلئن رُحت غيلة الافتراء ات فاني قد أبت خير مآب

1. سورة الرحمان، الآية 12.
2. محمد العيد، الديوان، ص 67.
3. سورة الانشراح، الآيتان 5 . 6.
4. محمد العيد، الديوان، ص 70.
5. سورة الزلزلة ، الآية 23.
6. محمد العيد، الديوان، ص 87.

فنجد بأن الشاعر ضمن بيته عبارة (خير مآب) وهي مقتبسة من قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ**﴾ .

ويقول مشيدا بالدور الفعال الذي تقوم به مجلة نور الإسلام، في توعية المجتمع في أمور دينهم ودنياهم[1]:

إنما هذه الحياة مَجال ... لاكتِساب العُلى وذخرُ الأَجور
ليس فيها من بعدِ هذا وهذا ... من مَتاع سوَى متاع الغرور

فقد اقتبس محمد العيد عبارة "متاع الغرور" من سورة آل عمران، يقول عز وجل: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾[2].

وأفصح الشاعر عن الحالة المزرية التي كان يعيشها المجتمع، بسبب تعلقهم الكبير وإيمانهم بالدجل والشعوذة، والتجائهم للأولياء الصالحين لقضاء حوائجهم من دون الله فقال[3]:

وفشا الدَّجلُ فالولاية دعوَى ... كلَّ ذي سُبحةٍ تَطولُ وذَقن
وغلا القومُ في الوليِّ فظَنُّوا ... أَنَّهُ كالإله يُغْنِي وَيُقْنِي

فاقتبس الشاعر العبارة "يغني ويقني" من قوله تعالى: ﴿**وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ**﴾[4].

ويقول الشاعر عن الاختراع الحديث[5]:

1. محمد العيد، الديوان، ص 106.
2. سورة آل عمران، الآية 185.
3. محمد العيد، الديوان، ص 111.
4. سورة النجم، الآية 48.
5. محمد العيد، الديوان، ص 194.

أشارَ إليه اللهُ في الذِّكر قائلاً (ويَخلق مالا تعلمونَ) ليُطلَبا

فالشطر الثاني مأخوذ من قوله تعالى: ﴿**وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾[1].

ويقول في القصيدة نفسها[2]:

ويا أيُّها الإنسان إنك كادِحٌ إلىٰ الله كدْحًا ما خُلقتَ لتَلْعَبا

فنجد بأنّ الشاعر اقتبس هذا البيت من قوله تعالى: ﴿**أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ**﴾[3].

ويدعو الشاعر إلى اجتناب سوء الظن الذي يفسد العلاقات، فيقول[4]:

ولا تجزموا فيما تظنُّ نفوسُكم فأكثرُ ظَنِّ النفْس يُفضىٰ إلىٰ الاثم

فالبيت مقتبس من قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**﴾[5].

كما يحث محمد العيد أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، على وضع أسس ومبادئ صلبة لتقوم عليها الجمعية، وتبقى خالدة عظيمة، كما كان عرش بلقيس في عهد سيدنا سليمان عليه السلام قائلا[6]:

فخطوا له منكمْ حدودًا منيعةً من العلم والشورَىٰ ومِن صالح الكَسب

وأبقُوهُ للأجيال صَرْحا ممَرَّدًا دليلاً عليكم خالدًا طيلة الحقب

1. سورة النحل، الآية 8.
2. محمد العيد، الديوان، ص 197.
3. سورة الانشقاق، الآية 06.
4. محمد العيد، الديوان، ص 204.
5. سورة الحجرات، الآية12.
6. محمد العيد، الديوان، ص ص 247 . 248.

فنجد بأنّ هذين البيتين مقتبسين من قوله تعالى: ﴿**قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ**﴾[1].

ويقول الشاعر مؤكدا أنّ للإنسان عدة نقائص وسلبيات فلا غرابة أن يكون فيه صفات كالظلم والجهل[2]:

حملت الأَمانة دون السمَاوا ت والأَرضِ فيها علَى كاهِلي
لظلمي وجهْلي أقتحمْتُ الصِّعاب فوَيْحِيَ مِنْ ظالِم جاهل

وهذين البيتين مقتبسين من قوله تعالى: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ** وَالْجِبَالِ **فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا**﴾[3].

ويقول محمد العيد معبرا عن حالة البؤس والشقاء التي عاناها الجزائريون، خلال السبع سنوات من اندلاع الثورة، ليأتي بعدها عام الحرية والاستقلال، عام الإغاثة والعصر[4]:

سنُو يوسفَ السَّبْعُ الشِّدادُ تصرَّمت وأعقَبَها عامُ الإغاثة والعَصر

فمن خلال قراءتنا للبيت نجد أنه تضمن معنى قوله جل شأنه:﴿**ثُمَّ يَأْتِي** مِنْ **بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ**﴾[5].

ويقول في جزاء الإنسان الذي يقدم الخير، أنه سيلقى ضعف الأجر[6]:

1. سورة النمل، الآية 45.
2. محمد العيد، الديوان، ص 385.
3. سورة الأحزاب، الآية72.
4. محمد العيد، الديوان، ص4.433
5. سورة يوسف، الآية 49.
6. محمد العيد، الديوان، ص 453.

مـا تـقـدِّمْ نـفـسٌ الـى الله من خيـــ ـــر تـجـــده خـيـرًا وأعـظـم أجـــرا

وهو تجسيد لقوله تعالى: ﴿**وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّـهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّـهَ إِنَّ اللَّـهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾[1].

فلا يخفى ما بين البيت الشعري والآية الكريمة من تطابق. وهكذا يتضح من خلال هذه الأبيات وغيرها مدى التأثر الشديد بالقرآن الكريم، فكان بالنسبة للشاعر المصدر الثري الذي استمد منه لغته وأسلوبه.

3 . / الرمز:

للرمز في تاريخ الفكر الإنساني دور هام، وفي الشعر الجزائري دور أهم، وقد تنوعت دلالاته بين رمز الكراهية ورمز الحب، رمز الحرية ورمز الحرب، وغيرها من الرموز. "والرمز تركيب لفظي أساسه الإيحاء – عن طريق المشابهة – بما لا يمكن تحديده، بحيث تتخطى عناصره اللفظية كل حدود التقرير، موحدة بين أمشاج الشعور والفكر"[2].

فلجأ محمد العيد آل خليفة إلى الرمز أحيانا بدل الصراحة، لأغراض سياسية واضحة أو غايات اجتماعية محددة. "وقد قال ذات مرة للشعب إنه يخاطبه تارة بالصراحة وتارة أخرى يخاطبه بالرمز وبقي عليه هو أن يفهمه ويفهم أهدافه في كلا التعبيرين"[3].

أصـرِّح أحـيـانًـا بـقـصـديَ واضحًا وألْـحَن أحـيـانًـا فهل أنـتَ فـاهـم؟

فقد استعمل للحرية رموزا كثيرة منها: الحمراء . الورقاء . ليلى . الهزار، وغيرها كثير. وفي هذا يقول[4]:

1. سورة المزمل، الآية 18.
2. محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، مصر ، ط2، 1978، ص 120.
3. محمد العيد، الديوان، ص 139.
4. محمد العيد، الديوان، ص 50.

عاطِـنـي مـن خـمـرةِ الأَمـال جـامـا إن فـيـهـا نـشـوةً تُـحـيـي الـعـظامـا
إن فـيـهـــا لـي بَـرْدًا وسَـلامـــا مـن لَـظَـى الـيَأسِ ومِـن نَـار الخَسَار
وادعُ لـي ذاتَ الـفَـخـار يـا هَـــزاري!

فالشاعر يرمز للحرية بذات الفخار، ويدعوها بهذا الاسم رغبة منه في تخفيف وطأة اليأس والألم الذي يعتريه، ويتمنى أن تكون بردا وسلاما عليه.

ويقول مرغبا في نيل العز والعظمة[1]:

واذا رَغـبـتَ الى جـسـيـم فـي الـمُنى فـاركـبْ الـيه من الأُمـور جـسـيـمـا
حُـثَّ الـخُـطـى لـلـعز واسلُك نهجه ولو أنَّ نـهـج الـعـز كـان جحـيـمـا
لـو خـاف مـوسَـى أن يـحُلَّ به ردًى فـي الـطُّور لـم يَـكُ لـلإلَاهِ كـلـيمـا

في هذه الأبيات يدعو محمد العيد الشعب الجزائري إلى ركوب الأهوال والصعاب من أجل تحقيق غاياته وأهدافه، أو نيل شرف الشهادة، رامزا له بسيدنا موسى عليه السلام عندما كلمه ربه، حين رأى نارا وذهب لإحضار قبس منها لأهله، وما كان في ذلك الموقف من خوف وشدة.

يقول محمد العيد في حبه وإخلاصه لوطنه[2]:

ولِـي وطـنٌ حـبـيـبٌ لـي خَـصـيـبٌ وقَـفـتُ عـلـى مَـحـاسـنـه هَـوايـا
وكـنـتُ لـه مـن الأَحـرار عـبْـدًا لَـهُ رُوحـي ومـا مَـلَـكَـتْ يـدايـا
اذا آنَـسْـتُ مِـن بَـلْـواهُ نَـارًا فـإنِّـي قـد وَجَـدتُ بـهـا هُـدايـا

فهو يرمز لما جناه من صبره على المحن والشدائد في سبيل وطنه، وما أعقبه من خير، بالهدى والخير الذي جناه موسى عليه السلام من التجائه إلى النار التي رآها.

1. محمد العيد، الديوان، ص ص 164 . 165.
2. محمد العيد، الديوان، ص 217.

ويقول محمد العيد بعدما ساورته الهموم، وأحاطت به الأحزان والغموم، فأرسل إليه البشير الإبراهيمي برسالة لإزالة هذا الهم والغم عنه، فلما انفرج ضيقه وتبددت كربته كتب هذه الأدبيات[1]:

اذا فـــــــؤاديَ ســـــــــال ... بـــه وطـــرّفـــــي قـــريـــر
قـــــد ارتـــــــددتُ بـصيـــــرًا ... فـكيـــف يَـغْـــوي الـبـصيـــر؟
قـمـيـــصُ يـوسُـــفَ ألـقَـــى ... بـــــه عـلـــــيَّ الـبـشـيـــــر

فقد رمز لتلك الرسالة التي أعادت إليه بصيص الأمل في الحياة، بقميص يوسف الذي أعاد أباه يعقوب بصيرا.

ويقول عن تضحية الجزائريين بالنفس والنفيس، في سبيل نيل الحرية والاستقلال[2]:

حَيِّ عـيـدَ الأَضْحَـى وحَيِّ الضَّحايا ... كـلَّـهـا والـذَّبـيـحَ فـي الأَنـبـياء
يـومَ لَـبَّـى الـخـلـيـلُ دعـوةَ مَـوْلا ... هُ لِـذَبْـح ابْـنـه وحَـمْـل الـبَـلاء
فـاذا الكـبـش مـنـه فـي يـد جـبـريـ ... ـل قـريـب مـقـدم لـلـفـداء
هـكـذا يُـكْـشَـفُ الـبـلاءُ فـصـبْـرًا ... لـيـسَ عقْـبَـى الـبَلاء غيْـر الـرَّخـاء

فرمز لتلبية الشعب الجزائري لنداء الوطن وتضحيتهم بأموالهم وأنفسهم في سبيله وصبرهم على الشدائد والمحن التي أعقبها الفرج، بإبراهيم عليه السلام لما انصاع لأمر ربه وصدق الرؤيا، وقدم ابنه إسماعيل فداءً له، وكيف جازاه الله على صبره، ففرج عنه البلاء بأنّ فداه بكبش عظيم.

1. محمد العيد، الديوان، ص ص 392 . 393.
2. محمد العيد، الديوان، ص 436.

كما يقول عن استقلال الجزائر[1]:

واعجبٌ لِشعْبٍ قام حيًّا بعدما ... قد كان مُذْ قرن وثلث أقْبرَا
عتقُ الرِقابِ حياتُهَا مِن مَوتها ... ونُشورُها بعْد الفناء لِتُحْشَرَا
أَحْيا أَبو بَكْر (بلالاً) بعد ما ... أوْدَىٰ كما أحيا (عَلِيٌّ) (قنْبرَا)[1]
أَنظُرْ لأَهلِ الكهفِ كيف تمثلوا ... في شعْبنا مُستيْقِظِين من الكرىٰ
مَن كان يُنكِر بعثه من موته ... فالله أَطلعه عليهِ وأعثرَا

فرمز محمد العيد لاستفاقة الشعب الجزائري واسترداد حريته بعد مائة واثنين وثلاثين سنة عد فيها من الأموات، بأهل الكهف الذين بعثوا من مرقدهم بعد ثلاثمائة سنة.

ويقول في فضل الشيخ البشير الإبراهيمي في إحياء العلم، وبثه في أوساط الشباب الجزائري[2]:

احيَيْتَ بالعلم شعبًا سِيق مُعظَمهُ ... للقَبْر في كفَنَي جهْلٍ وإِهْمال
وجئْتَ بالنُّور في يُمناكَ ترفَعه ... تَجلو الغَياهبَ عن أَبصار ضُلال
هل كنتَ عِيسىٰ الذي أَحيا الرُّفاةَ بما ... أَحيا وبدَّل آجالاً بآجال

فالشاعر يرمز لفضل محمد البشير الإبراهيمي في إحياء العلم، بعيسى ابن مريم في إحياء الموتى بإذن الله.

وهكذا كثرت الرموز في شعر محمد العيد، إما لغرض سياسي أو تحقيرا للعدو أو لجعل هذه المشاهد ترسخ وتعلق أكثر بذهن القارئ.[3] وبهذا أثبت الرمز وجوده في قصائده على أنه يعتبر ركيزة أساسية لها كيانها وخصوصياتها.

1. محمد العيد، الديوان، ص 444.
2. محمد العيد، الديوان، ص 502.
3. آمنة شنتوف، فاطمة صغير، الخصائص الفنية في الشعر الثوري الجزائري، نماذج من شعر مفدي زكرياء ومحمد العيد آل خليفة، الملتقى الوطني حول: الأناشيد الوطنية ودورها التعبوي خلال الثورة، 15- 16 ماي 2013، الجزء 1، عدد خاص، ص 188.

تمهيد:

ظاهرة التطور مطردة في ميادين العلوم والآداب والفنون لدى أمم العالم جميعها، وهي دليل على أصالة الأمة وقدرتها على الاستيعاب والعطاء، وقد تجلت لنا أصالة أمتنا العربية في غنى أدبها، وتنوعه، ومسايرته للتطور الفكري والاجتماعي في مختلف العصور. فما إن شاء الله لهذه الأمة أن تتخطى المرحلة الجاهلية، حتى عبر أدبها عن الظاهرة العقدية الجديدة وكفاح من أجل تبليغها إلى أمم العالم، وحين استقر بها الحال وخالطت أمما أخرى وجدنا ألوانا جديدة تشيع في روح هذا الأدب وشكله.

والناظر أو المتتبع لتطورات الشعر العربي الحديث يستطيع أن يلاحظ بسهولة أنه قد خضع لجملة من المتغيرات التي طالت جميع وجوهه بما فيها أداته.

إلاّ أننا نجد بأنّ الحداثة في الشعر الجزائري كانت متأخرة مقارنة بالمشرق، وقد أورد أسباب ذلك صالح خرفي وقصرها فيما يلي: " نظرة الجزائري للمستعمر وموقفه منه، موقف الجزائر من الثقافة الفرنسية ... بالرغم من النداءات المبكرة التي رفعها رمضان حمود في العشرينيات "[1].

ومن الإنصاف أن نقول بأنّ الشاعر محمد العيد آل خليفة من الشعراء القلائل الذين كان لهم السبق في التجديد في الشعر، فنجد بأنّ شعره "ليس كله قديما أو خاطئا فإنّ فيه ألوانا أخرى تعتبر الآن من أحدث الألوان. وإذا كان لم يرق في هذا السلم إلاّ بعض درجات فحسبه أنه كان رائدا في بيئة لا تعرف إلاّ القديم، ولا تؤمن بسوى ما جاء على غرار هذا القديم أو اقتبس منه"[2].

ولهذا فقد كان محمد العيد من بين المساهمين في دفع الأمة على طريق النهضة وذلك من خلال دراسته للموضوعات بطريقة جديدة واضحة.

1. صالح خرفي، أصوات في الأدب الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1984، ص 352.
2. أبو القاسم سعد الله، شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، مرجع سابق، ص 237.

"فالذي يتصفح ديوان الشاعر ويمعن النظر في محتواه بحثا عن القضية الأساسية التي تشغل بال صاحبه، سيدرك بوضوح أنّ العالم الذي يشغل اهتمام الشاعر ويملك عليه عقله ووجدانه إنما هو عالم تدور مضامينه وتتركز انشغالاته حول محاور أساسية يمكن ردها إلى أربعة، لا يكاد الشاعر يغادرها إلاّ ليعمقها، ويمكن لها تلكم هي: الوطن والإسلام والعروبة والإنسانية، وهذه الكليات الأربع الكبرى التي تغلب على نتاج الشاعر، وتطبع معظمه بسماتها وشياتها"[1].

فبقراءتنا الفاحصة لديوان محمد العيد نجد بأن هذه الكليات الأربع هي التي يدور حولها معظم شعره، فنجدها متواجدة "الواحدة إلى جانب الأخرى، متداخلة متكاملة يرفد بعضها بعضا، وتصب جميعها في مجرى واحد، وترمي إلى أهداف واحدة، هي الرغبة في معالجة الواقع والنهوض به"[2].

وبهذا تكونت لدى محمد العيد أنفاسه الشعرية الخاصة، ورؤاه الإبداعية البانية، التي أنشدت للإنسان، وغنت للحرية، وطربت للحياة، وخلدت للجزائر أمجادا راسخات رسوخ الجبال تحكيها للأجيال ولا تسأم، وتصدرها للعوالم وهي منتشية، بأنها من نبت هذا الوطن الكبير.

1. محمد بن سمينة، شخصيات لها تاريخ، محمد العيد آل خليفة، مرجع سابق، ص 58.
2. محمد بن سمينة، محمد العيد آل خليفة دراسة تحليلية لحياته، مرجع سابق، ص 141.

المبحث الأول: الشعر الوطني:

هو ذلك الشعر الذي رصد فيه الشاعر كل ما كانت تمر به الجزائر من أحداث وطنية آنذاك، وهذا اللون من الشعر لا يكاد يغادر شيئا من ظروف الحياة في الجزائر، وهو مرآة صادقة وعاكسة لهذه الحياة، لما كانت تعج به من أحداث وما كان يمر بها من مناسبات.

1 / . شحذ الهمم واستنهاض العزائم:

إن استلهام البطولات وإحياء الماضي المجيد لأي أمة من الأمم هو بمثابة جرعة إضافية تعيد الروح إلى الجسد، والجزائر من بين الدول التي كانت في حاجة ماسة لمثل هذه الجرع فراح الشعراء يتفننون بأمجادها وبطولاتها، من أجل شحذ همم شعبهم، واستنهاض عزائمهم لمواجهة واقعهم المرير الذي كانوا يعيشونه ، ومحمد العيد من بين هؤلاء الشعراء الذين كرسوا شعرهم لخدمة شعبهم ووطنهم، فكان يذود عنه، ويرد على كل من يشكك في تاريخ الجزائر وماضيها الزاهر، فعد ذلك بمثابة الحارس الأمين لهذا الماضي المجيد.

فها هو يحث شعبه عن النهوض وإتباع معالم الأقدمين قائلا[1]:

يـا شعـبُ قـمْ علـى الـهُـمـو ... م والـــشُّـؤُوم ثَـائـــرا
يـا شعـب جَـدَّ الـجِـدُّ فَـانْـ ... ـهَـضْ واكْـسِـبِ الـمَـفَـاخِـرا
يـا شـعْـبُ رض بـالـصَّـالِـحـا ... تِ أرْضَـــكَ الـجَـزائِـرا

ففي هذه الأبيات يحث الشاعر الشعب على النهوض إلى كسب المفاخر، وإتباع مآثر الأجداد وإقدامهم، والله قادر على جبر ذلهم، وانكسار شوكتهم، وحماية أرض الإسلام، فهو ولي ذلك والقادر عليه.

1. محمد العيد، الديوان، ص 61.

ويشجع القوم على إتباع طريق الرفعة والعز وترك طريق المذلة والهوان، بقوله[1]:

يـــا قـــومُ طـــال بـنـــا الـهَـــوا ... نُ وســاءَنـــــا سَـفْـــعُ الـلِّـمـــم
وغـــدتْ تـــخـــافُ نـــفـــوسُـــنـــا ... حـتَّـىٰ الـــــذُّبـــــابَ اذا وَنَـــــم
خـــوفُ الـــورىٰ شِـــرْكٌ بِـــخـــــا ... لـــقـــهِـــمْ وَصَـــوْلَـــتُـــهـــم صَـنَـــم
حـــثُّـــــوا إِلـــىٰ الـعِـــزِّ الـخُـطَـا ... ودعـــــوا الـمـذلـــــةَ لِـلـــخَـدَم
لا تـــيْـــأســـــوا فـــالله جـــلَّ ... جـــلالُـــه مُـحـيـــــي الـــرِّمَـــم

يدعو محمد العيد شعبه إلى عدم اليأس ويحثهم على التفاؤل بغد أفضل، وأنّ هوانه وإن طال ما عليهم إلاّ إعلاء هممهم، والعمل على تغيير الواقع المرير، لاستعادة عزتهم بأنفسهم ورفع الذل والهوان عنهم، معتصمين في ذلك بحبل الله تعالى.

كما يحث على الجهاد والمقاومة بقوله[2]:

وجـاهـدْ فـإن الـحـرَّ فـيـهـا مجاهدٌ ... وقـاوِمْ فـإن الـحُـرَّ فـيـهـا مُـقـاوم
وقـمْ فـابن ذكْـرًا عاليَ الصِّيت ماجدا ... كـريـمًـا أَواسِـيـه الـرِّجـالُ الأَكـارم
ولا تأسَ أن صـادفتَ في الناس هادمًا ... لـه فـسـيـبْـنِـي اللهُ مـا هـو هـادم
سيُغنيـك حكمُ الله عن حُكم غيـره ... وحـسـبـكَ أنَّ الله بالـحـقِّ حـاكـم

ففي هذه الأبيات يستنهض الشاعر همم الشعب للكفاح والمقاومة، لأنه لا يليق بالرجال الأحرار الأكارم إلاّ أن يكون لهم ذكر في العالمين، دون الالتفات لفعل الخونة، وأن يأووا إلى جنب الله فهو الحاكم بالحق.

ويقول محمد العيد مذكرا الشباب الجزائري بالماضي المجيد[3]:

1. محمد العيد، الديوان، ص 101.
2. محمد العيد، الديوان، ص 139.
3. محمد العيد، الديوان، ص 149.

دعت البلادُ شبابها فأجابتها عجلاً وحسبُكَ بالشَّباب إذا دُعىٰ
أهلاً وسهلاً بالفِدَا ورجالِه الطَّامحين اليه غيرُ القُنَّع
أذَوِي العِمَائم والعمامَةُ شارةٌ لِليعرُبي وزينة للأَصْمَع
من فيكُمُ يُحيي خلالاً أربعًا يُحيي الجزائر بالخِلال الأَرْبَع
صدقُ (العَتيق) وعَزَّةُ (الفاروق) فِي حِلْم (ابنِ عفَّان) وعِلْم (الأَصلَع)

فالشاعر يذكر الشعب بأمجاده وبطولات ماضيه المشرق وخلالهم، مؤكدا أنّ الشباب أهل للفداء، ذووا همم عالية وعزائم متقدة في التضحية.

كما كان الشاعر حريصا على صيانة حق الشعب من الضياع، وتوجيهه نحو المعالي وفي هذا قال[1]:

واحرُسوا حقَّكم فقد سِيم نهْبًا لا تَناموا عن حقكم لا تَناموا
وجِّهوا وجهَ شعبكم للمعالي فهيَ أَهدافه ونحن السِّهام

في هذين البيتين حث للشعب على استرداد حقه المسلوب، وعدم الخضوع للمستعمر وأن يجعل التخلص منه مراده الأسمى. كما يشجعه على التطلع للحكم والملك بقوله[2]:

فيَا أَيُّها الشعبُ الذَّليل أمَا تَرَىٰ لِجارِكَ همًّا بالسِّيادَة مُولعَا
بَنُو الغرْب حازُوا عالَمَ الأَرضِ كله وإِنَّ لَهمْ في عالَم النَّجْم مَطْمَعا!
فهل حُزتَ في الأَرض التي أنتَ نَجْلُها مِن الحُكْم شِبْرًا أو مِن المُلك إِصْبَعا
بِلادُك في الدُّنيا تِلادُك فارْعَهَا وحاذِرْ علىٰ أَكْنافِها أنْ تُرَوَّعا
وأرضُك في الأَوْطان أمُّك فاحْبُها ببرٍّ ففِي أَخلافها عِشْتَ مُرضَعا

1. محمد العيد، الديوان، ص 180.
2. محمد العيد، الديوان، ص 187.

فمحمد العيد يشحذ همم الشعب، ويعبئه كي يسير على خطى جيرانه في التطلع للسيادة والحرية، متعجبا من الغرب الذي سيطر على أقطار الأرض كلها، ومع ذلك لا يزال يطمح في السيطرة على الفضاء، بينما يرضخ الشعب الجزائري تحت ذل وهوان المستعمر دون همة أو إرادة في استعادة واسترداد ما سلب من حقوقه، ولا سلطة له على شبر من أرضه التي شبّ وترعرع في أكنافها.

ويذكر الشاعر بخيرات بلاده، وكيف أنها نهبت وسلبت من طرف المستعمر فيقول[1]:

لنا وطنٌ مثلُ الفراديس بَهجة ... فكيف رضِينا أن يُداس ويُنهَبا
وكيف رضينا أن نَعيش أذلَّةً ... ضعافًا يَرانا الغير أحْقَرَ مِنْ هَبا؟
حيارَىٰ كقُطعان جفتْها رُعاتُها ... فأغرَت بها خصمين ذئبًا وثعلبا

وفي هذه الأبيات استنهاض لعزائم الشعب، وشحذ لهممهم، عن طريق لومهم وعتابهم على ترك وطنهم تحت وطأة الاستعمار، يداس وينهب وهم مكتوفي الأيدي، راضين بالعيش في ذل ومهانة واحتقار على أرضهم، فزاد بذلك طمع الطامعين وجرأتهم عليه.

ويتمنى الشاعر رؤية وطنه حرا مستقلا فيقول[2]:

وهل شعبُ الجزائر مستفيق ... من الأحلام مطّرح الركود؟
وهل هو بالتحرر سوف يحظَىٰ ... كأمَّة (ليبيا) أو (كالهنود)؟
ولا يُعطَىٰ التحرُّرَ غيرُ شعب ... يُجيبُ إلىٰ المعامع حيْثُ نُودىٰ

فهو يحرض شعبه على النهوض والاستيقاظ، في محاولة من أجل إشعال حماسه لخوض ثورة مسلحة، إن أراد العيش حرا كريما مثل غيره من الشعوب.

1. محمد العيد، الديوان، ص 195.
2. محمد العيد، الديوان، ص ص 200 .201.

كما يدعو إلى التعاون والتجمع لتلبية نداء الوطن فيقول[1]:

رجَـــــالَ ٱلـحـمَـــــىٰ! حـمَـاكُـــــمْ سَـــــأَلْ
فَـلَـبُّـــوا ٱلـحـمَـــىٰ كَـجُـنْـــد نَـسَـــلْ
وَسَـيْـــل هَـمَـــىٰ وَغَـيْـــث هَـطَـــلْ!
أَرَاهُ ٱحْـتَـــمَـــىٰ بـكُـــمْ وَٱحْـتَـفَـــلْ
فَـحُـلُّـــوا ٱلـحُـبَـــىٰ وَشُـــدُّوا ٱلـعُـضَـــلْ
وَضُـمُّـــوا ٱلـقُـــرَىٰ وَلَـمُّـــوا ٱلـكُـتَـــلْ

فالشاعر يخاطب الشعب بأنّ وطنه ينتظر أن يلبي نداءه في الذود عنه وتخليصه من قيود المحتل، كما يستنهض عزائمه للتخلص من الروح الانهزامية، والتحلي بالعزيمة وقوة الإرادة والهمة العالية.

ويخبر عن استفاقة الشعب الجزائري ونهضته بعد طول رقاد بقوله[2]:

فَقُمْ يا ابنَ البلَاد اليوم وٱنهَضْ بلا مهْل فقد طالَ القُعود
وقل يا ابنَ البلاد لكل لصٍّ تجلَّى الصبحُ وانتَبهَ الرُّقود
تَنَادَىٰ المسلمون لأَخذِ حقٍّ أقرَّ به النَّصارَىٰ واليهود
ونحن المسلمين رجالُ سلْم وحرب فيهما زكَت القصود
بذلنا فيهما الأَعمارَ جودًا وليس وراء بذْل العُمر جود

وفي ذلك شحذ لهمم الجزائريين، واستنهاض لعزائمهم، لأن قصورهم طال وحان وقت استرداد حقوقهم، كما أنهم أهل سلم وحرب، يجودون بأعمارهم في المنايا، تظللهم البنود واللحود في إقدام وصمود.

1. محمد العيد، الديوان، ص 233.
2. محمد العيد، الديوان، ص ص 304 . 305.

يسعى الشاعر إلى إثارة الهمم، وهز النفوس الغافلة، ودفعها إلى النضال من أجل الاستقلال فيقول[1]:

حُثُّوا العزائمَ وأَصْدُقوا الآمالا ... إن الزمان يسجِّل الأَعْمالا

يا قوم هُبُّوا لاغتنام حَياتكم ... فالعُمرُ ساعات مرُّ عجالا

الأَسرُ طال بكمْ فطَال عَناؤُكم ... فكُّوا القيود وحطِّموا الأَغلالا

والشعبُ ضجَّ من المَظالم فانشُدوا ... حريةً تَحميه واسْتقلالا

لا أمْنَ الاَّ في ظِلال مُرَفْرِفٍ ... حرٍّ لنا عالٍ يُنير هِلالا

من فوْق جُندٍ بالعَتيد من القُوَىٰ ... يلقَىٰ العدوَّ ويصْمُدُ أَسْتبسالا

واذا أرَادَ الشَّعب نالَ مرادَه ... ولوَ أنَّه كالنَّجم عزَّ منالا

فمحمد العيد يدعو الشعب لاغتنام العمر الذي طال عناؤه وأسره، تحت قيود المستعمر مرغبا إياهم لنيل الحرية والاستقلال، تحت ظل العلم الوطني، محتميا بجيش قوي مستبسل من أجل وطنه وبثقة عالية، كما أنه لو أراد الشعب الحرية نالها، ولو ناطحت النجوم، ما عليه إلاّ إخلاص نيته، وسوف يكون الله تعالى في عونه.

ويتساءل محمد العيد عن موعد استقلال الجزائر، فيقول[2]:

مُتسائلين عن (الجزائرِ) هلِ دَنا ... تحْريرُها أمْ حظُّها الحِرمان؟

ومتَىٰ تقرِّر كالشعوب مَصيرَها ... فقد أقتَضَىٰ تقريرَه الإِبَّان؟

ومتَىٰ يكفُّ عن الخصومة خصمُها ... أو يرْعوِي محْتلُّها الغَضبان؟

ومتىٰ تفوزُ بنعمة استقلالها ... فقد أستقلَّتْ دونَها الأَوطان؟

1. محمد العيد، الديوان، ص ص 339 . 340.

2. محمد العيد، الديوان، ص 356.

وفي هذا طبعا شحذ لهمم الجزائريين، وحثهم على النهوض لتحرير بلادهم من أيدي الظلم والبغي والطغيان، وبالتالي تحقيق غايتها في تقرير المصير كباقي الشعوب الأخرى التي نالت حريتها.

كما يتساءل مرة أخرى عمن للجزائر ليخلصها من قيود الاستعمار قائلا[1]:

من للجزائر يَفتَدِ ... يها اليوم من سَفَه السفل؟
من كل مبتكر المكا ... ئد في عقائده دخَل
يغري النفوس كأنه ... ذئب على حمَل حمل
يا مشهرين من العزائم ... مثل مرهَفة الأَسل
خوضوا بها الأَمواجَ واعْـ ... ـلُوا الشُّهب واقتلعوا القُلل
من قال جلَّ عدوُّكم ... قُولوا له المولَى أجل

فبعدما دب الخلاف والضلال في أوساط الشعب الذي تمكن العدو منه، يستنهض الشاعر هذا الشعب ويدعوه إلى إعلاء همته حتى تلامس الشهب، فيتمكن بذلك من اقتلاع جذور الاستعمار، فهو إن يصدق الله ينصره لأنه نعم المولى ونعم النصير.

ويقول متعطشا لرؤية العلم مرفرفا فوق ربوع الوطن المفدى[2]:

متى يا أيُّها العلَم المرجَّى ... أراك مرفرِفًا فوق البلاد؟
وحولَك أمَّةٌ تفديك حبًّا ... وعنك تَذودُ غاراتِ الأَعادي

وفي البيتين أمل كبير من الشاعر لنيل الحرية، وأن يرى الشعب قائما يذود عن وطنه ويدفع عنه الاحتلال، مضحيا في سبيل ذلك بكل غال، وفي ذلك استنهاض لعزائم الشعب وشحذ لهممه.

1. محمد العيد، الديوان، ص 420.
2. محمد العيد، الديوان، ص 530.

كما نراه يحث على بذل النفس والنفيس في سبيل الحصول على العزة والكرامة فيقول[1]:

إذا ما رمت للأوطان عزا ... فجد بالنفس واستبق الفداء
وان حمل الخصوم عليك يوما ... فقم لنضالهم وخضِ الدِّماء
ألم تر (جعفرًا) قطعت يداه ... بحرب الروم فاحتضن اللواء
وقدم نفسه للموت سمحا ... فنال بها الشهادة والثناء

يستنهض محمد العيد عزائم الشعوب، حاثا إياهم على بذل النفس، والتضحية بها في سبيل عز الأوطان، ومحاربة المعتدين ورد كيدهم، مذكرا إياهم بأمجاد وبطولات الماضي وتضحيات الأمة، وخص بالذكر "جعفر" وهو أحد أبطال هذه الأمة، الذي قدم نفسه ودمه فداءً لدينه ووطنه وأمته، فنال بذلك شرف الشهادة التي يتمناها كل ذي لب حكيم.

وفي الأخير نخلص إلى أنّ محمد العيد آل خليفة قد كان مدافعا شرسا عن الجزائر وقضيتها، كما كان محرضا ومشجعا لشعبه من أجل استنهاض هممه، وشحذ عزائمه، في سبيل الحصول على حريته واستقلاله، ونيل العيش الكريم.

2 / . الدعوة إلى توحيد الصفوف والتأكيد على مبدإ الوحدة الوطنية:

لقد عمل الاستعمار الفرنسي منذ أن وطأة أقدامه أرض الجزائر الطاهرة، على تشتيت الشمل وتفريق الشعب، ومن ثم تقسيمهم جماعات وفرق، كي تسهل السيطرة عليه، لكن الجزائريين وقفوا له بالمرصاد، وعملوا على إفشال جميع مخططاته، وذلك بنشر الوعي بين أفراده، وفي مقدمة من كان لهم الفضل الكبير في ذلك الشاعر محمد العيد آل خليفة، الذي عمل على دعوة شعبه إلى توحيد الصفوف، والتأكيد على مبدأ الوحدة الوطنية، وهذا ما أكده

1. محمد العيد، الديوان، ص 543.

أبو القاسم سعد الله بقوله: "غير أن أول من تعرض له بصراحة وأشاد بهذه الوحدة القومية من الشعراء هو محمد العيد"[1].

ففي قصيدته: "ذكرى المولد النبوي" نجده يدعو فيها الشعب الجزائري إلى استعادة أمجاد الماضي ونبذ الخصومات قائلا[2]:

فـــردُّوا مـجـــدَ مـــاضـيـكـم وحُـــوطـــوه بـــأرصـــــاد
وقُـــوا أنـفـسـكـــمْ نـــــا رَ عَـــداواتٍ وأحـقـــــاد
يـزيـــد الـخـصـمُ أيـقـــادًا لَـهـــا مـــن بـعْـــد إيـقـــاد
أتـنـشـقُّـــون أضـــــدادًا ومـــا أنـتـــمْ بـــأضـــــداد؟

في هذه الأبيات يطلب الشاعر من الشعب استعادة أمجاد الماضي وحمايته، وأن يجتنبوا أنفسهم نيران الحقد والعداوة، التي يزيد العدو إذكائها في كل مرة، في حين أنهم جسد واحد يشد بعضه بعضا.

كما نجده يدعو أبناء وطنه ويوصيهم بالصلح ونصرة شعبهم، بقوله[3]:

أناشدكم يا قوم بالخالق الذي توحد في ذات ووصف وأفعال
بأن تَدْرؤُوا بالصلح كل تفرق عراكم وتحملوا الشعب من كل زلزال
ولا ترتجوا للشعب نصرة غيركم فما غيركم يا قوم للشعب من والي

يخاطب الشاعر الشعب ويحذره من الفرقة والخلاف الذي دبّ في أوساطه، ودعاهم إلى الجنوح للصلح بين أوصال الشعب، ونبذ كل تدخل في شؤونه.

وفي قصيدته: "يا أمة الخير" يحذر من الفرقة ونتائجها الوخيمة، فيقول[4]:

1. أبو القاسم سعد الله، محمد العيد رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث، مرجع سابق، ص 159.
2. محمد العيد، الديوان، ص 78.
3. محمد العيد، الديوان، ص ص 126 . 127.
4. محمد العيد، الديوان، ص 175.

إن الـشقـــــاق فـظـيـــعٌ يـدعـــو لـكـل فـظـيـــع
والـشـــــاة لـلـذئـب سهـــمٌ إن فـــرَّطـــت فـي الـقـطـيـع

في البيتين ينبه محمد العيد ويحذر من الشقاق والفرقة، لأنّ المصير سيكون الخسران وسوء الختام، فيصير الشعب حاله كحال الشاة من قطيع الغنم، فإذا انفصلت عن قطيعها أصبحت لقمة سائغة للذئاب.

يقول محمد العيد مفتخرا بتآزر وتماسك الشعب الجزائري[1]:

ومـا نـحـنُ الا امَّـةٌ ذاتُ نِـسـبـةٍ سَـمـاويـةِ الأَسـبـاب لـنْ تَـتَـقَـطَّـعا
وذريـةٌ لـلأَطْـلـس الـفَـخْـم لَـوْ بِـهِ تـصـدَّت لـنـا ذَرِّيـةٌ مـا تَـصـدَّعـا
اذا مَـا دَعـا (تُـوقَّـر) أَبـنٌ أجَـابَـهُ (بِـجَرْجَرة)[1] أَبْنٌ ليسَ يَخْذُلُ مَنْ دَعا

يؤكد الشاعر في هذه الأبيات على وحدة وتماسك الجزائريين فيما بينهم، والمستمدة من وحدة الدين ووحدة التراب الوطني، وبأنهم كالجسد الواحد، إذا تداعى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

كما نجده يدعو إلى تجنب العنصرية بقوله[2]:

لا تـجـنـحـوا لـلـعُـنـصـريـة إِنـهـا تُـفْـضِـي إِلـى الـتَّـفـريـق والإِعـدام
مـا الـعـنـصـريـةُ غـيـرُ دَاء مُـزْمـن صـعْـب الـعِـلاج ومِـعْـوَل هـدَّام

في هذين البيتين يحذر الشاعر الشباب من مخاطر العنصرية، التي تفضي حتما إلى الفرقة، وبأنها آفة خطيرة، إذا حلت بمجتمع هدمته، وقضت على كل أواصر الوحدة والتلاحم بين أطيافه وطبقاته.

وفي قصيدته "ذكرى المؤتمر" يرد محمد العيد على كل من يحيك المكائد ضد الشعب الجزائري، ويسعى لفرقته بقوله[3]:

1. محمد العيد، الديوان، ص ص 188 . 189.
2. محمد العيد، الديوان، ص ص 240 . 241.
3. محمد العيد، الديوان، ص 305.

ويـا شـعـبُ اجـتـنـبْ حرب التَّعادي وخـــلِّ الـلـغـوَ فـهـو لـهـا وَقـــود
ولا تـزعـجـــك بـــادرةُ أفـتـــراقٍ بـدتْ فـلـكـل عـاصـفـة ركـــود
ولا تـيـأسْ مـــن الـفـوْز الـمـرجَّـى فـقـد يـخـضـرُّ بـعـد الـيُـبـس عـود
بَـغَـى الـبـاغِـي رَدَاك فـخـاب سعْيًا لـلـبـاغِـي الـرَّدَى ولـــكَ الـخـلـود

ففي هذه الأبيات يدعو الشاعر إلى اجتناب التعادي، وذلك بنبذ الحرب الكلامية بين أطيافه، والتي تهدد بالفرقة والتشتت، وبأنّ الذي يذكي نارها حتما سيخيب، وأنّ هذا الشعب سيتحد ويحقق الفوز المرجى منه وينال بذلك الخلود.

ويقول في قصيدته "صرخة ثورية" داعيا إلى لم الشمل ومحاربة دعاة الشتات[1]:

ودَاوِ الـمُـيـولَ بـهَـدْي الـرَّســول فـقـد مَـسَّـهـا طـائـفُ الطَّائـفـيَّـه
ذِئـابُ الشقـاق عَـوَتْ فـي الـبـلاد فَـأيْـنَ الـرُّعـاةُ لـحِـفـظِ الـرعـيَّـه؟

ففي هذه الأبيات دعوة صريحة إلى إتباع هدي الرسول صلى الله عليه وسلم، ونبذ الطائفية والعنصرية، حيث علت أصوات الذئاب بالتحريف والتزييف، في حين أنّ الإسلام قد وحدنا وأزال كل حواجز الطائفية والجاهلية.

كما يدعو الشاعر إلى الوحدة، ويحذر من الشقاق، لأنه شر يتربص بالأمة فيقول[2]:

اذا كـان الـوفـــاقُ لـــه دلـيـــلاً فـمَـجْـلُـوبٌ إِلَـى خـيـر كـثـيـــر
وانْ كـان الـشـقـــاقُ لـه سبـيـلاً فـمـنـكـوبٌ بـشـــرٍّ مُـسْـتـطـيـر
فـقُـمْ وأْهْـتـف بـوَحْـدتـه وحـرِّضْ عـلـيْـهـا فـهْـيَ كـهْـف الـمُـسْتجير
وكُـنْ عبـدًا لـهـا واطْـلُـبْ رضـاهـا ولـوْ بالـصَّـبـــر والـذُّلِّ الـمـريـر
أذانـــاتَ الـسَّـــلام غـدًا تُـدوِّي فـيُـسْـكـتَ صـوتـهـا صـوتَ النفير

1. محمد العيد، الديوان، ص 419.
2. محمد العيد، الديوان، ص 423.

فإذا جنح الشعب إلى الوفاق فإنه سينال الخير الكثير، أما إذا سلك سبيل الشقاق فإن مصيره الخذلان، وبأنّ السبيل الوحيد لنجاته وخلاصه هو الوحدة، ولو بتحمل الذل لأجلها وبأنّ كل دعاوى الشقاق ستزول إذا نالت البلاد استقلالها.

كما نجده يقول في قصيدته "الذكرى العاشرة لفاتح نوفمبر"[1]:

ودعْ عنك أسبابَ التَّنازُع واعْتصِم بميثاقكَ الثّوريِّ واشدُدْ بع ازْرا
وحكِّمْ كتابَ الله في كلِّ فِتنة فتَحكيمُهُ لابد أن يُطْفِئَ الجَمْرا

فالشاعر يدعو هنا إلى ترك كل أسباب النزاع والاختصام، كما يدعو إلى الاعتصام بميثاق الثورة، والاحتكام إلى كتاب الله في كل فتنة، فهو وحده كفيل بفض أي نزاع، وبث أواصر الوحدة والتلاحم بين صفوف الشعب.

وخلاصة القول أنّ الشاعر محمد العيد قد كان شاعر الجزائر بحق، فقد دافع عنها بكل إخلاص وتفاني، كما كرس شعره لخدمة شعبه ودعوته إلى التآخي والتكافل فيما بينه وتوحيد صفوفه، وتكاتفه للوقوف في وجه كل الطامعين.

3 / . الحرص على اللغة العربية وتمجيدها:

مثلما سعى الاستعمار الفرنسي إلى التفرقة بين الجزائريين وتشتيتهم، فإنه سعى أيضا إلى تجهيلهم وطمس معالمهم التاريخية، وذلك بمحاولة القضاء على اللغة العربية، واستبدالها باللغة الفرنسية، حتى يتمكن من القضاء على الهوية الجزائرية نهائيا، لأنه تفطن إلى أن بقاء اللغة العربية يعني بقاء الكيان والوجود الجزائري، فاللغة من أهم مقومات هذا الوطن، بل إنها مقوم أساسي، ولهذا فقد حظيت باهتمام بالغ من قبل الباحثين والشعراء وأهل اللغة، ومن

1. محمد العيد، الديوان، ص 440.

الشعراء الذين أولوا اللغة العربية قسطا وفيرا في أعمالهم نجد الشاعر محمد العيد آل خليفة فقد دافع ومجد لغة الضاد في كثير من أشعاره، حيث يقول[1]:

وتجلَّت فُصحى اللغاتِ كشمسٍ فخبا كلَّ كوكب مُتلالي
زانكَ الضَّادُ من لسان بديعٍ أيُّها الفَيْلَمُ البديع الجمال

ففي هذين البيتين يثني الشاعر على اللغة العربية، بجعلها شمس اللغات، لحسن بديعها وللمغازي العلمية التي تبديها.

كما يوصي الشاعر بالمحافظة على اللغة العربية بقوله[2]:

لكمُ اللسانُ الفَذُّ في إيضاحه رَغْمًا على السَّاعين في إبهامه
لا تُهملوا هذا اللسانَ ففقدكُمٌ في فقدِه ودوامُكم بِدوامه

وهي دعوة صريحة من الشاعر إلى التمسك باللغة العربية، لأنها تمثل هوية الشعب ووجوده وكيانه.

ونجد محمد العيد يدعو إلى تفضيل الفصحى على باقي اللهجات بقوله[3]:

ولو آثروا الفُصْحَى على لَهَجَاتِهم لَرَدُّوا إلى أحضانها مَن تغرَّبا!
فإن لسانَ الضَّاد لم يُعْزَ أصلُهُ (ليَعْرُبَ) بين اللُّسن إلاَّ ليُعْربا

في هذين البيتين يؤكد شاعرنا على إيثار العربية الفصحى على باقي اللهجات المنتشرة حتى تستعيد مكانتها التي لطخها الاستعمار.

كما يفخر بأصله وسلالته ولسانه العربي فيقول[4]:

1. محمد العيد، الديوان، ص 25.
2. محمد العيد، الديوان، ص 91.
3. محمد العيد، الديوان، ص 196.
4. محمد العيد، الديوان، ص 205.

ونُقْصَى عَن الفُصحى ونُلهَى بغيرِها ... ولَيْسَ سوَى الفُصحى لسانٌ لنا (رَسْمِي)
وما نحنُ إلاَّ مِن سُلالة يعرُبٍ ... فمَن رامَ عنها فصْلها باءَ بالرَّغم
سلامٌ كأزهار الرُّبى طيِّب الشَّذى ... على كل قُحٍّ فِي عُروبته شهْم
على الْعَرب الأَحرار مَن كان عاربًا ... ومن بَاد قِدْمًا من جَديسٍ ومن (طَسْم)

ففي هذه الأبيات يشير محمد العيد إلى إقصاء اللغة العربية، واستبدالها باللغة الفرنسية من قبل المستعمر، ثم يؤكد على أنّ الشعب الجزائري من سلالة العرب، ويسلم على كل فصيح حر شهم، وعلى من لحقهم في الفصاحة والفهم، ومن برعوا في علوم اللغة ومن نشروها في مشارق الأرض ومغاربها، وأعلوا قيمتها في البداءة والختم.

وفي قصيدة "الثورة العظمى كسبنا نصرها" يحث الشاعر على تعلم اللغة العربية وحمايتها فيقول[1]:

وتعلَّموا فُصحَى اللُّغات فإنها ... عُلْوية الأَسرار والأَنغام
كُونوا معَ التعريب واحموا جنْبَة ... لا تَنْسَخُوهُ بنُقْطة الإِعجام

فالشاعر هنا يدعو إلى تعلم اللغة العربية لأنها تسمو بسمو الوحي الذي نزل بها وكذا حمايتها من كل محاولات استنساخها واستبدالها بالأعجمية.

أما في قصيدته "هذه قمة الفتوة" فيدعو الشاعر إلى تعلم اللغة العربية وقواعدها بقوله[2]:

وتعلم قواعدَ النحو والصر ... ف وَرُضْها بمنطقٍ وبيان
إنها كلُّها وسائل فهْم ... لمعاني الحديث والقرآن
واذا نلتَ من لسانك حظًّا ... وافرًا فانتفعْ بكلِّ لسان

1. محمد العيد، الديوان، ص 240.
2. محمد العيد، الديوان، ص 266.

فمحمد العيد يحث على تعلم قواعد اللغة العربية،من نحو وصرف وغيرهما، لأنها سبيل فهم معاني القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وإذا تمكن المرء من لغته نبغ فيها كما أنّ محمد العيد بدعوته القوية للإقبال على العربية وقواعدها لا يهمل أهمية تعلم باقي اللغات، بل عليه الانتفاع منها أيضا.

ويقول الشاعر في تهنئته للشيخ البشير الإبراهيمي، بمناسبة انتخابه عضوا مراسلا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة[1]:

أدْركتَ في الفُصْحَى مَدارك لم يكُن ... في العَصْر ذُو أدَب إليها وَاصلا
بارَيْتَ فيها المجدَ عَبْرَ مُحِيطِهِ ... والمجْدُ لا يَعْدُو ٱلْمُجِدَّ العَامِلا
ناهيكَ بالخُطَب الفصاح شواهدا ... أدْهَشْتَ أشْهادًا بها ومَحَافلا
مهْمَا خطَبْتَ لفْظَك لهْجَةً ... وأصبتَ في المَعْني كلَّ ومَفَاصلا

في هذه الأبيات يمدح الشاعر الأستاذ الإبراهيمي، بأنه بلغ في الفصحى مبلغا لم يبلغه أدباء عصره، حتى بارى قاموس المحيط للفيروز أبادي، وأدهشت خطبه الفصيحة في معانيها الكلية والجزئية الأشهاد والمحافل، وفي هذا إشادة باللغة العربية وتأكيد الحرص عليها.

وفي القصيد الخالد الذي ألقاه محمد العيد في الذكرى الأولى لوفاة فقيد العلم والعلماء الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، يقول[2]:

ما كان شُغْلُك إلاَّ صنْعُ أدمغة ... او صَوْغُ ألسنةٍ من معْدنٍ عالي
أراك في حَمْلة التعريب قائدَها ... فكيْفَ تفشَل من تَثْبيط خُذَّال
أدِّ الرسالةَ ما وَاتاك حاضرُها ... وكنْ بمسْتَقْبَل التَّعريب ذا فال

1. محمد العيد، الديوان، ص 411.
2. محمد العيد، الديوان، ص 504.

فالشيء الذي كان يشغل بال الإبراهيمي هو صناعة الأدمغة وتعليم العربية، حيث كان قائدا لحملة التعريب، رغم ما كان يلاقيه من تثبيط لعزيمته وإرادته، وقد حثه محمد العيد على مواصلة هذه الحملة متفائلا بمستقبلها، وهذا ما يؤكد حرص الشاعر على اللغة العربية وتعليمها. ويقول الشاعر في فضل البيان على العرب[1]:

هم العَرَب الفصاحُ لهمْ بَيانٌ ... مُبينٌ ليس فيه أقلُّ وصْمَهْ
مقيمُ اللَّسْنِ فَظَّلَهمُ بَيَانًا ... وشِعْرًا، مِنَّةً مِنْهُ ورحمهْ
وإنَّ مِنَ البَيَانِ لَنَا لَسِحْرًا ... وإنَّ مِنَ القَريضِ لَنَا لَحِكْمَهْ

فالعرب الفصاح ليس لهم زلل ولا خطأ في اللغة العربية، لأنّ الله تعالى فضلهم بالبيان والشعر على كثير من الأمم والشعوب الأخرى تفضلا منه ومنةً، فكان لهم فيه جمالا وسحرا وحكمة لم توجد لسواهم.

وفي القصيد الذي نظمه محمد العيد مجيبا به "اتحاد الكتاب الجزائريين" بعد تسلمه جائزتها الأولى سنة 1966 يقول[2]:

نطلب العلم باللغات جميعا ... لا نبالي منها بسهل ووعر
قد فتحنا لها المجال فسيحا ... ولسان الفصحى أحق بصدر
كيف يقضى بموته وهو حي ... في شراييننا مع الدم يجري

فطلب العلم يكون بجميع اللغات دون الاقتصار على السهل منها، ولا نستغني بلغة عن لغة أخرى مهما تناهت في العظم، ولكن تبقى الفصحى أحق بالصدارة لأنها لغتنا تسري منا مسرى الدم في العروق حية لا تموت.

وبهذا نستنتج أنّ محمد العيد عمل على تمجيد اللغة العربية، وإعلاء قدرها، والسمو بمكانتها بين اللغات الأخرى، لأنها تعد رمز الوجود ورمز الخلود، لذا نجده حريصا أيما حرص على تعليمها وترسيخها بين الناشئة، حتى تضل شامخة نعتز ونفتخر بها على مر الزمان

1. محمد العيد، الديوان، ص 519.
2. محمد العيد، الديوان، ص 550.

المبحث الثاني: الشعر الديني.

لقد امتاز الشعر الديني بتنوع الموضوعات وغزارة الإنتاج، لما كان له من دور كبير وخطير على الساحة الأدبية والروحية والسياسية الجزائرية، حيث إنه يمثل قسما كبيرا من الشعر الجزائري الحديث، كما أنه حضي بمكانة كبيرة لدى الشعراء، فنجد بأنّ الشعر الديني عند الشاعر محمد العيد آل خليفة يمثل غالبية شعره، وهو شعر إصلاحي بالدرجة الأولى فالإصلاح سمة بارزة على شخصيته، فنجد بأن معظم أشعاره عبارة عن ابتهال إلى الله تعالى، وتمجيد للشهادة والشهداء، وللعلم والعلماء، واحتفاء بالأعياد والمناسبات الدينية ونصح وإرشاد وتوجيهات لمختلف فئات المجتمع، وغيرها من القضايا الإصلاحية والتربوية.

1 / . الدعوة إلى التمسك بالعقيدة الإسلامية والأخلاق السامية:

إنّ أشعار محمد العيد مرتبطة ارتباطا وثيقا بالأخلاق الفاضلة والقيم النبيلة، كونه ينتمي إلى الحركة الإصلاحية، والتي تحولت إلى نزعة ثورية يؤطرها الوازع الديني، والدعوة للجهاد في سبيل الله لنصرة الوطن، فكان للدين الإسلامي دور كبير وأساسي "في تعبئة الجماهير ونفخ روح التضحية والفداء في النفوس، باعتبار ذلك جهادا في سبيل محو الشرك ومقاومة الطغيان"[1].

يقول محمد العيد واصفا كتاب الله ومعتزا بالدين الإسلامي[2]:

كتاب الله كنز ليس يَفنى ... وشمس لا يغيب لها ضياءُ
هدىً للمتقين فكن تقيا ... وسَلْه من الهداية ما تشاءُ
تَداوَ به من الأَسقام تَبْرأ ... ففيه لكل ذي سقَمٍ شفاءُ

1. يحي الشيخ صالح، شعر الثورة عند مفدي زكرياء دراسة فنية تحليلية، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر ط1، 1987، ص 85.
2. محمد العيد، الديوان، ص 538.

فالقرآن الكريم هو الكنز الذي لا يفنى، والشمس التي لا تغيب، لأنه نبع الهدى لمن يبحث عن الهداية ومصدر الشفاء من كل الأسقام لمن يبحث عن الدواء.

ويقول الشاعر مشيدا بالإسلام وحاثا عليه وعلى إتباعه[1]:

وأشِـــدْ عـلـــى الإِســـــلام أرْ ... كـــانَ الـفـخـامَـــة والـعِـظَـم
ديـنُ الـسَّـمـاحـــةِ فـي الـفـــرا ... ئِـــضِ والـعـدالـــة فـي الـقِـسَـم
ديـنُ اشْـتـــراع الـصَّـالـحـــا ... تِ وديـــنُ إِيـفـــاء الـــذِّمـــم
ديـــن الـمـرافـــق والـمَـــرا ... شـــد والـمـكـــارم والـعِـصَـــم
فَـامْـنَـعْـــهُ مـــن كـــلِّ الأَذَىٰ ... مـنْـعَ الـضَّـرَاعِـــم لِـلأَجَـم

فمحمد العيد يدعو إلى الإشادة بأركان الإسلام، وما حوته الشريعة من أخلاق عالية وقيم سامية، حاثا على التمسك به والذود عنه.

كما يقول معظما للشعائر الإسلامية[2]:

أوصيـك من شعري بخالص نصْحه ... والـشعـرُ فـيْـضُ الـوَحْـي والإِلـهام
قـمْ بالشَّعائـر مـا اسْتطعْـتَ مصلِّيا ... ومـزكِّـيًـا ومـؤدِّيًـا لـصـيـام
كـنْ مـؤْمـنًـا كن مُـحْسنًا كن مخلصًا ... كـن مستقيمًـا كـن وفـيَّ ذِمـام!
كـنْ كـ(ابن بَـاديس) الإمام مُـجاهدا ... أو كـنْ كَـ (عـبـد القادِر) الـمِقْدام

في هذه الأبيات يوصي الشاعر الإنسان بخالص النصائح، وهي الحرص على تأدية شعائر الإسلام، وأن يكون مستقيما وفيا لدينه، وأن يتخذ له قدوة في حياته، كأن يكون كابن باديس في جهاده، وأن يكون كعبد القادر في إقدامه وبسالته.

لقد ألقى محمد العيد قصيدة في افتتاح نادي النهضة بالبليدة يحث فيها الشباب على العلم ومكارم الأخلاق يقول فيها[3]:

1. محمد العيد، الديوان، ص 100.
2. محمد العيد، الديوان، ص 239.
3. محمد العيد، الديوان، ص 94.

يـا فـتـيـة الـنـادي ومـعـشَـرةُ الأُلى ساقـوا إلـيـه بـه الـقلوب وشاقـوا
داووا بـه مرض الـهوى كـمـصـحـة فـيـهـا لـكـل وجـيـعـة تـريـاق
واحـمـوا بـه الأَخـلاق من إِخلاقها يَـعْظُمْ لكم فـي الصالـحات خَلاق

يدعو الشاعر في هذه الأبيات فتية النادي إلى جعله مصحة تعالج وتداوى فيها كل الأمراض والأسقام، وبأن يحموا الأخلاق من كل ما يشوبها ويفسدها من انحراف أو زيغ.

ويقول محمد العيد داعيا إلى إتباع هدي الرسول صلى الله عليه وسلم[1]:

وتـــابـعِـــي هـــدْيَ طـــهَ وشَـايِـعِـــي وأذِيـعـــي
فـمـا لَـه مـن ضَـريـب فـي هـدْيـه أو ضَـريـع
هـــو الـمشفَّـع فـينـا يـوم الـحسـاب الـمُريـع
فـــلا عـدمـنـاه نُـورًا ورحـمـــةً لـلـجـمـيـع

يدعو الشاعر إلى إتباع سنة الرسول الكريم ونشرها، والاقتداء به واقتفاء أثره، لأنه النور المبين والرحمة المهداة، والشفيع يوم الحساب.

ويثني محمد العيد على عدل الدين الإسلامي ومبادئه السامية فيقول[2]:

جـعـل الـشَّـرائـعَ أنـهُجًا مرضية والأَنـبـيـاءَ أدلَّـةً أبـرارا
واخـتَـصَّ بـالـمِـنـح الـعِظام محمَّدا مـنـهـم فـكـان الـخـاتـمَ الـمُختارا
آتـاهُ قـرآنـا يـحُـضُّ على الـهدى ويـفـصِّـل الأَحـكـام والأَخـبـارا
وشـريـعـةً تُـعطِي الـحقوق سويـةً لـلـنـاس لا مَـيْـزًا ولا اسْـتِـئْـثَـارا
شمسٌ من الأُفُق الـمقدَّس أشـرقت فـارتـدَّ لـيـل الـعـالَـمـيـن نـهـارا

فالله تعالى أنزل الشرائع عن طريق رسله، وأعظم شرعة أنزلت على أعظم نبي، هي القرآن الكريم، الذي شملت أحكامه كل ما فيه سعادة وراحة للبشرية، فمن تمسك به لا يضيع ولا يشقى أبدا.

1. محمد العيد، الديوان، ص 175.
2. محمد العيد، الديوان، ص 112.

كما يحث الشاعر على الأعمال الصالحة فيقول[1]:

فتبرَّعوا بالمال فيه لمَعْهد ... حرٍّ ودار أَسندتْه بذاتها
وتسابقوا في الصَّالحات فإنكم ... اهلٌ لنيْل السَّبق في حَلَباتها
(وَقُلِ اعْمَلوا) اوصَى الإلهُ بها فمَن ... يعمَلْ له حُسْنَى يَنَلْ حَسَناتها
انتمْ صَناديدُ الجزائر فابْعَثوا ... مجْدَ الجزائر وآهْتفوا بحَياتها!

فنجده هنا يحث على الصدقة وبذل المال لدار الطلبة التي أنشئت بقسنطينة، ويرغبهم للتسابق في فعل الصالحات، لأنّ الجزاء يكون بقدر العمل، ثم يثني على الشعب لبعث روح التضامن في قلبه.

كما يحث الشباب على الثبات على دين الله وعدم إتباع الهوى والمغريات قائلا[2]:

نتمنَّى لك الثباتَ على الرُّ ... شد وما أنتَ عندنا مُستراب
نتمنَّى بالدِّين أن تتحَلَّى ... مَن تحلَّى بدينه لا يُعاب
انما الدِّين للُّيوث عرينٌ ... لا تغُرَّنْك بالعُواء الذِّئاب
انما الدِّين في المَبادِيء رأسُ ... المجد منها وغيْرُهُ أذناب

فهذه الأبيات دعوة للشباب إلى عدم إتباع مغريات الدنيا الفانية، والتمسك بالدين، لأنه رأس كل فضيلة، وأساس كل مجد ينشده الإنسان.

كما يقول ناصحا وموصيا الناس بعديد الخصال[3]:

واستعنْ بالاله يمنحْك عونا ... وَكفى بالاله من مُستعان
وعلى الصدق فابْن وأعْمل بعلم ... لا بجهل يَجرُّ للخُسران
قدِّم الفقهَ والفرائض واستقـ ... رئ أصول التوحيد بالإتقان

1. محمد العيد، الديوان، ص 213.
2. محمد العيد، الديوان، ص 260.
3. محمد العيد، الديوان، ص 266.

فهذه الأبيات عبارة عن نصائح ووصايا من الشاعر للشباب، لبعث قيمهم من جديد كإخلاص النية والقصد في الأعمال، والصدق والعمل بعلم، وإتقان فقه الفرائض والأصول وكلها مبادئ وأعمال تقرب الإنسان من خالقه.

ولما رأى محمد العيد أنّ بعض الشباب قد استخف بالقيم، وعدها من أسباب التخلف والتعصب أنشد يقول[1]:

جَارَ الشبابُ على القيَمْ ... وَرَمَى الشرائعَ بالتُّهَمْ
وَأَبَى النَّصِيحَةَ تَابعًا ... لِهَوَاهُ يَخْبِط فِي الظُّلَمْ

في هذه الأبيات دعوة للشباب إلى العودة لجادة الصواب، وترك الهوى المظل الذي يهلك صاحبه، والتشبث بقيم الدين الإسلامي لأنّ فيها كل سبل السعادة والفلاح.

ويحث الشاعر على مكارم الأخلاق التي بها قوام الشعوب في قوله[2]:

وقوام الشعوب خُلق سليمٌ ... مستقيمٌ فكن قويَّ القِوام
وبتقوى الإله تَقْوى فخذْها ... لك زادا لعيش دار الدوام
شغلتنا حياتُنا عن مداها ... فأمِنَّا مصائرَ الأيَّام
ليس غيرُ المتاب حبلَ نجاة ... في حياة لُجيَّة الآثام
رَبِّ فاقبَل متابَنا واعفُ عنَّا ... وأثبنا الرضى وحسنَ الختام

في هذه الأبيات دعوة إلى الاستقامة على الخلق السوي، لأنه أساس قوام الشعوب ودخوله الجنة، وأنّ حياته الدنيا المليئة بالآثام تستلزم التوبة والإنابة، لنيل رضا الله وحسن الختام.

وخلاصة القول أن التنشئة الإسلامية التي قام عليها محمد العيد آل خليفة وانتماءه إلى الحركة الإصلاحية، جعل من أشعاره بلسما شافيا للمجتمعات المريضة، وذلك من خلال

1. محمد العيد، الديوان، ص 518.
2. محمد العيد، الديوان، ص 500.

دعوته الصريحة للتمسك بالعقيدة الإسلامية والأخلاق والقيم العالية، في سبيل تثبيته على الحق ومقاومته للشرك والخرافات السائدة.

2 / . الحث على طلب العلم وتمجيد العلماء:

لقيام أي حضارة من الحضارات، ولنهوض أي أمة من الأمم، لا بد من توفر جملة من الشروط يحددها أهل الاختصاص، ومن بين أهم هذه الشروط وأبرزها " العلم " الذي يعد المقوم الأساسي الذي تبني عليه الحضارات والأمم أسسها وأمجادها، وقد عانت الأمة الجزائرية إبان الاحتلال الفرنسي ويلات الجهل والأمية، فعاشوا تبعا لغيرهم، لا قيمة ولا رأي لهم، مما حز في نفوس أدبائها وشعرائها ومصلحيها نوعا من الغيرة على أبناء وطنهم فعملوا على النهوض بهذا الشعب المستضعف، وإخراجه من ظلمات الجهل إلى نور العلم والمعرفة وممن كان لهم الفضل الكبير في ذلك، شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة الذي كثيرا ما تغنى بالعلم، ومجد العلماء في أشعاره.

فها هو يقول حاثا على تمجيد العلماء ورافعا لقدراتهم[1]:

أجلُّوا رجال العلم بين ربوعكم ... فقدْرُهُمُ وافي الرجاحة عالي
ولا تقبلوا فيهم وشاية خائن ... ونفثة مغتاب وبغضة قالي
فتلك عراقيل يعانون وعرها ... على أنّهم لا ينثنون بحال

في هذه الأبيات يدعو الشاعر إلى إجلال العلماء لعلو قدرهم، محذرا من قبول وشاية الخائنين فيهم، وهم صمود رغم ما يعانون من عراقيل.

كما يحض الطلاب على الأخذ بكل أسباب تحصيل العلم فيقول[2]:

1. محمد العيد، الديوان، ص 13.
2. محمد العيد، الديوان، ص ص 89 . 90.

العلمُ صَرْحُ مجادة وسعادة ومن التَّعلُّم شِيدَ ركنُ قِوامه
والعلم لما تنْحصِرْ أفهامُه فتنافسوا يا قومُ في أَفهامه
العلم أعمالٌ تزاولُ لا منًى تُنوَى فسيروا في هدَى أَعلامه

إنّ أساس صرح المجد والسعادة هو التعلم والتنافس في فهمه، وهذا لا يتأتى بالأماني، بل يبلغ فيه المرء مبالغه بقدر الجهد المبذول في طلبه، أو بقدر تعمق ووغول العبد في سبل تحصيله.

ويحث محمد العيد في قصيدته "يا قوم" على البحث والتعلم فيقول[1]:

البحث سبل فاسلكوها رشَّدا بالعقل فهو دليلها السَّبَّاق
فكُّوا به الأَعناقَ من أطواقها فلَطالما قعدت به الأَطواق

وهي دعوة إلى البحث والجد في سبيل تحصيل المعرفة، حيث يكون العقل هو القائد والمرشد فيها، فبالعلم وحده يمكن فك قيود النفوس من الجهالة والهوى والوهم الذي يطوقها.

ويدعو الشاعر إلى العلم والتعلم قائلا[2]:

والعلمُ أَحْصَنُ ما لاذَ الرجالُ به مَن فاتَهُ العلمُ دِيسَت أرضُهُ ورُمي
يا نازلين على الأرحام في كنَف من الأَخُوَّةِ سامِي القَدْرِ والعظم
هُبُّوا على العلم أنفاسًا مباركةً ورفرفوا فيه أعلامًا على علَم
واستقبلوا الفوْزَ في العُقْبَى على عمل بالمِسكِ مفتَتَح بالمسكِ مختَتَم

يثني محمد العيد هنا على العلم، بأنه مطية إلى السؤدد والقوة، وأنّ من لا علم عنده يرمى وتداس أرضه، ثم يحرض على طلب العلم الذي تكون عقباه الفوز.

1. محمد العيد، الديوان، ص 94.
2. محمد العيد، الديوان، ص 104.

ويمدح أهل العلم فيقول[1]:

ومن العلم للمواطن تاجٌ ... ماجدٌ يحتفي به الأمجاد
أيها الشعبُ خذ من العلم حَظا ... لم يشُبّهُ زَيْغٌ ولا إلحاد!

في هذين البيتين يحث محمد العيد على طلب العلم، لأنه تاج يحتفى به لمن يبتغي المجد والأمجاد لا تتأتى إلاّ لذوي العلم من أبناء الوطن، فأهل العلم هم أمجاد الأمة وفخرها، كما يدعو الشعب إلى أخذ حظه من العلم دون حياد عن الحق أو إلحاد.

ويحث الناس على العلوم الدنيوية لأنها حمى حصينة لحياتهم بقوله[2]:

وفي الزمن الحالي وجدتم لعونكم ... قُوىً لم يجدها الناس في الزمن الخالي
مصانع من يقصد لها يلق عندها ... من الصنعة المثلى غرائب أشكال
أرى درسها فرضا عليكم فواصلوا ... مدى العمر ترحالا إليها بترحال
خذوا حظكم منها كبيرا فإنكم ... كبار وأمثال لها جد أمثال

في هذه الأبيات يرغب الشاعر الشعب الجزائري على دراسة مختلف العلوم، وأن يسخروا حياتهم للبحث والدراسة لمختلف المصانع، وطرائق عملها وتأسيسها في بلدهم، لتحقيق نهضة علمية حقيقية، تُلم بجميع فنون العلم الجديد منها والقديم جنبا إلى جنب لتكتمل المنفعة، وعدم تحكيم الأهواء والأوهام التي لا تعود بشيء من الخير لا للبلاد ولا العباد.

ويؤكد الشاعر على دور العلم في النهوض بالأمم وما للجهل من خطر عليها فيقول[3]:

1. محمد العيد، الديوان، ص 121.
2. محمد العيد، الديوان، ص 126.
3. محمد العيد، الديوان، ص 145.

العِلمُ سلطانُ الوجود فسُدْ به ... مَن شئتَ أوْذُدْ عن حياضِكَ وادْفَع
والْجأْ لهُ بدَلَ الحُصون فلا أرَىٰ ... حِصنًا كمَدرسَةٍ سَمَتْ أو مَصْنَع
قُلْ للجزائر أنشئي كُلِّيَّة ... تَمحُو جَهالَة شعْبكِ المُتَسَكِّع
الجهل أشبه بالغراب فمَا له ... من مَنزِلٍ غيْر الخراب البَلْقَع

يحث الشاعر في هذه الأبيات على اتخاذ سلطان العلم بدل سلطان السلاح في الدفاع عن الحصون، ثم يحذر من الجهل لأنه أكبر خطر يحدق بالأمة، وأنه لا أمل لهذه الأمة في التطور ما لم ينكب أبناؤها على التنقيب في مختلف العلوم واستطلاع ينابيعه، وعندها فقط سوف يسطع فجر الأمة من جديد.

كما يحث أيضا على تعليم جميع الجزائريين دون استثناء فيقول[1]:

علِّموا أهلَكم من العلم حظًّا ... نَافعًا تستغلُّه الافهام
علموا الطفل ما به يتزَكىٰ ... قبلَ أن يستبين منه احتلام
علِّموا البنت ما به تحصِن النفـ ... ـسَ لينكفَّ عن أذاها اللئام
علموا المرءَ كل ما فيه مجدٌ ... وشُفوفٌ لقَدْرِهِ واحترام
علِّموا المرأةَ الحقائقَ في الدِّيـ ... ـنِ فقد طوحت بها الاوهام

يؤكد الشاعر ويحث في هذه الأبيات على تعليم الناس أجمعين للعلم النافع، دون الاقتصار على فئة معينة، فكما دعاهم إلى تعليم الطفل ما يزكي به نفسه قبل احتلامه، وما تصون به البنت نفسها، والمرأة حقائق دينها، وتعليم المرء كل ما يزيد احترامه وتسمو به نفسه، دعاهم كذلك إلى تعليم أمة الجزائر العلم والدين لأنهما دليل خيرها وحريتها.

ويشيد محمد العيد بمكانة أحد علماء الجزائر الكبار- محمد البشير الإبراهيمي - بقوله[2]:

1. محمد العيد، الديوان، ص ص 178 . 179.
2. محمد العيد، الديوان، ص 186.

يُبايعُ قلبي قبلَ كفِّيَ عالمًا ... على الملك أربَى قدرُهُ وترفَّعا
تَغذَّى من الفُصحى بِمَحْضِ لبانِها ... وشبَّ على آدابها وترَعْرَعا
أدْرَك من فِقْه الشّريعة سؤْلَه ... وأصَّل في شتَّى العلوم وفرَّعا
وسار الى السِّتين يحْملُ عِبْئها ... وعِبْءَ المَعالي مَا وَنَى أو تزَعْزَعا
لقد عنَّ لي من دَرْسه أن عقلَه ... بفَلْسفَةٍ دِينيةٍ قد تشَبَّعا

في هذه الأبيات يمجد الشاعر ويثني على الشيخ الإبراهيمي، الذي علا قدره وارتفع على رأس جمعية العلماء المسلمين التي ساسها بحكمة وعلم، كيف لا وهو من شب وترعرع على الفصحى وآدابها، كما تشبع فقه الشريعة وأصل في شتى علومها.

وفي القصيدة التي ألقاها في الاحتفال الذي أقيم بمدينة (باتنة) على شرف البعثة الأزهرية يقول[1]:

ما أجدرَ العلماءَ ان يُعْنَى لهم ... ويُطاعَ أمْرُهم الأسَدَّ الأرْشَد
فَهُمُ المُلوكُ ولاؤُهمْ لا ينقَضى ... والأغنياءُ ثَراؤهُمْ لا يَنْفَد
في كلِّ عهْد غَابرٍ أو حاضر ... عرشٌ يُشادُلَهم وتاجٌ يُعقد
يا موكبَ العلم المنير تحيةً ... من شاعرٍ يرعَى الصَّنيعِ ويَحْمد

فالرجل العليم يعتبر ملكا على رؤوس قومه بامتلاكه لثروة عظمى لا يضاهيه فيها أحد ألا وهي العلم، فقوله مسموع وأمره مطاع، كما أنّ للعلماء مكانة عالية بين قومهم في كل زمان ومكان، ولا يقبل أقل من هذا القدر وهذه المكانة لأناس كرسوا حياتهم لخدمة شعبهم وأفنوها في تعليمه.

ويقول في ثنائه على جهود العلماء في نشر العلم وتنشئة الأجيال[2]:

1. محمد العيد، الديوان، ص 227.
2. محمد العيد، الديوان، ص 238.

قف بي نُحيِّ معاشرَ الأعلام بتحيـة كالعارض البسَّام
ونوفهم شكرًا وتمجيدًا لمَا بَذلوه في التَّعليم من إسْهام
قد وجَّهوا الجيلَ الجديد وجاهَدوا للكشْف فيه عن النُّبوغ الْخَام
من رامَ بُرْهَانًا على إنتاجهمْ فأمَامه هذا الشبابُ النامي

وفي هذه الأبيات شكر وثناء للعلماء على ما بذلوه من جهود جبارة في تعليم وتنشئة الأجيال، كما يمجد الشاعر مهنة التعليم لأنها أسمى وأنبل مهنة ويكفي المعلم فخرا أن التعليم وظيفة الأنبياء والرسل، وكما يقال: "قم للمعلم وفه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا".

ويدعو الشاعر أيضا إلى الجد في طلب العلم والاستكثار منه فيقول[1]:

لا تكن قانعًا وقل ربِّ زدْني منكَ علْمًا ولا تملّ للتَّواني
ليس للعلم في الدراسَة حدٌّ فاطلُب العلم جاهدًا كُلَّ آن

يدعو محمد العيد في هذه الأبيات إلى عدم الاكتفاء من العلم مهما بلغ، ومواصلة طلبه مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم: {**اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد**} كما يحث على اغتنام مرحلة الشباب، التي هي من الخمس التي يسأل عنها العبد يوم القيامة في طلب العلم والتجرد له وتحمل رسالته ونشره.

وبهذا أدرك محمد العيد آل خليفة بأن نجاح رسالته الإصلاحية مرتبط ببعث نهضة علمية قوية، تدعو إلى التمسك بموروث الأجداد والأخذ بأسبابه، مع الاستفادة من معطيات العلم العصرية، وذلك من أجل تعليم النشء ومحاربة الجهل والأمية، وكذا إنشاء المدارس التي تعد ثكنة لتكوين الجيل الصاعد، الذي سيحمل مشعل الثورة ويخلص الشعب من استبداد السلطة الاستعمارية.

1. محمد العيد، الديوان، ص 266.

3 / . محاربة الآفات ومعالجة قضايا البؤس الاجتماعي:

إن الشعر الاجتماعي شعر هادف، يرمي إلى إصلاح الأوضاع الاجتماعية السيئة عن طريق تشخيص الداء وتحديد سببه ووصف دوائه، ويلجأ إليه الشعراء في الترغيب والتنفير فهم يرغبون شعبهم فيما يسهم في ترقيته وتقدمه، وينفرونه من الآفات والأوضاع التي تقوض دعائم نهضته، أما الشاعر محمد العيد آل خليفة في ديوانه "فقد وصف حياة الشعب البائسة من جراء الفقر والبطالة والأمراض والتشرد ... وصفها ليقدمها صورة ناطقة إلى الذين يزعمون أنّ الشعب الجزائري يعيش في رغد منذ أن فتح عينيه على المدنية الاستعمارية الحديثة، وكأنه يقول لهم إنّ الشعب الذي يعيش فيه الجهل ويتضور جوعا وتصطك أسنانه بردا وتنهشه الأمراض من كل جانب، لا يهمه أن يقال عنه أنه شعب متحضر أو بدائي بقدر ما يهمه أن يعيش حرا تحت سمائه وفوق أرضه يأكل ويتعلم ويعالج بمشيئته واختياره ..."[1]

يقول محمد العيد مصورا حياة الجزائريين وبؤسهم في ظل السياسات الاستعمارية المجحفة[2]:

وأَقرأ من آيِ الشَّقاوة أسطرا ... على صفحات الكون مرتسمات
فسطر عياييلٍ أمضَّهم الطَّوى ... عراة على لفح الأثير حفاة
وسطر أيامى يصطرِخن توجعا ... من البؤس لا يفتَأن مكتئبات

في هذه الأبيات يصور لنا الشاعر حالة البؤس الاجتماعي التي يعيشها الشعب الجزائري فنجد الأطفال الحفاة العراة، والأيامى اللائي أوجعهن البؤس، واليتامى الذين أرهقتهم البلاوي وغيرهم من البؤساء كثير.

1. الوناس شعباني، تطور الشعر الجزائري منذ سنة 1945 حتى سنة 1980، مرجع سابق، ص 38.
2. محمد العيد، الديوان، ص 10.

وفي دعوته الأغنياء إلى إسعاف الفقراء يقول[1]:

ولا تبخلُوا بالمالِ فالمالُ مَعْرَجٌ ... إلى كلِّ مُعْلٍ في المَنَازلِ مُعلِم
أرى أنَّ حاجاتِ الشعوبِ جراحُها ... وليس لها من مرْهَم غير درْهم
لكلِّ امْرئ عهدٌ بفرْض محتَّم ... يقوم به في جنب حقٍّ محتَّم
ومِنْ فرْضِ أهلِ المال إسْعافُ عُجَّزِ ... وتكريمُ إخوان وإيوَاءُ هُيَّم

ولذلك فلا بد لذوي المال واليسر من إعانة إخوانهم من العجز والمحتاجين، وإيواء المشردين منهم، لأنّ المال هو البلسم الشافي للمآسي التي تحيط بالشعوب، ولا خير يرتجى من وراء الفقر، لقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "**لو كان الفقر رجلا لقتلته**".

كما يحث الشاعر على البحث عن سبل الكسب لأنها خير عتاد له فيقول[2]:

أيها الشعبُ قدِّم الكسْبَ ذُخرا ... ليس كالكسْب للشعوب عَتاد
شاع فيكَ الإهمال والجهل والغفـ ... ـلةُ والفقر والضَّنَى والكَساد
فإذا قمتَ بالفلاحَةِ أثْرَى ... فبي الأُلَى أعدَموا الأُلَى فيكَ سادوا
وإذا قمتَ بالتِّجارةِ أزْرَى ... بالأُلَى أسْلَموا الأُلَى فيكَ هَادُوا
وتفشَّى الرِّبا بسوقك حتَّى ... ليس عنه للْكاسبين حِياد

يعالج محمد العيد في هذه الأبيات قضايا البؤس الاجتماعي التي يعيشها الشعب الجزائري، من جهل وفقر وكساد وغيرها، ويدعوه إلى التشمير عن سواعده، والسعي في مواطن الكسب الحلال كالفلاحة والتجارة، ويحذره من الربا الذي تفشى فيه، فأثقلت ديونه كاهل الشعب، حتى بيعت أرضه ظلما في المزاد العلني، وهو ما حذر منه الله تعالى في قوله: ﴿**وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا**﴾.

1. محمد العيد، الديوان، ص 93.
2. محمد العيد، الديوان، ص 121.

ويصور حالة الغلاء التي يعانيها الشعب الجزائري قائلا[1]:

قِفْ بالجزائر وألْمح فيها أمَّةً ... يلهو الشِّباعُ بها بجنْب الجُوَّع
شطَّ الغلاءُ فما ترىٰ من مُسلم ... بميسَّرٍ فيها عليْه مُوسَّع
لم يلْتحق بالقُوت غيرَ مَقَتَّر ... أو يلْتحفْ بالثوْب غيرَ مرقَّع

فقد أصبح الشعب غير قادر على اقتناء ما يسد به جوعه وما يستر به عورته، بسبب الغلاء الفاحش الذي تفشى في المجتمع.

لقد كان شهر رمضان مناسبة للحديث عن معاناة الفقراء وبؤسهم يقول محمد العيد[2]:

فيا ويْحَ الفقير يَضيعُ جُوعا ... وليسَ له من الأقوامِ حامي
يطوف علىٰ المزابل حيثُ يَرجو ... فُتاتَ الخُبز أو قِطعَ العِظام
ولولا الجوع لم يَنْبِشْ قُمامًا ... ولم يَشْتَقْ الىٰ مَا في القُمام

يصور لنا الشاعر في هذه الأبيات حالة الفقراء الذين يعج بهم المجتمع الجزائري يطوفون على المزابل ويطوقون البيوت ويستميحون المارة، ويظلون سبّة لهذا المجتمع الذي لم يلتفت إليهم ولم يأخذ بيدهم إلى حياة فيها حفظ للكرامة والحياة، لعل الصورة تحرك في نفوس الأغنياء عطفا وشفقة على إخوانهم المعوزين.

كما يصور حالة الانفلات التي تسود المجتمع الجزائري وما آلت إليه أوضاعه قائلا[3]:

وفشَا الزُّور والقِمارُ علىٰ الار ... ض وراجَ الخَنا بها والمُدام
واستطَار الفَساد واستفحل الشَّـ ... ـرُّ وعم الاذَىٰ وطَمَّ الخصام
هذه الأَرض للقويِّ سِمَاطٌ ... ليس فيها غيْر الضعيف طَعام
أكثَرُ النَّاسِ يُوزَعُونَ عليها ... بالهَراوي كأنَّهمْ أنعام

1. محمد العيد، الديوان، ص 148.
2. محمد العيد، الديوان، ص 154.
3. محمد العيد، الديوان، ص 177.

فقد انتشر البغي وتفشى الزور والقمار والخنا، واستفحل الشر والأذى والفساد، وصار القوي يأكل الضعيف على أرض الجزائر، كما أنّ الدور جلها تهتك فيها الأعراض وتقطع فيها الأرحام، وتشاع فيها الغيبة والنميمة، وبهذا تفكك المجتمع، وتحطمت أواصره، وانهارت قيمه.

ويذم محمد العيد المجتمع الذي لا يعيش شبابه مستقيما فيقول[1]:

ما عَزَّ مجتمعٌ يعيشُ شبابُه ... مُتسَكِّعًا في الطُّرق كالأنعام
يغشَى المَخامرَ والمَقامرَ بُكْرةً ... وعشيةً ويَعُوم في الآثام
يَرمِي بألْحاظ وألفاظ معًا ... ما عنَّ في السَّاحات مِن آرام
كم مَرتَع للصَّيْد جالَ به فتًى ... فنجَتْ رميَّتُه وصيدَ الرَّامي

في هذه الأبيات ينفر الشاعر من المجتمع الذي يحيا شبابه على التسكع وارتياد المخامر والمقامر في كل حين، فلم يدع حراما إلا آتاه، ولا طريقا من طرق الشيطان إلاّ سلكه متهافتا على الخنا والراقصات وسيء الأفلام، وغيرها من الشهوات التي أحطت به وبمجتمعه.

أما في قصيدة "في ظلال الخير" فقد كان الشاعر فيها بمثابة آلة التصوير التي التقطت صورا كثيرة ومختلفة للبؤس الاجتماعي، يقول[2]:

أسعف ذَوي البؤس من شاكٍ ومضْطبر ... وصِلْ ذَوِي الفقر مُعتَرًّا ومقتَنعا
كم ضاربٍ منهم في الأَرض منتشرٍ ... ما حاوَل الرزق الا اعتاصَ وامْتنعا
وعاطلٍ صنَع الكفيْن مُقتدِرٍ ... مهما أتَى معمَلا عن بابه دُفعا
ومستغيث وجُلُّ الناس في شُغُلٍ ... عنه وطاو وجل الناس قد شَبِعا
وساهدٍ لم يجد ضوءًا لمنزلِه ... الا الفُؤادُ ذُبالاً والحَشا شَمَعا
وعاثرِ الجدِّ لم يظفرْ بمنتشِل ... حر يُقيل عثارا أوْ يقول لَعا

1. محمد العيد، الديوان، ص ص 241 . 242.
2. محمد العيد، الديوان، ص 256.

وهنا يصور الشاعر الحياة الاجتماعية المأساوية في الجزائر في ظل الهيمنة الفرنسية بأسلوب قصصي مؤثر، مسلطا الضوء على حياة الفقر والبطالة والأمراض والتشرد التي يحياها الشعب، وكذا مصير أبناء الجزائر الذين مات آباؤهم دفاعا عن الراية الفرنسية، وهي صورة من بين الصور الكثيرة جدا والبائسة لحياة الجزائريين إبان الاستعمار الفرنسي.

ويقول محمد العيد مرغبا الشباب في مكارم الأخلاق[1]:

وجِّـه الـنَّـشْءَ للصَّـلاح وحـبِّـبْ ... لـلـبـنـات الـعَفـافَ والـشُّـبَّـانّ
انـمـا يُـسـعـد الـبـلادَ شـبـابٌ ... ذو حِـفـاظ لـعـرضـه وصـيـان
لا شـبـابٌ بـاعَ الـحـيـاءَ وأمـسَـى ... بـيـن (حـانٍ) يَحْسُو ٱلْخُمورَ (وخان)
أوْ شَـبـاب يـظـلُّ هـيْـمـانَ يـلْـغـو ... بـالأَغـانـي مـعـاكـسًـا لـلـغـوانـي
أوْ شـبـاب عـلـى الـتُّـراث تَـعـدَّى ... فـتـردَّى فـي هُـوَّة الـكُـفـران

في هذه الأبيات ترغيب للنشء في إتباع صالح الفعال والأخلاق، من عفاف وصيانة عرض وحياء وغيرها، وأنّ هذا النوع من الشباب هو الذي تسعد به بلاده، لا الشباب الذي داس على أخلاقه، وتعدى على تراثه باحتساء الخمر، وإتباع لغو الأغاني ومعاكسة الغواني وغيرها، والشاعر بهذا يهدف إلى إصلاح المجتمع وبعثه من جديد.

وكان لانحراف فئة من النساء في المجتمعات العربية رد فعل كبير لدى الشاعر الذي يغار على مقومات شخصيته العربية الإسلامية، فأنشد يقول[2]:

مـا بـال سـرِ فـتـاةِ العصـر منحرفـا ... يـهـوي بـها في مهاوي الإفك والزور
ان الـجـزائـر أمسـت بـنـتُها غرضـا ... لـكـل رامٍ بـسـهـم الغـيِّ مـأجـور
مـا بـالـهـا هـجـرت آداب مـلـتـهـا ... مـا بـالـهـا أعـرضـت عن خير دستور

1. محمد العيد، الديوان، ص 269.
2. محمد العيد، الديوان، ص 279.

يعالج محمد العيد في هذه القصيدة إحدى قضايا المجتمع المستجدة والدخيلة على الثقافة العربية الإسلامية، وهي قضية تبرج وسفور المرأة، التي هجرت آداب مجتمعها ودينها، الذي منحها كل حقوقها، والذي إن تمسكت به لحقت بالحور العين في العفة والطهارة، واستبدلتها بالثقافة الغربية الماجنة الداعية إلى كل رذيلة.

ويقول الشاعر في قصيدته "بعد هذا" مجسدا فيها ما يعانيه شعب الجزائر من نوائب وخطوب جسام[1]:

وما في الجزائر الا نَوائبُ يجري بها الدهر كالمَنْجَنُون
يُهان بها عظماء النفوس ويكرم فيها عبيدُ البُطون
وتُرْمَى حرائرهَا بالهَنات ويُنذَر أحرارَها بالسجون
ويُلزَم تجَّارُها بالمَغَا رِم كَرْهًا وهم رُزَّحٌ بالدُّيون
وتُحْمَى المساجد عن عامِلا يها وهمْ قادةُ الخير والمُرشدون

يصور محمد العيد في هذه الأبيات مشهد من مشاهد المعاناة اليومية للجزائريين، في ظل هيمنة الاستعمار الفرنسي، حيث يهان الكريم ويكرم اللئيم عبيد البطن، وتقذف الحرائر ويهدد الأحرار بالسجن، وتفرض الضرائب على التجار ظلما وقد أثقلت كاهلهم الديون ويمنع فيها الخيرون المرشدون من المساجد، وهذه بعض المشاهد البائسة، ينقلها الشاعر في أشعاره علها تبعث النفوس الشجاعة، والعزم على مواجهة الظلم الواقع بها.

وختاما نقول بأن هذا النوع من الشعر يعتبر شعرا إصلاحيا، يهدف إلى النهوض بالأمة والسير بها قدما، وقد نظم فيه محمد العيد قصائد عديدة بدافع الإصلاح التربوي ترغيبا في الفضائل وتنفيرا من الرذائل، وقد اعتمد في ذلك على الأسلوب المباشر في نقد بعض الأخلاق السلبية في المجتمعات العربية، فجاءت قصائده تتراوح بين الموعظة والتقرير.

1. محمد العيد، الديوان، ص 318.

المبحث الثالث: الشعر القومي.

هو شعر يعالج قضايا وطنية عربية وإسلامية، يتميز بتنوع المواقف والمواضيع ويهدف إلى جعل الدول تتحد وتتضامن فيما بينها، ومحمد العيد آل خليفة يعد صوتا قوميا متميزا بمواقفه الفكرية التي عكسها شعره، فهو يعتبر ذا حس قومي (عربي وإسلامي) يتمنى فيه توحيد الصفوف وتراصها، وتعاون الأمة العربية ورقيها.

1 / . هاجس الوحدة:

لا طالما كانت الوحدة العربية هاجسا يسعى إلى تحقيقها الوطن العربي، خصوصا وأنه يتخبط في شباك المستعمر المستبد، والجزائر من أولى الدول الداعية إلى وحدة الوطن العربي الإسلامي وجمع شتاته، وقد كان هذا التطلع إلى الوحدة نابعا من مشاعر حب أخوية لذلك نجدها تهتم بجميع القضايا العربية والإسلامية وليست بقضاياها الخاصة فحسب، رغم كل ما كانت تعانيه من ظلم واضطهاد تحت نير المستعمر الغاشم، فنجد جل صحفها وجرائدها كانت تنشر قصائد الشعراء الداعية إلى التحرر والوحدة، وكان شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة من أبرز هؤلاء الشعراء الذين باتت القومية أهم ما يشغلهم، فعمل على إزالة قيود التفرقة والتشتت الحاصل بين دول الوطن العربي الإسلامي، حتى لقبه البشير الإبراهيمي بـ: "شاعر العروبة والشمال الإفريقي" لمّا صارت العروبة أعز وأعظم الأماني التي تطمح وتهفو إليها نفسه.

فها هو يقول داعيا إلى ترك الخلاف والفرقة[1]:

أرَىٰ داءَ الشِّقاقِ بنا تَفَشَّىٰ ... فكيفَ يكونُ منه لنا التَّوَقِّي؟
بنِي الإسلام خَلُّوا الخُلْف إنا ... إلى الإسلام نُعزَىٰ دون فرْق

1. محمد العيد، الديوان، ص 84.

عـدِمـنـا الـرُّشـدَ فـي الـدنـيـا كـأنَّا فُـلـولُ مـعـارِكٍ وغُـواةُ طُـرُقِ
ولـو أنَّـا عـلـى الـحـق اتَّـفَـقْـنـا لَـكُـنَّـا قـادةَ الـدنـيـا بـحـق

فنجد محمد العيد في هذه الأبيات يدعو المجتمع إلى ترك الشقاق والفرقة، لأنها سبب مرضه ودائه العضال، ولذلك يجب عليهم محاربته ومعالجته، فما دام المسلمون على ملة واحدة، فلابد لهم أن يكونوا يداً واحدةً حتى يصيروا هم سادة العالم وقادة الدنيا.

كما تغنى بأمجاد الجزائر والوطن العربي أجمع قائلا[1]:

إن لِـلْـعُـرب فـي الـحـضـارة قِـدْمًـا قَـدَمـا لـلـورَىٰ عـلـيـهـا أسـتِـنـاد
كـم وعَوْا فـي الحِجَاز مِن قبْلِ رُومَـا وأثَّـيـنـا مـن حِـكـمـةٍ وأفـادوا
وعَـتِ الأَرضُ كـلَّ مـا عَـادَ مِـنْ عَـا دٍ عـلـيـهـا وشـادَهُ شَـدَّاد

فالشاعر يفخر بالماضي المجيد ويشيد بالحضارة العريقة، التي كان العرب أسبق من غيرهم إليها.

وفي قصيدته " استوح شعرك" يقول[2]:

(افـريـقـيـا) دارٌ ثَـوَوْهَـا حِـقـبـةً وتـوارثـوهـا أَرْوَعًـا عـن أَرْوع
(افـريـقـيـا) أختُ الـحِجاز ديانـةً وربيبةُ الـبـيـتِ الـحَـرام الأَمْـنـع
قِـفْ بِـي عليها بُـرهـةً نَنْصَحْ لـها أن تـسـتَـعِـدَّ لـيَـوْمِـهَـا الـمتَـوَقَّـع!

ففي هذه الأبيات يقدم الشاعر نصيحة أخوية إلى إفريقيا، لأنّ الدين الإسلامي جمع بين البلدان والدول وجعل منها أمة واحدة، يساند بعضها بعضا.

كما يطلب من الحجاج الدعاء للشعب الإفريقي قائلا[3]:

1. محمد العيد، الديوان، ص 119.
2. محمد العيد، الديوان، ص 144.
3. محمد العيد، الديوان، ص 193.

واسألوا الله عزةً ورشادًا وسدادًا لشعبنا الإفريقي
ويح (إفريقيا) تقضَّتْ عهودٌ وهيَ رهنٌ للأسْر والتَّطويق
أين اسلافُها الذين بهم قبْـ ـلُ غزا (طارقٌ) حِمَى (الُذريق)
لم نجدْ بعدهم بها غيرَ خَلْف نكبتْه الأغراضُ بالتَّفريق

ففي هذه الأبيات يرتجي محمد العيد من الحجاج أن يدعوا الله عز وجل لإفريقيا بالعزة والرشاد والتوفيق والسداد، وأن يفرج الله عنها ويفك أسرها، ويعيد عليها أيامها وأمجادها الخوالي.

كما يحيي محمد العيد الرئيس جمال عبد الناصر في قصيدة يقول فيها[1]:

الوحدةُ الكُبرى وضَعْتَ أساسَها في وَحْدة نظمت ثَلاثَ أوَاصِر
وبدت كواكبُها الثلاثةُ قرَّة للعين زُهْرًا في اللِّواء الزاهر
بالأمس (مصرُ) وَ(العراق) و(سُوريا) واليومَ موْعدُ ركْبنا المستأخر
إنَّا مع اليَمَنِ اعتزَمْنا رحلةً باليمن في الفَلك السَّعيد الدائر
فالمغربُ العربيُّ أصبح كاسْمه للعالَم العربيِّ خيرَ مُظاهر

فالشاعر يتغنى بالوحدة التي حدثت بين مصر والعراق وسوريا واليمن، ثم عرج على وحدة المغرب العربي (الجزائر– تونس– المغرب) مفتخرا بأنّ العالم العربي أصبح وحدة قومية من الخليج إلى المحيط.

بعدها يعتز الشاعر بهذه الوحدة ويذكر محاسنها وكرامتها ويدعو إلى بنائها من جديد على أسس قوية[2]:

نبني العروبةَ من جديد قلْعةً من حولها قَصفُ المَدافع يُرْعد
فلْتَحْي وحدتنا بها في مَنْعَة ومن المحيط إلى الخليج تمَدَّد

1. محمد العيد، الديوان، ص 223.
2. محمد العيد، الديوان، ص 230.

فمحمد العيد يدعو إلى اتحاد العالم العربي، ووحدة الأمة الإسلامية، ويعطي الحق لأهم الأسس التي تبني عليها هذه الوحدة والمتمثلة في الدين واللغة والجنس. ويقول أيضا[1]:

وَلْـيَـحْـيَ فـي ظـلَّ الـعُروبـة ودُّنـا مـلْءَ الـقُـلـــوب وعـهْدُنـا الـمتأبِّـد

فهو يحاول من خلال دعوته إلى الوحدة إيقاظ الغافلين، فلا شيء يعوض تاريخ الأمة العربية الإسلامية، وأن وحدة البلدان العربية فيما بينها إنما هي قوة عظيمة، لحلاوة روحية تبعد عنها الضعف والوهن وترفع من شأنها وشأن دينها بين الأمم.

كما أنّ عروبته لا تفرق بين جزائري ومغربي، ولا بين مصري وشامي، وإنما هي كما تسري بداخله عروبة العرب، يقول[2]:

انَّـا بَـنـوا العَـرَب الأَعـارب ما لَـنـا غَيْـر الـعُـروبـة مـن دم وقَـوام
وطـنُ الـعـروبـة كـلُّـه وطـنٌ لنـا فـي (مصر) أوْ (بغدادَ) أوْ في (الشَّام)
فـلْـتـحـيَ دولـةُ شـعـبـنـا عـربـيـةً عـزّبـاءَ إسـلامـيـةَ الأَحـكـام

فليس هناك من شيء جامع للعرب أقوى من العروبة والإسلام، فبفضلهما صاروا أينما يولوا وجوههم فثمة وطنهم وأرضهم.

وعندما تحرر المغرب الكبير من الاستعمار الأوربي قال الشاعر[3]:

ومَـغْـربـنَـا الـحـرُّ الكبـيـر مـوحَّـدٌ مع العَـرَب الأَحرَار فـي كَنف اليسْـر
وجـبْـهَـتُـنـا تَـجلُو الظَّلام، وجيْشُنـا لنـا حارسٌ يـحمي البلاد من الـخُسر
وأمَّـتُـنَـا مـجـمـوعـةُ الـشَّـمـل حـرَّةٌ ودَولـتـنـا مَسمُوعَـةُ الـنَّـهْـي والأَمْر

فبعدما كانوا متشتتين متفرقين جمع شتاتهم، ولم شملهم من جديد، وصارت لهم كلمة مسموعة بين الدول.

1. محمد العيد، الديوان، ص 230.
2. محمد العيد، الديوان، ص 244.
3. محمد العيد، الديوان، ص 434.

وفي قصيدته التي قالها بمناسبة نقل رفات الأمير عبد القادر من سوريا إلى الجزائر قال[1]:

أرى سوريا أخت الجزائر محتدا وتأبى سوى وصل الفروع المحاتد
رعت لابن محي الدِّين حيا وميتا من العهد ما يرعى الكرام الاماجد
فشكرا لأخت واصلتنا ببرها وشعب يوالي شعبَنا ويعاضد

يشكر محمد العيد في هذه الأبيات سوريا على صنيعها ورعايتها لرفات الأمير عبد القادر وإعادته إلى الجزائر، كما يشكر برها وولائها ومساندتها الدائمة للشعب الجزائري باعتبارها أختا عزيزة غالية على الجزائريين.

ويقول في قصيدته "قومي بنو الإسلام"[2]:

يا حاسبا أني أميز مسلما عن مسلم أخطأت في الحسبان
إن تعزني فإلى ذويَّ حقيقة وهمُ الأُلى إيمانهم إيماني
قومي بنو الإسلام من حُمْر ومنْ صفر ومن بيض ومن سودان

كلما سئل الشاعر عن نسبته انتسب إلى المسلمين وإلى العرب عامة، تفاديا من الدوائر الضيقة التي تثير الطائفية والعنصرية إلاّ لضرورة التعارف، وقد سأله بعض الناس من قومك؟ فقال: قومي بنو الإسلام.

ولهذا نجد محمد العيد يجعل من أرض العروبة موطنا له، ومن الإسلام دستورا يحيا به ولأجله، ومن الوحدة هدفا أساسيا حاول تحقيقه عن طريق نداءاته الشعرية العديدة[3]:

يسائلُني عنْ نِسْبتي كُلُّ وافدٍ عليَّ وعن شعري وعن كنه مطلبي
فقُلتُ لهم أرض العروبة موطني ودِيني هو الإسلام والقدوة النبي

1. محمد العيد، الديوان، ص 509.
2. محمد العيد، الديوان، ص 544.
3. محمد العيد، الديوان، ص 548.

وهو لا ينفك في كل مناسبة يطالب بجمع شتات هذه الأمة، وتضميدها لجراحها من الفرقة، لأنّ إيمانه بضرورة الاتحاد كحتمية واقعية لها جذورها التاريخية، يستعيد للعرب طريق الالتحاق بمركب القوة والعزة والمجد.

وهكذا يبدو أنّ هاجس الوحدة ظل محل اهتمام وحرص من محمد العيد في بناء وحدة عربية قوية شاملة، تلم شمل كل العرب من الخليج إلى المحيط، محاولا كسر قيود الجفاء وإزالة تلك الأسوار التي بناها العدو لتشتيت صفوف العرب.

2 / . الحرية و التحرر:

إن مسألة التطلع إلى الحرية يبلغ أوجها عدة عند الشعراء، ومحمد العيد هو الشاعر الجزائري الذي تلمس الحرية، وكان يأمل أن يعيشها، وهو يدرك ما تكلف شعبه من التضحيات الجسيمة، فإذا كانت الثورة معجزة، فإنّ الحرية لن تكون إلاّ حقيقة واقعية، تحمل ما للواقع من طابع رزين، والثورة الجزائرية كان لها صدى، ومع هذا لم تبق مستمرة، فلكل بداية نهاية.

وبفضل تحقيق الاستقلال والحرية أشرقت الجزائر على عالم جديد، لا يقل غموضا عن ذلك العالم الذي أشرقت عليه في الساعة الصفر من غرة نوفمبر، وقد أشرف الشعر على فرحة الاستقلال والحرية إشراف المرشد الحكيم، وإذا حاولنا أن نتلمس ملامح الحرية والاستقلال والنصر في الشعر أيام الثورة، فإننا نجدها تعد الكلمات السحرية التي تحدوا المواقف البطولية، وهي نفسها الكلمات التي تغمر الأبيات بروح القوة المتفائلة.

وحتى لا نظلم الشعراء ونتهمهم بالتحجر، يجب أن نقر بأنّ مبادئ الإصلاح كانت تدعو إلى الاستعداد الثقافي الاجتماعي قبل المناداة بالثورة ومهادنة الخصم، والعمل بحكمة وحذر والمناداة بالسلم شرط ألاّ يكون فيه إهانة، وفي هذا الاتجاه يقول محمد العيد:

سالموا كل مـــن طـــــغى * فـــي الخصومـــات أو فجـــر**

نخـى البـــراء من الجـــحود * السالمـــون مـــــن البطـــر**

المـؤثـــــرون السـلـــم إلاّ * أن نـهـــــان ونـــحـــتقـــــر** [1]

ولكن بعد الحرب العالمية الثانية، وبعد حوادث 8 ماي 1945م الرهيبة، بدأ الشاعر عهدا جديدا في الحكم على السياسة، فلم يعد شعاره الهدوء والرفق والحذر... بل أصبح شعاره[2]:

حياتك حرب للضعيف فكن بهـا * قويا أبيا أن تـــذل وتخضعـــا**

وهكذا كان محمد العيد آل خليفة في دعوته إلى الثورة أشبه بالقائد الباسل، وكان بعمله هذا جنديا مغوارا، سلك فج الجهاد والنضال بثبات وعزم.

وهذا ما يلمحه القارئ من خلال قصائده النضالية العديدة[3]:

واحرُسوا حقَّكم فقد سِيم نـهْـبًـا لا تَـنـامـوا عـن حـقـكـم لا تَـنـامـوا

فتراه يحث الشعب الجزائري على النضال والجهاد من أجل نيل الحرية والاستقلال.

ويقول أيضا[4]:

يـا قـوم هُـبُّـوا لاغـتـنـام حَـيـاتكـم فـالـعُـمـرُ سـاعـــات مـرُّ عـجـالا

الأَسـرُ طـال بـكـمْ فـطَـال عَـنـاؤُكم فـكُّـوا الـقـيـود وحـطِّـمـوا الأَغلالا

والـشـعـبُ ضجَّ من الـمَظالِم فانشُدوا حـريـــةً تَـحـمـيـه واسْـتـقـــلالا

فمحمد العيد يخاطب الجزائريين بلهجة فيها الكثير من العنف والصراحة، لانتزاع حريتهم بالقوة.

1. الوناس شعباني، تطور الشعر الجزائري منذ سنة 1945 حتى سنة 1980، مرجع سابق، ص 48.
2. الوناس شعباني، المرجع نفسه، ص48.
3. محمد العيد، الديوان، ص 180.
4. محمد العيد، الديوان، ص 339.

كما كانت نفسه تواقة متشوقة لرؤية بلاده حرة مستقلة[1]:

نـفْـسِـي إِلـى الـفَـجْـر تـاقـتْ مـتَـى أرَى الـفـجـرَ لاحـا؟
مـتـى جـنـاحُـك يُـطْـوى يـا لَـيـلُ طُـلْـتَ جَـنـاحـا!

وحين نالت الجزائر حريتها واستقلالها أنشد محمد العيد قائلا[2]:

الـثـورةُ العظمى كـسَـبْـنـا نصـرَهـا والـجـبـهـةُ اكْـتسحـت قُوى الإجرام
شـعـبُ الـجـزائـر كـلُّـه أبـطالُـها مـن حَـارث فـيـهـا ومـن هَـمَّـام

فالشاعر في هذين البيتين يفخر بالجزائر وأبنائها، ويعتز بهم على نيلهم للحرية وكيف أنهم أصبحوا يسيرون شؤونهم الخاصة بأنفسهم.

ونراه يخاطب الشعب الجزائري على لسان جيش التحرير فيقول[3]:

أيُّـهـا الـشـعـب إِنَّـنـا عـنـكَ ذُدْنـا فـظَـفـرْنـا بـأنـفَـس الأَنـفَـال
قـد ذهَـبْـنَـا الـى الـمَيادين نَـغْـزو ورجـعْـنـا مـنـهـا بـالإستـقـلال
ان حـريَـة الـجَـزائـر حَـقٌّ لـيـسَ فـيـهـا مـن ريـبـةٍ أو جـدال
فـارْتَـفـعْ عـالـيًـا ورفـرفْ عـلـيـنَـا خـالـدَ الـعـزِّ يَـا لـوَاءَ الـهـلال

بفضل شجاعة وبسالة الثوار استطعنا انتزاع حريتنا، واسترداد حقوقنا المسلوبة، التي اغتصبها المحتل الفرنسي، فأصبحت الجزائر حرة مستقلة يرفرف العلم الوطني فوقها عاليا بكل فخر واعتزاز.

كما حث محمد العيد أبناء الجزائر على الثورة والجهاد لنيل الحرية والاستقلال، فها هو نراه يحث عليها مرة أخرى، ولكنه يتجه هذه المرة في فتيات الجزائر فيقول[4]:

1. محمد العيد، الديوان، ص 48.
2. محمد العيد، الديوان، ص 242.
3. محمد العيد، الديوان، ص 428.
4. محمد العيد، الديوان، ص 430.

ساهمي في الجهاد جُنْدَ الجهاد وأعدِّي الفدا لنصْر البلاد
يا فتاةَ البلاد شعبك نادَىٰ فاستَجيبي بعَزْمةٍ للمنادي
جَدَّ جدُّ النساء وانطلَقَ الرَّكْـ ـبُ مع الرَّكْب للمَدَىٰ باتِّحاد
واستَدارَ الزمانُ فالسَّعْيُ للجنْـ سَيْن حتْمٌ عليهمَا والتَّفادي
كيف يَرضَىٰ الجُمودَ مَن كانَ حيًّا ليس يرضَى الجُمودَ غَيْرُ الجَماد

يشجع الشاعر بنات الجزائر على الجهاد والنضال والتضحية في سبيل الوطن والاستجابة لنداء الشعب الذي يستنجدهن، لأنّ الدفاع عن البلاد واجب عليهن كما هو واجب على الرجال، وليس هنالك مخلوق على وجه الأرض لا يتزعزع وينتفض من أجل وطنه سوى الجمادات.

ويصف لنا الفرحة الكبيرة التي عاشها الشعب الجزائري بحريته وكرامته قائلا[1]:

كانَ يوْمُ ٱستقلالنا عيدَ شَعْب طافحَ البشْر ساحب الأَذْيال
فالزَّغاريدُ والهُتافاتُ تعْلىٰ بين قَرْع الطُّبول والازجال
والأَناشيدُ في المَيادين تُتْلَىٰ من نساء وصبْية ورجال
قد رفعنا الهَامَات بالنَّصر تيهًا وشكَرْنا لربِّنا المُتعال
فهو مُؤْتِي الجزائِر اليَوْمَ نصْرًا وهو مُجْلي مُحْتَلِّها المُحْتال

فيوم الاستقلال يمثل بالنسبة للشعب الجزائري عيدا مليئا بالفرحة والبشر والسرور تتعالى فيه الهتافات والزغاريد، وتردد النسوة والأطفال والرجال الأناشيد والأزجال، مصحوبا بقرع الطبول، ويشكر الله تعالى على نعمة الحرية والنصر، فلولا قدرته ومشيئته لما تحققت.

وقد تغنى محمد العيد بالحرية غناء المحب الصادق والعاشق الولهان، لأنها أصبحت عنده قضية وطنية حساسة، فقد كان يشعر بالأسر الرهيب الذي يحياه الشعب منذ أمد طويل وكان يتناول هذا الموضوع في شيء من الرفق والأناة، ويخشى أن يجر عليه التصريح

1. محمد العيد، الديوان، ص 429.

العنف، ولكنه اضطر في النهاية إلى مجاراة التيار السياسي المتطرف، وإلى المناداة بالحرية الكاملة للشعب الجزائري قائلا[1]:

وأَذُدّ بـقـدّر مَـنَـاعَتـي عَـنّ مَـوْطـني ... وأدِرّ بـقـدّر كَـفـا أتـي أَشـغـالـي
ولـقـد شـجـتْ قلبي وهاجتْ عبْرتي ... وَرْقَـاءُ فـي شَـرفٍ بَـعِـيـدٍ عَـال
حـمـراءُ حُـرِّرَ جِيدُهـا مـن طَـوْقـهـا ... فـي الـوُرْقِ فـهْـيَ عَدِيمَـةُ الأَمـثـال
هتفتْ فـقُـمْـتُ مـجـاوِبًـا لـهُتافـها ... ولـحَـنـتُ عن قـصْد فـقـلتُ تعالـي
شـرقـيـةً فـي الـطَّـيـر امّ غـربـيـةً ... مـا دمـتِ واصـلـةً فـلـسـتُ أبالـي

فقد أعرب الشاعر عن حنينه وتعطشه للحرية الورقاء الحمراء كما يسميها، لأنها عاشت تدغدغ شعور المواطن الجزائري منذ عرفت أرضه وطأة المستعمر، فقد كانت الحرية أشبه باليد السحرية تحرك كل شعور وكل شيء.

بالرغم من الحروب الدامية التي كانت تدور في الجزائر، فإنّ عيون محمد العيد كانت تنظر إلى حال الأمة الممتدة طولا وعرضا، والتي باتت عرضة لهيمنة الاستعمار الأوربي حيث عمل هذا الأخير على جعل البلدان العربية جزءا من ممتلكاته، وقد نجم عن تلك الهيمنة الاستعمارية بروز حركات ثورية تحررية أدت إلى استقلال بعض البلدان العربية فنجد بأنّ عروبة محمد العيد ودعوته إلى الوحدة تتجلى في مشاركته للأمة العربية أحداثها الكبرى، كثورة الجيش المصري، واستقلال ليبيا والسودان وغيرها.

في سنة 1952م ألغيت معاهدة 1936م التي كانت قيدا لمصر، فقام الإنجليز بأحداث مؤلمة في منطقة القتال، فردت مصر على ذلك بإعلان الجاهد لاسترداد حقها بالسلاح، وقد شاركت الجزائر شقيقتها مصر آلامها ومشاعرها بهذه القصيدة على لسان شاعرها محمد العيد، يقول[2]:

1. محمد العيد، الديوان، ص 350.
2. محمد العيد، الديوان، ص ص 344 . 345.

أَغـارَ عـلـىٰ الـكـنـانـة شـرُّ عـادِ فـقـل: يـا مصـرُ حيَّ علـىٰ الـجهادِ
أَعِـدِّي كـلَّ بـأسِـك واسْـتـعِـدِّي لـرَدِّ الـزَّاحـفـيـن بـلا أتِّـئـاد
جـنَـوْا بـاسْـم الـحِـمـايَـة منك حينا مـجـانِـيَ زَوَّدَتْـهُـمْ خـيْـرَ زاد

ففي هذه الأبيات دعوة صريحة لمصر إلى الجهاد، والرد على الأعداء، لاسترداد حقها المسلوب من قبل الطغاة الظالمين، والتضحية في سبيل ذلك بالنفس والنفيس وعدم التردد أو الخشية من شيء. وبعدما حققت النصر والفوز يهنئها قائلا[1]:

ويـا (مـصـرُ) الشقيقة فـزْتِ عقْبَىٰ وطـابَ حـديثُ بـأَسِكِ فـي النَّوادي
هُـتـافـاتُ الـشـمـال إِلـيـكِ تـعْـلـو صـدًىٰ وعُـهـودُه لـكِ كـالـعـهـاد
خـذِي الأُهـبَات لـلغَمَرات وامْضِـي فـنَـصْـرُك قـائـدٌ واللهُ هـادي

يبارك الشاعر البلد الشقيق مصر على نصره، ويوصيه بالصمود والثبات أمام أعدائه بهداية وتوفيق من الله تعالى.

كما عبر عن فرحته الكبيرة باستقلال ليبيا بقصيدة جاء فيها[2]:

أَمَـلٌ تـحـقَّـق بـعـد طُـول نـضـال ومـثـال فـوْز كـان خـيْـرَ مِـثـال
وأريـكـةٌ أزرتْ بـكـل أريـكـة رُجـحـانَ مـرتـبـةٍ وَعِـزَّ مـنـال
وغـنـيـمـة لـلـصَّـابـريـن عـظـيـمةٌ بـالـعـز كـافـلـةٌ وبـالإقـبـال

فقد تحققت آمال وأحلام الشعب الليبي بعد طول جهاد ونضال، وفوزهم أصبح مثالا يحتذى به، بفضل جهاد وعمل ملكها الذي جدد ماضيها، وأعاد بناء عرشها وتأسيس دولتها.

كما يجل ويعظم زعيم الثورة الليبية الشهيد "عمر المختار" قائلا[3]:

1. محمد العيد، الديوان، ص 346.
2. محمد العيد، الديوان، ص 348.
3. محمد العيد، الديوان، ص 349.

ومضى بهم (عُمَرُ) الشَّهيد يَقودهم ... للحرْبِ ينأمُ نَأمَةَ الرِّئبال
خاضَ الجِهاد مُضَفَّرا حتى انْجلى ... عما انْجَلَى والحرْبُ ذاتُ سجال
لقيَ الشهادة فيه شَنْقًا مُرْهَقًا ... تحتَ الأَسِنَّة مُوثَقًا بحِبال
كتب الإله له الشهادةَ مُرَّة ... ليفوزَ منه بطعْمِها العَسَّال
ويكونَ حيًّا غير مَيْتٍ عندَه ... جَذلانَ يُرزقُ أطيبَ الآكَال

فقد كان زعيما شهما وبطلا مغوارا، قاد الثورة الليبية بكل بسالة وشجاعة، وخاض غمار الحرب بكل إخلاص وتفاني، حتى نال شرف الشهادة، ولقي ربه، حيث العيش الكريم والنعيم المقيم والحياة التي لا موت بعدها.

كما هنأ ليبيا بنصرها واستقلالها نجده يهنئ السودان أيضا بنصره واستقلاله فيقول[1]:

مَن مُبلِغُ السُّودان عنَّا أننا ... شيَعٌ له بشعُورنا خلاَّن
نتبادَل القُبُلات باسْتقْلاله ... فرَحًا وإن طافتْ بنا الأَحزان
مُتسائلين عن (الجزائرِ) هلِ دَنا ... تحْريرُها أمْ حظُّها الحِرمان؟
ومتَى تقرِّر كالشعوب مَصيرَها ... فقد أقتَضَى تقريرَه الإِبَّان؟

فقد كان استقلال السودان فوز ونصر للشرق أجمع، وفرحة هذا النصر حق للعروبة جمعاء، حتى الجزائر برغم ما تعانيه من ظلم واستبداد من قبل المستعمر الفرنسي الغاشم فرحت أشد الفرح لاستقلال أختها، وسُرّت سرورا ما بعده سرور، ويتساءل الشاعر عن موعد استقلال الجزائر أيضا هل أصبح قريبا، أم أنه لا يزال بعيد المنال؟

وشعر محمد العيد لا يقتصر على القضايا المحلية أو العربية فحسب، بل يساير الحركات التحررية في كل من إفريقيا وآسيا، ويشارك في القضايا الإنسانية عموما، فها هو يقول عن سقوط الحبشة الإفريقية في يد إيطاليا العاتية[2]:

1. محمد العيد، الديوان، ص 356.
2. محمد العيد، الديوان، ص 298.

يـا مـعـشـرَ الأَحـبـاش صـبـرًا لـمـا ... يُـذْمـي مـن الـجُـرح فـمـا يُـذْمِـن
أنـتـمْ لـنـا رغـمَ الـنَّـوَىٰ إِخـوةٌ ... فـمـا عـلـيـنـا خَـطْـبُـكُـمْ هَـيِّـن
مـا عـنـدنَـا حَـوْلٌ سـوَىٰ مـا بِـه ... مِـن الـتَّـعـازِي تـنـبـسُ الأَلْـسُـن
فـأسـمِـعـوا الأَحـرارَ شَـكْـواكُـمُ ... حَـرَّىٰ عـسَـىٰ أُذْنٌ لـكـمْ تـأذَن
لا يـحـسـبِ الـبـاغـون عُـقْـبـاهُـمُ ... حُـسْـنَـىٰ فَـعُـقْـبَـىٰ الـبَـغْـي لا تَـحسُن

فالشاعر يآزر ويساند إثيوبيا في محنتها، مقدما لها التعازي ويدعوها إلى الصبر على بلواها، كما يخبرها بأننا إخوة وكل ما يؤذيها يؤذينا نحن كذلك.

وقد قدم محمد العيد نصيحة جمة لكل شعب يريد العزة والكرامة لوطنه وشعبه، ويريد العيش في سلام وهناء حيث يقول[1]:

إِذا مـا رمـت لـلأَوطـان عـزا ... فـجـد بـالـنـفـس واسـتـبـق الـفـداء
وان حـمـل الـخـصـوم عـلـيـك يـومـا ... فـقـم لـنـضـالـهـم وخـضِ الـدِّمـاء
ألـم تـر (جـعـفـرًا) قـطـعـت يـداه ... بـحـرب الـروم فـاحـتـضـن الـلـواء

مما تقدم نستنتج بأنّ الحرية كانت تستقي أسمى المعاني من الاستقلال والنصر فنجد عديد الشعراء الجزائريين ممن يغنون للحرية ويعطون لها معان، فكل واحد منهم يعبر عنها كما يريد، وكما يراها، وقد أشاد وتغزل بها محمد العيد، لأنها كانت أكبر دليل وأكثر دلالة على الحب الثائر، وبالتالي فالشعر مس أوسع المعاني للحرية، فهي كانت تعني الفرصة المفروضة للتعبير عن النفس باللسان أو بالقلم أو بالسلاح، كما أشاد أيضا بنضال شعبنا من أجل الكرامة، ودعوته لهم من أجل الحرية والاستقلال، وهكذا أشرقت الحرية بقربان أسطوري متمثلا في الأرواح والدماء، فغدت مثل الشمس حاملة لأنبل المعاني وأعرقها.

1. محمد العيد، الديوان، ص 543.

3 / . القضية الفلسطينية:

لعل أهم قضية واجهت العرب وشغلتهم منذ الحرب العالمية الأولى هي قضية فلسطين التي تآمر عليها الاستعمار والصهيونية العالمية، ليجعل منها خنجرا يطعن بقوة جسم الأمة العربية، وقد كانت في مراحلها المختلفة هي قضية الشعب الجزائري، بالرغم مما كان يعانيه من عزلة وتعذيب على يد المستدمر الفرنسي، وقد كان إحساس الشعب الجزائري بالقضية الفلسطينية عميقا جدا، إذ أن المعارك والحروب التي تدور في أرض فلسطين تحفز دائما الجزائريين وتدفعهم إلى التطوع والتبرع وحمل السلاح للمشاركة في تحريرها.

لقد احتل موضوع القضية الفلسطينية الصدارة في فكرهم وأعمالهم حيث أصبحت الدعوة إلى فك قيودها، والكتابة عن مآسيها وأحزانها مصدر تجربة أدباء الجزائر ومفكريها وكان محمد العيد آل خليفة على رأس هؤلاء المثقفين، وخاصة الشعراء حيث قالوا الكثير من الشعر في أزمة فلسطين، فمنذ بداية الصراع بين الفلسطينيين واليهود، ومحمد العيد يعالج هذا الموضوع معتبرا نفسه طرفا من أطراف الصراع، بل وجزءًا لا يتجزأ منه، فنجده يعرج على المآثم والأنكاد والفضائح التي ارتكبها الصهاينة في حق أبناء المقدس بقوله[1]:

وفي المقدِسِ الباكِي الحزين فَضَائع توالتْ وأنكادٌ طغت ومآثم

كما يحث أبناء الجزائر على مساعدتهم ومساندتهم قائلا[2]:

هلاَّ اغثْت القُدسَ منكِ بلفْتةٍ غيْري على شعْب هُناكِ مُروَّع
القبلة الأُولى تضِجُّ وتَشْتكي مِن قِسْمَةِ المُسْتَأثِر المستَنْفِع
ضُمِّي أَحْتجاجَكِ لاحْتجاج حُماتها وأستنكرِي تقْسِيمهُ وأسْتَفْظِعي

فنجد محمد العيد يتألم وهو ينظر إلى الحيف والاضطهاد الذي تعيشه فلسطين، منذ أن دنست أرضها الطاهرة بأقدام الصهاينة، فبريطانيا وإسرائيل تتبادلان الأساليب البشعة في

1. محمد العيد، الديوان، ص 138.
2. محمد العيد، الديوان، ص 147.

محاولة مسح الأصالة العربية العريقة، وتهديم القدس الشريف، فهم يجرعونها كؤوس الويلات ويدسون السم بين أبنائها حتى الثمالة، فتراها تندب موتاها الشهداء تارة، وتبكي فلذات أكبادها وهم يزجون في غيابات السجون المظلمة تارة أخرى، وتصرخ قدسها التي باتت عرضة للهدم وهتك الحرمات تارة ثالثة، خاصة وأنها أصبحت عرضة لتقسيم أجزائها.

كما يقول متفائلا بتحرير فلسطين[1]:

سنرَىٰ فلسطينَ العزيزةَ مثلَمَا ... كانتْ مثابةَ حُرمة وذمام
ونرىٰ بني صُهْيونَ منها قد جَلَوْا ... بالطَّوْع إن شاؤوا أو الإرغام
واللاَّجئين بها ثَوَوْا واستَمْرؤوا ... عيش الحضارة بعد عيش خيام

في هذه الأبيات يتمنى الشاعر رؤية فلسطين حرة أبية ذات حرمة وذمام، وأنّ الصهاينة المحتلين قد خرجوا منها سواءً بإرادتهم أو مرغمين، أما لاجئيهم فصاروا يعيشون في رقي وحضارة بعدما كانوا يعيشون عشية الخيام.

كما أنّ محمد العيد يجعل من فلسطين جزءا لا يتجزأ من الجزائر[2]:

نحن شعبُ الفدىٰ (فلسطين) منَّا ... وإلينا والحكم للأُرْجُواني
قل لمن سامها اُحْتلالاً وغصْبا ... سوف تدري بلاءَنا في الطِّعان
يا ابن صهيون لا أرىٰ لك بُدًّا ... من عدول عن كيدك الشَّيْطَاني

وهو بهذا يجعل من فلسطين أرضا له، ومن سكانها شعبا له، فهو يهتم بجمع شتات الوحدة العربية الكبرى، متوعدا الغاصب الصهيوني بالعدول عن مخططاته ومكائده يوما ما.

كما يقول مفتخرا بها[3]:

انّ (نهر الأردُنّ) للعُرب نَبعًا ... ومَصَبًّا من أقدم الأزمان
و(فلسطينُ) لـ(لجزيرة) جزءٌ ... عربيٌّ من عَهدها الكنعاني

1. محمد العيد، الديوان، ص 244.
2. محمد العيد، الديوان، ص 271.
3. محمد العيد، الديوان، ص 271.

ففلسطين جزء من الأمة الإسلامية منذ العهد الكنعاني، ومحمد العيد يفتخر بهذا التاريخ القديم والمجيد، كما أنّ جمال الطبيعة في فلسطين يستذكر من خلاله أياما كانت هذه البقعة حرة مستقلة بنعم سكانها وبخيراتها، ويحلم لو ترجع هذه اللحظات المليئة بالراحة والطمأنينة.

ولما انهزمت الجيوش العربية عام 1948م، صدم العقل العربي صدمة لا مثيل لها وخلفت في نفس كل مسلم جرحا لا يندمل، وفشل الضمير في التصدي، واستيقظت مشاعر الناس على الواقع المؤلم، واقع تطبيق وتحقيق مشروع التقسيم الفعلي للقدس بين العرب واليهود. وفي هذا يقول محمد العيد[1]:

يـا قـسـمـةَ الـقـدس انـتِ ضـيـزَىٰ ... لـمْ يـعْـدِل الـقـاسِـمـونَ فـيـكِ
مـضَـوْا عـلـىٰ الـحَـيْـف لـم يُـبـالُوا ... بـمـا جـرىٰ مِـن دَم سَـفـيـك
الـقـدسُ لـلـعُـرْب مِـن زمـانِ ... لـنْ يـقـبَـلـوا فـيـه مِـن شَـريـك

فكان لهذا الجرح الدامي انعكاساته الواضحة على نفسية الشاعر، لذلك لم يكتف برثاء فلسطين، أو البكاء على ما أصابها، بل راح يتأسف ويتحسر على القسمة الظالمة التي أودت بحق بيت المقدس، وبالأفعال الشنيعة التي يندى لها الجبين، إلاّ إنّ القدس للعرب وستظل لهم وحدهم.

ونجده يستنكر عملية تقسيم القدس الشريف بين سكانه الأصليين واليهود، ويتعجب ويتساءل كيف للعرب أن يتخلوا عن أرضهم وأرض أجدادهم، وكيف لهم أن يتنازلوا عن تاريخهم وأصلهم، فيقول[2]:

الـقُـدسُ لابـن الـقُـدس لا لـمـشَرَّد ... مـتـصَـهْـيـنٍ ومـهـاجـرٍ غـدَّار
يـا لـجْـنـةَ الـتَّقسيم حدِّث عن الهُدىٰ ... وسـخـرت مـنـه فـبُـؤْت بـالإنـكـار
الـقـبـلَـةُ الاولـىٰ الـتـي اسـتَصْغَرتـها ... هـي لـلـعُـروبـة قـبْـلـةُ الأَنـظـار

1. محمد العيد، الديوان، ص 314.
2. محمد العيد، الديوان، ص 330.

ثم يتوجه بعد ذلك بخطابه المباشر نحو بريطانيا وحلفائها، إذ كان عليها أن ترد للعرب جميلهم، غير أنّ جميل بريطانيا كان اضطهادا للأحرار، والذي وضع في رقابهم وأرجلهم السلاسل والأغلال، وفي هذا يقول[1]:

رُدوا جميلَ الشَّرق وارعَوْا عهْده ... يا معشر الحُلفاء والأنصار
أفبَعْدَ تحرير الرقيق جميعِه ... ترْضَوْنَ رقَّ سلائل الأَحرار

وحين قسمت فلسطين في سنة 1947 تطبيقا للاقتراح الذي وضعته بريطانيا قام محمد العيد داعيا الجيوش الإسلامية إلى التصدي، وحاثا على مقاومة قرار التقسيم بكل السبل وتوالت بعد 1947 انتفاضات ومعارك دامية، راح ضحيتها آلاف العرب والمسلمين أغلبهم من الفلسطينيين.

كما نجد الشاعر يُصَبِر الشعب الفلسطيني ويواسيه، ويعلمه ويذكره بأنّ هناك من يقف إلى جانبه ويساعده فيقول[2]:

فَلَسطينُ العزيزةُ لا تَخافِي ... فإنَّ العُربَ هَبُّوا للدِّفاع
بجيْش مُظلم كاللَّيل غطَّى ... حِيالَكِ كلَّ سهْلٍ أو يَفَاع
وما أَسْيافُهُ إلاَّ نُجومٌ ... رُجُومٌ لليهودِ بلا نِزاع

يطمئن الشاعر أولى القبلتين بأنّ العرب قد هبوا للدفاع عنها، بجيش جرار كانت أسيافه رجوما لبني الصهيون.

وفي قصيدة أخرى نجد الشاعر يهاجم بني التاميز (الإنجليز) بقوله[3]:

بني (التاميز) قد جُرتم كثيرًا ... فهل لكم عن الجَوْر ٱزدجار
أَفِي أَسواقكَمْ نصبًا وغَصْبًا ... تسوم (القبلةَ) الاولَى ٱلتِّجار
إخال (القِبلة) انسجرت دِماءً ... كما لِلبحرِ باللُّجج ٱنسجار

1. محمد العيد، الديوان، ص 330.
2. محمد العيد، الديوان، ص 335.
3. محمد العيد، الديوان، ص 374.

كما يرى عبد الله الركيبي أنّ محمد العيد يسلط الأضواء ويصب غضبه على الحكومة البريطانية، كونها هي التي خلقت بين العرب واليهود خاصة، وأنهم منذ الأزل كانوا أبناء عمومة تجمع بينهما وشائج النبوة والتلاحم، لذا فهو شاعر رقيق الحس لا يتعصب ولا ينظر إلى إسرائيل نظرة عنصرية أو عرقية، ذلك أنّ إيمانه بالدين الإسلامي وببقية الأديان السماوية تدفعه إلى النظر في هذه القضية من زاوية خاصة، وإلى الخلاف القائم بين العرب واليهود من زاوية أخرى... [1].

لكن هذه النظرة فيها الكثير من المثالية، من حيث أنّ هناك من اليهود من يحتقر باقي الأجناس، بل يؤمن بالتفوق العنصري والعرقي لليهود، خاصة من يعتقدون بفكرة الصهيونية العنصرية التي تفرق بين شعب الله المختار، وبين بقية الشعوب الأخرى، وما كانت بريطانيا في الحقيقة إلاّ ألعوبة في يد الصهاينة[2]:

تشاجرت العُمومةُ في ذَراها ... ولولاكم لَمَا وقَع الشِّجار
غدا العِبْريُّ للعَرَبيِّ خصْمًا ... بها وكلاهما لأَخيه جار
ترَوْنَ لها سِوَى العَرَبيُّ أَهْلا ... وتأبَى التّربُ فيها والحِجار

كما أنه ينهر الإنجليز ويوجه أصابع الاتهام إليهم، حيث ينظر لليهود كأبناء عمومة للعرب، وأنّ الإنجليز تسعى للتفريق بينهما لتسود وتعلو، وهو يتجاوز ويبتعد عن التعصب لدينه وعرقه، مؤمنا ببقية الأديان السماوية الأخرى.

لقد صور شعر محمد العيد كل جوانب القضية الفلسطينية، ورصد تصوراتها منذ بداية الغزو، ولم يكن تصويره للأوضاع والمحن التي عاشتها فلسطين تصويرا آليا سطحيا بل كان عن معايشة وجدانية ومشاركة انفعالية، كما استطاع توضيح خلفيات هذه القضية وفضح مغالطات وادعاءات بريطانيا للعرب والرأي العام العالمي، كما شكلت تجربته في الشعر الذي صور فيه محنة فلسطين وقضايا الوطن العربي بصفة عامة، مما يؤكد على أنّ محمد العيد آل خليفة شاعر وطني قومي من الدرجة الأولى.

1. عبد الله الركيبي، قضايا عربية في الشعر العربي المعاصر، الدار العربية للكتاب، تونس ، ط3، 1977، ص 59.
2. محمد العيد، الديوان، ص 374.

المبحث الرابع: اللغة والأسلوب.

اللغة هي الأداة أو الوسيلة التي يستعملها الأدباء والشعراء في عملية التواصل والتعبير عن مكنوناتهم وما يختلج أفئدتهم. أما الأسلوب فهو الطريقة التي يتبعونها في عملية التعبير أي أنه الإطار الذي يصب فيه الكاتب أو الشاعر أفكاره ومعانيه .

1 / . بساطة اللغة والأسلوب:

إن المتصفح لشعر محمد العيد آل خليفة يدرك أنّ اللغة التي استعملها تمتاز ببساطة ووضوح المعاني والصور التي يريد إبرازها، وسهولة الألفاظ والتراكيب التي يلجأ إليها للتعبير عن خوالج نفسه، وعما يريد تبليغه من أفكار.

ويؤكد أبو القاسم سعد الله هذه الميزة بقوله: "إنك تقرأ شعره فلا تحتاج معه إلى قاموس ينجدك في تفسير الغامض من الألفاظ، ولا تحتاج إلى كد ذهني للوصول إلى ما يريده من معاني، فهو شعر قريب من النفس، لبعده عن التكلف من ناحيتي الأسلوب والمعنى"[1].

والظروف الاجتماعية التي تسود المجتمع الجزائري آنذاك هي التي دفعت بالشاعر إلى ابتغاء البساطة والوضوح، والتماس الشرح والتحليل والتفصيل، إذ كان يستخدم مفردات شائعة متداولة، ويتعامل مع معجم شعري يتماشى وطبيعة المرحلة التي كانت تمر بها النهضة الوطنية آنذاك، وهذه الألفاظ تدور في الأغلب الأعم في مجالات الإصلاح والنهضة والدعوة إلى العلم، والتمسك بالمقومات الأساسية لغة ودينا. "ويمكن للدارس أن يلحظ بيسر أنّ الشاعر لم يستطع في مجال التعبير أن يمنح لغته، وهي العنصر الأساسي الأول في أي عمل أدبي كائنا ما كان، القدر اللازم الذي ينبغي أن تكون عليه اللغة الشعرية تعبيرا وتصويرا، بما أثقل كاهلها به من سيطرة النبرة الخطابية واللهجة التقريرية المباشرة على

1. أبو القاسم سعد الله، شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، مرجع سابق، ص 213.

أسلوبه في كثير من نماذج شعره، فأفقد ذلك لغته ما تقوم عليه لغة الشعر من تركيب وتكثيف"[1].

لأنّ اللغة الشعرية تكسب جماليتها من استخدام الشاعر لمعجمه اللغوي، وتوظيفه لما يلائم الموقف والحدث. "ولكن هذا لم يحل دون نجاحه، ولا سيما في المجتمع الذي كان يلقيه على سمعه. فهو مجتمع بسيط ساذج ولعل فيه التلاميذ الصغار، والكهول الذين لا يقرءون ولا يكتبون، والشيوخ الذين ليس لهم من حظ العلم، إلاّ حفظ القرآن وبعض الأحاديث والمتون القديمة"[2].

إلاّ أنّ شعره كان تربويا إصلاحيا هادفا، كما أنه كان واضحا مفهوما "ويبدو من هذا أن الشاعر يكره التعقيد والغموض، سواء في نظام حياته أو صوغ تجاربه الشعرية"[3].

ونتيجة لذلك امتازت لغة محمد العيد بالمباشرة والسطحية، وهذه الظاهرة تجلت بصفة لافتة للنظر في المرحلة الإصلاحية – كما سبق الذكر– ولاسيما في القصائد التي تعالج الموضوعات الدينية والاجتماعية، هذه القصائد التي يغلب فيها الموقف الموضوعي على الشاعر، فلا يسمح له فيه للذات بالظهور إلاّ نادرا.

ومن الأمثلة التي يمكن أن نسوقها في هذا المجال، ما قاله الشاعر متسائلا لما رأى ذات مرة فتاة تضحك وتمسك بحمار لها[4]:

فتاة ضحوك أمسكت بحمارها ... أحُسْنٌ وقبح؟! كيف يجتمعان؟

إذا اختلفا في الحسن والقبح صورة ... فما اختلفا في وحدة الحيوان

1. محمد بن سمينة، شخصيات لها تاريخ محمد العيد آل خليفة، مرجع سابق، ص ص 60 . 61.
2. أبو القاسم سعد الله، شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، مرجع سابق، ص 214.
3. أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص 213.
4. محمد العيد، الديوان، ص 62.

وكيف تميزُ الشيء إلاَّ بضده ... لذاك ترى الضدين يقترنان
تأمل ترَ الأضداد في كل كائن ... فكم من قباحٍ قورنت بحسان
يشاهدها الانسان في كل حادث ... وفي كل مرئي بكل مكان

لقد اقتصر محمد العيد على التراكيب الجاهزة، وهو ما حدد إمكاناته الشخصية في استثمار اللغة استثمارا فنيا وجماليا، جعلته يتعامل مع اللغة تعاملا وظيفيا، يقتصر في الغالب الأعم على استغلال جانبها المعجمي ذي الدلالة المحددة، فأصبحت بذلك لغة جامدة خالية أو تكاد من الحركة والنشاط الفني، ويجعل مهمتها ودورها محددا.

وفي بعض قصائده التي يكتبها تحت إلحاح المشاعر الذاتية قصيدة "يا ليل" إذ يقول[1]:

يا ليلُ طُلت جَناحا ... متَى تُريني الصَّباحا
أرى الكَرى صدَّ عنِّي ... بوجهه وأَشاحا
أمسَى عليَّ حَراما ... ما كان منه مُباحا
قد ضقتُ بالهمِّ ذَرعًا ... وما وجدتُ أنشِراحا
ملَّت فراشِيَ نفسِي ... وأستوحشتْ منه ساحا

فإذا اعتبرنا أنه يعالج هموما ذاتية شخصية، فقد كان من المفروض أن تكون حافزا ودافعا قويا لإبراز الجانب الجمالي في لغته، وذلك باستخدامه للغة رامزة تصويرية، تكون الذات والمشاعر الصادقة مصدرها ومنبعها الذي تنطلق منه.

ومن الأمثلة التي نوردها كذلك في التزامه بقافية واحدة قوله في قصيدة: "وليت نحوك وجهي"[2].

1. محمد العيد، الديوان، ص 45.
2. محمد العيد، الديوان، ص 365.

انستُ بالخلّق حِينًا ... والأنسُ بالخلقِ جبّت
حتى بلوتُ خبايا ... طباعِهِمْ فاجتنَبت
ولّيتُ نحوَكَ وجهي ... وتبتُ يا ربِّ تبت!

يتبين في هذا المثال التقيد الواضح بالقافية، مما جعل لغته تقريرية باهتة، فكانت أقرب إلى النظم منها إلى الشعر الوجداني الصادق، فهذه القيود الثقيلة حدت من نشاط الذهن، وشلت عاطفة الشاعر عن الحركة والاندفاع، فانعكس ذلك على لغته وجعلها تدور في فلك المباشرة.

كما يصف نظرة الناس إلى معلمي اللغة العربية، وما يلاقيه هؤلاء من ازدراء بوظيفتهم واحتقار مكانتهم العلمية، فيقول[1]:

أرى جل أصحابي أزدَرَوا بوظيفَتي ... وقالوا هُمومٌ كلُّها ووجائع
وقد زعموا عُمْري مع النَّشْءِ ضَائعًا ... وتَاللهِ ما عُمْري مَعَ النَّشء ضائعُ
سيَروونَ عنِّي العلم والشِّعرَ بُرهةً ... وتَطْلُعُ للإِسْلام منهمْ طلائع

يتضح لنا من لغة النص كيف جاءت تقريرية مباشرة، خالية من أية لمسة فنية، فما هي إلاّ مجموعة من الحقائق يسوقها الشاعر في لغة نثرية باهتة مثل قوله: وقد زعموا عمري مع النشأ ضائعا – سيروون عني الشعر والعلم برهة– منهم أديب طائر الصيت ذائع– منهم زعيم للجزائر قائد– فهذا رجائي قلته متفائلا.

وقد اجتمع أعضاء جمعية "الشبيبة الإسلامية" وشيوخ مدرستها، وتلامذة صفوفها كلهم في صحن المدرسة الواسع، لتؤخذ لهم صورة عامة وقبل التقاطها كتب الشاعر على سبورة نصبت بينهم هذين البيتين[2]:

هنا «الشبيبة» في «دار الفلاح» هنا ... خير الكهول، هنا خير الشباب، هنا
رسم يخلّد للأجيال حامية ... من الشبيبة تحمي الدين والوطا

1. محمد العيد، الديوان، ص 379.
2. محمد العيد، الديوان، ص 544.

يتضح من التعابير الموظفة في المثال أنها تعابير سهلة، ومحررة من قيود الإبهام والغموض، بسيطة المعنى إلى جانب هذا تميزت لغة محمد العيد بالمتانة، والجزالة، والقوة وهي خاصية تدل على تمكن ظاهر من اللغة ومفرداتها.

إن تشبع محمد العيد بلغة العلوم الدينية والفقهية، جعلته كثيرا ما يوظف المفردات الدينية في أعماله الشعرية، وهي مفردات إضافة إلى طابعها المعجمي المحدد، تتسم بملامحها الواضحة وبعض هذه الألفاظ تطغى عليها الطبيعة النثرية، ومن هذه المفردات القرآنية ما ورد في قوله[1]:

الحمدُ لله مُعطي الحُسنيَيّن معًا ... لكلِّ حزب على طاعتِه اجْتمعا
الحمد لله ما في الصالحين أخٌ ... منَّا أجاب أخًا لِلصالحاتِ دَعا
الحمد لله هذا الحفلُ ظاهِرةٌ ... دَلَّت على أنَّ شأن الأُمَّةِ ارْتَفَعا
آمنتُ أن عصور الخيرِ مقبلةٌ ... لا ريب في صِدقِ برقٍ قبلها لمعا

إن مثل هذه الألفاظ: الحمد لله . المحسنين . طاعاته . آمنت . صدق . طوبى الإحسان . الإنفاق ... إلخ، هي ألفاظ نثرية بطبيعتها، مستهلكة ألفت الأذن سماعها في خطب الوعظ ودروس الفقه، ستظل جامدة باردة، ولو تعمدنا إدخالها في الجملة الشعرية.

وفي الأخير نخلص إلى أنّ اللغة الشعرية عند محمد العيد قد تميزت بطابع الجزالة والمتانة في التركيب، كما تميزت بالسهولة والوضوح، باستخدامه معجما دينيا قريبا من الأفهام، فلم يتكلف الجري وراء الألفاظ البائنة الغريبة الوحشية، أو التركيب المضنية المعقدة كما لم يعمد إلى استعمال عامية شوهاء، بادعاء استخدام اللغة اليومية أو مفردات الحديث العادي. بالإضافة إلى أنّ لغته لا تثير في المتلقي أي انفعال وأنّ ألفاظها وتراكيبها تفتقد التصوير والإيحاء، اللذين هما أساس اللغة الشعرية، وقد كان في إمكان الشاعر أن يشيع بعض الجمال والحركية في تضاعيف لغته، باستخدامه للمحسنات المعنوية بدل اللفظية، كما

1. محمد العيد، الديوان، ص 254.

استخدم في قافيته لزوم ما لا يلزم، مما قيّد لغته وزادها رهقا وجمودا، فتسببت تلك في ضعف عنصر التصوير على مستوى الألفاظ.

2 / . التنويع في القافية:

القافية هي مقوم من مقومات الشعر العربي القديم، وركن أساسي من أركانه، ولا تكتمل القصيدة إلاّ به، ويعرفها الخليل بن أحمد الفراهيدي على أنها: "من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه من قبله، مع حركة الحرف الذي قبل الساكن"[1].

أي أنها تلك المقاطع الصوتية التي تتكرر في أواخر أبيات القصيدة، فتحدث إيقاعا ونغمة موسيقية "فيتعمق إحساس المتلقي بالانسجام الإيقاعي للقصيدة، مما يؤدي به إلى استحسان هذا النغم ويطرب له وترتاح الأذن له"[2].

ولقد التزم محمد العيد آل خليفة وحدة القافية في معظم أشعاره "ولم يخرج عنها إلاّ في بعض المقطوعات التي تأتي في صورة موشح أو رباعيات أو ما ماثل ذلك"[3].

وهو عندما يخرج عن نظام القصيدة القديمة في بعض قصائده "إنما يؤكد أنه كان قادرا على مجاراة التطور الحاصل في هيكل القصيدة العربية، ولكنه لم يكن يرى ذلك من أولويات شعره الذي وقفه على شعبه ووطنه وأمته"[4]. كما أنّ هذا الخروج لم يكن عجزا منه أو عدم مقدرة على الالتزام بقافية الواحدة، حيث يقول أبو القاسم سعد الله: "وهذا في الواقع يوحي بأنه لم يخرج من هذا الخط عجزا منه أو رغبة في التحرر من القافية كقيد ثقيل، بل لمجرد التنويع والشعور بالقدرة على النظم في المجالين المطلق والمقيد"[5].

---

1. أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تح، نبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي القاهرة، مصر، ج1، ط1، 2000، ص 243.
2. عابي سمير، البنية الإيقاعية في ديوان محمد العيد آل خليفة، إسلاميات وقوميات، اللزوميات، الثوريات أنموذجا، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2014 . 2015، ص 81.
3. أبو القاسم سعد الله، شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة ، مرجع سابق، ص 225.
4. إبراهيم لقان، ملامح المقاومة ضد الاستعمار في شعر محمد العيد آل خليفة (دراسة فنية)، مرجع سابق، ص 179.
5. أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 225.

ومن أمثلة قصائده التي برع في تنويع قافيتها نجد: دمعة على القمر الخاسف . آفة العين . يا هزاري . من الشعر الرمزي وغيرها.فنجده مثلا في قصيدة "دمعة على القمر الخاسف" يقول[1]:

يـــــا لـــلـــعِـــبَـــرْ خَـــسَـــف الـــقَـــمَـــرْ
مـــــاذا دَهَـــــى زَيْـــــنَ الـــبـــهـــا؟
غَـــشَّـــى الـــحَـــلَـــكْ وجْـــــهَ الـــفـــلـــك
وعَـــــرَا الـــــكـــــدر صـــفْـــوَ الـــبـــشَـــر
يـــــا لَـــلـــعِـــبـــر خـــسَـــف الـــقـــمـــر

كـــــمْ شـــــائِـــنـــات فـــــي الـــكـــائـــنـات
قـــــل لـــلـــعـيـــون غُـــضِّـــي الـــجـفـون
ســـــامَ الـــعَـــوَر أسْـــمَـــى الـــصُـــور
يـــــا لـــلـــعِـبـــر خـســـف الـــقـمـــر

فنلاحظ بأنّ الشاعر قد أبدع في تنويعه للقافية في كل قصيدة، فكل بيت من الأبيات كان مستقلا عن الأبيات الأخرى، باستثناء البيتين الأخيرين من كل مقطوعة، فإنّ قافيتها تتكرر إلى آخر القصيدة.

أما في قصيدة "آفة العين" فيقول الشاعر[2]:

مـــا لـــطـــرْفـــي رَنَـــا حـــولَـــهُ فـــاْفـْتَـــنْ
ســـأمـــنـــي فـــي الـــدُّنَـــا بـــالـــظَّـــنـــى وامـتـحَـــن
يـــا مُـــذيـــقِـي الـظَّـنـى لا طـمـعـتَ الـــوَسَـن
يـــا لِـــرام رمَـــا نِـــي بـقـوْسَـيْـــن
آفَـــــةُ الـعـيـــن مَـــا آفـــــــةُ الـعَـيْـــن!

1. محمد العيد، الديوان، ص ص 34 . 35.
2. محمد العيد، الديوان، ص 37.

رغبةُ العين قد ... طوّحت بالنّاس
جرّعتنا الكمد ... أوردتنا اليأس
علةٌ في الجسد ... بدأت بالرّأس
فسقت آدما ... علقم البين
آفةُ العين ما ... آفةُ العين؟!

قسم محمد العيد قصيدته إلى ستة مقاطع في كل مقطع قافية خاصة به، نستثني في ذلك البيتين الأخيرين من كل مقطع، لأنه حافظ فيهما على القافية نفسها من بداية القصيدة إلى نهايتها.

وفي موشحة "يا هزاري" التي نظمها على غرار الموشحات الأندلسية فيقول[1]:

ناجِني نجْوَى أذكارِ ... و أشدُ لي ليلَ نهار
قد دنا فكُّ الإسارِ يا هَزَاري
عبثا أبكي وتَبكِي شجَنا ... تارةً سرًّا وطورًا علنا
لم نجدْ في الأَرض من يَرثِي لنا ... غيرَ واهٍ فيَّ مثلَ الزَّندواري
فاصْطَبِر مثلَ أصْطباري يا هزاري

إن تكن ولهانَ فيها مُستهاما ... فاقتَحِمْ معقِلَها الوعْرَ اقتحاما
أو تُرد منها الْتفاتًا وابتساما ... فترنَّم بأهازيج الضَّواري
وتهيَّأ للطَّوارِي يا هَزاري!!

وقد نوع الشاعر في قافية هذا الموشح، فنجد في كل بيت قافية مختلفة عن البيت الذي يليه، وهكذا إلى نهايته.

كما أبدع في تنويع القافية في قصيدته "من الشعر الرمزي" التي يقول فيها[2]:

1. محمد العيد، الديوان، ص ص 49 . 50.
2. محمد العيد، الديوان، ص 320.

يـا ريـــاضَ الـجنـى والـظِـلال فـــي صـعـيـــد الـخـلـــود
إِنـعـمـــي بـألـــذ الـغِـلال وأغـــضِّ الـــورود
واسـلَـمـي مـن عـوادي الـشـمـال وعَـــواتـــي الـــرعـــود
أيـهـــا الـحـــرَّاس الـشِّـــدادُ الـبـــاسْ
لا تـبـثـــوا الـيـــاسْ فـي قـلـــوب الـنـاس تُـورِثـوهـــا الـضـنَـى
زحـزحـــوا بِـالـفـــاسْ دُفـــة الـمِـتـــراس
واتـركـــوا الآنـفـــاس تـسـتـطـيـــبُ الآسْ تـنـشـق الـسَّـوسـنـا

في المقطع الأول والثالث والخامس نجد الشاعر يحافظ على القافية نفسها، من بداية المقطع إلى نهايته، أما المقاطع الثاني والرابع والسادس فإنه نوع في قوافيها، فنجده يبتدئ بقافية ثم ينتقل إلى قافية أخرى في البيت الذي يليه، ليعود في البيت الموالي من قافية البيت الأول، وفي البيت الرابع يرجع إلى قافية البيت الثالث، وهكذا دواليك.

وختاما نقول بأن محمد العيد آل خليفة قد أبدع في تنويعه للقوافي كإبداعه في وحدتها في عديد قصائده، رغم صعوبتها وعرقلتها للعاطفة والذهن، وهذا إن دل فإنما يدل على قدرة الشاعر وتمكنه من النظم في كلا المجالين .

3 / . القصة الشعرية:

لقد طرق محمد العيد آل خليفة موضوع القصة الشعرية في بعض أشعاره، ولكنها لم تكن مكتملة العناصر فلا "نريد بالقصة هنا أكثر من عنصر (الحكاية) أما مقومات القصة الأخرى فتكاد تكون معدومة"[1]. وقد توقف الشاعر عن نظم مثل هذا النوع من الأشعار"ولو استمر في محاولته القصصية لشارف النجاح، ولكن يبدو أنه كان غير مقتنع بجدوى هذه المحاولة رغم إمكانياته في التجارب الشعبية واللغوية"[2].

1. أبو القاسم سعد الله، شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، مرجع سابق، الهامش، ص 237.
2. . أبو القاسم سعد الله المرجع نفسه، ص 238.

والمتتبع لديوان محمد العيد يمكن أن يعد له كثيرا من القصائد في هذا الباب مثل: منظر تاعس ناعس . وداد . صوت من الغيب . تحية المسلم الجديد "بنو علي سلمان" . باخرة الموت . هذه جذوة . رثاء رشيد . قصة شهيدين . دمعة منهمرة على فتاة منتحرة، وغيرها كثير.

ففي قصيدة منظر تاعس ناعس، يصف محمد العيد مشهد من مشاهد البؤس الكثيرة في الجزائر، فيقول[1]:

بـدَا لـعـيـنـي تـاعـسٌ نـاعـس ... عـلى الـثرى فـي الصبح بالي الثيابِ
جـاثٍ علـى الرجليـن جانـي الحشى ... والظهرِ هاوي الجسم ذاوي الشباب

يـا أيـهـا الأوي إلـى حـفـرة ... فـي سفح طود عند مـلْتَـقـى الشعاب
يـا أيـهـا الـهـاوي عـلـى وجهه ... تـحـت أديـم الـجـو فـوق الـتـراب
يـا أيـهـا الـمُـلْـتـمُّ فـي طـمـره ... كـالقنفـذ أنـهـالـت عـلـيـه الكلاب
هوِّن من الـغـم عـلـيـك فـمـا أحسـ ... ـب إلاَّ مـنـه هـذا الـضـبـاب
أنـوِّمُـك الآن خِـداع لـنـا ... أم لـكَ أمْ أنَّك صـلـب الإِهَـاب؟

فقد هاله منظر شخص من بكرة الصبح مفترش الأرض، ملتحف السماء، بلا مأوى أو ثياب أو غذاء، منكمش على نفسه من شدة ما يعانيه من ألم وبرد وخوف، يتظاهر بالنوم ولكن هيهات هيهات أن يساوره النوم، مائل الظهر منكس الرأس مما يقاسيه من هم ونكد ومذلة، فروع هذا المشهد التاعس البائس مشاعر محمد العيد، وترك في نفسه أثرا لا يمحى فنظم هذه القصيدة.

وفي قصيدة "وداد" يحكي محمد العيد قصة الفيلم العربي "وداد" الذي عرض في عاصمة الجزائر بعد مشاهدته له، ومنها قوله[2]:

إن رمـتَ تُـجْـزِى عـن يـدٍ ... بـيـد جَـزاءً لـن يَـضيعَ

1. محمد العيد، الديوان، ص ص 28 . 29.
2. محمد العيد، الديوان، ص 31.

فـــاشكـــرْ كـمـــا شكـــرَتْ (وِدا ... دٌ) فـضْـــلَ مـــالِـكـــهـــا الـوديـع
إذْ أدْبـــر الـعـيـــشُ الـمُـريـــــ ... ـــحْ وأقْبـــل الـعَـيـــشُ الـمُـريع
وأبـتـــاع سـيـدهـــا الـــفـتـــىٰ ... مـــا ابـتـــاعَ بـالـدَّيْـنِ الـفـظـيع
وأراد تـــأمـــيـــنَ الـمَـبـيـــ ... ـــع فَـعَـــزَّ تـأمـيـــنُ الـمَـبـيـع
قـــالـــتْ لـــــهُ: بـعْـنِـي وهَـبْ ... ثَـمَـنِـــي وإخـلاصِـــي شَـفـيـع
لا أســتـطـيـــعُ أراك كَـــ ... ـــلاًّ مُـفْـلِـسًـــا لا أسـتـطـيـع

فهذه القصيدة عبارة عن فيلم يحكي قصة فتاة اسمها "وداد"، كانت أمة لأحد السادة ولكن الأيام غدرت به، فافتقر بعد الغنى، وذل بعد العز، فكثرت بذلك ديونه ولم يستطع تأمينها فاقترحت عليه وداد أن يبيعها ويوفر ثمنها لتسديد ما عليه من ديون، وحقا باعها مالكها في المزاد، واشتراها سيد آخر، ولكنه سرعان ما أصابه مرض ألزمه الفراش، فأول ما أوصى به هو عتقها لما رآه منها من أدب رفيع، وتربية حسنة، وأخلاق سامية، فأول ما فعلته أن عادت مسرعة إلى زوجها بعد فراق ظنا أن لا لقاء بعده، وهذا جزاء المحسنين.

أما قصيدة "صوت من الغيب" فقد عالج فيها الشاعر قصة خيالية أو منامية بأسلوب خفيف، يقول فيها[1]:

قـــفْ بِـــي أحـدِّثْـــكَ حـديـــ ... ـــثًـــا لِـــي طـريـفًـــا نـــادرا
أتَـــىٰ رئـــيُّ الـجِـــنِّ فـــي ... بـعـــض الـلَّـيـــالـي شـاعـرا
حـــفَّ بـــه فـــي عـالـــم الـنَّـــ ... ـــوْم ورَفَّ طـــائـــرا
قـــال .. طـويـــت عـــالَـــمَ الـــ ... ـــغَـيـب إلـيـــكَ ســـائـــرا
وحـامـــلًا إلـيـــكَ سِـــ ... ـــرًّا يـشـــرَح الـسَّـرَائـــرا
سـمـعـتُ صـوتًـا مـن غَـيـبـا ... بـــاتِ الـغُـيـــوب صـــادرَا
قـــد آن لِـلـمُـسْـلِـــم أنْ ... يَـسْـتَـمْـــرئَ الْـمَـصَـائِـرا

1. محمد العيد، الديوان، ص ص58 . 60 . 61.

وآخترتُ لهذا الشَّأن في ... الأَرضِ سفيرًا ماهِرا
فلم أجد غيرَك لِلّذي ... كَشَفَ عليه قادرا
فاستيقظَ الشاعرُ جَذْ ... لانَ وقامَ بَاكرا
ولمْ يزَلْ يَدعو القُرى ... لليُمْن والحواضرا
حتى نفى الشُّؤمَ من الأَ ... رضِ وعادَ ظافِرا

يصور الشاعر في هذه القصة أنه التقى في المنام بملك كريم أو رئيس الجن الذي آثره بالوحي، وحمل إليه الرسالة ليبلغها إلى شعبه، وقد قال له هذا الملاك أو الرئيس إنه جاء من لدن العرش الأعلى مأمورا بأن يبلغ هذه الرسالة نبيا عبقريا وسفيرا ماهرا فلم يجد إلاّ الشاعر نعم السفير ونعم النبي[1].

كما يحكي لنا قصة إسلام "بنوا علي سليمان" في قصيدته "تحية المسلم الجديد" يقول فيها[2]:

زُفَّتْ إليكَ عَرائسُ الإلهامِ ... فطرحْت عنْكَ بَوَالِيَ الأَوْهامِ
وبحثْتَ في الأَديان بحثًا منصفًا ... فجَنَحْتَ بعدَ البَحْث للإسلام
هذا هو الكَنْزُ الدَّفينُ كَشَفْتَه ... بِبَصيرة نفَذَتْ وفكْرٍ سامي
(بنْوَا) لقدْ أَبْليْتَ في حَرْب الهَوَىٰ ... حسنًا وما بَالَيْتَ باللُّوَّام
ونَصَرْتَ في باريسَ دينَ مُحَمَّد ... بِصرَاحة بَرِئَتْ منَ الإبْهام
لو كانَ للاسْلام فيها دولَةٌ ... مَرْعيةٌ رفعنْك فوقَ الْهام
بَهَرَتْكَ (ظَاهرَةٌ) بدتْ من (مَالِك) ... فجَلَتْ دُجَاكَ بِبَرْقها البَسَّام
إني أرَاك عَلَوْتَ قَوْمَكَ رُتْبَةً ... و(سَلَمْتَ) من شِرْك ومِنْ إجرام
فالْحَقّ بِـ (إتْيَانِ) وَ(جُونْسُو) رفْعَةً ... وكرَامَةً وَاخْلُدْ علىٰ الأَيام
هذا هدَىٰ مَن قَام مُضْطَلعًا به ... أمَّ الرِّجال وشَمَّ كالأَعْلام

1. أبو القاسم سعد الله، شاعر الجزائر محمد آل خليفة، مرجع سابق، ص 238.
2. محمد العيد، الديوان، ص 214.

فالقصيدة تحكي قصة إسلام الفرنسي "بِنْوا" الذي منّ الله عليه بالإسلام والهداية، بعد الكفر والضلالة، فبعد بحث وتمحيص عن الدين الحق، اهتدى أخيرا إلى الدين الإسلامي بفضل كتاب "الظاهرة القرآنية" لمالك بن نبي، فاستعان به هذا المسلم الجديد على تحقيق مباحثه الإسلامية، وهكذا أنجاه الله سبحانه وتعالى من الشرك والإجرام، فعلت وارتفعت مرتبته ومنزلته بين قومه، ولحق بأخويه في الله الفرنسيان: نصر الدين إتيان وعبد الكريم جونسو اللذان أسلما قبله.

كما ينقل لنا محمد العيد المأساة التي حدثت للجزائريين في باخرة "سيدي فروش" بفرنسا ويتوجع لها، وينعي على فرنسا هذه الجريمة التي تسببت في تحجير سفر العمال إليها قائلا[1]:

علام يظلُّ دهرك مستريبا؟ تسائله ويأبى أن يجيبا
وقل للقائمين على فرنسا تعالوا فاشهدوا الخطب العجيبا
جسوم في «فِرُوشَ»[1] مجدلات تعاني تحته الغاز الرهيبا
وَأجساد ممزقة الحشايا تكاد لها النواصي أن تشيبا
حديد «فروش» يفريها شظايا وعزف «فروش» يبكيها نحيبا
مشائيم أناخ البؤس فيهم فمزق ثوبَ أمنهم القشيبا
وصب عليهم الارهاق سَوْطًا من البلوى فكان لهم مذيبا
فريح القر تعصف زمهريرا وفيح الحرِّ يلفحهم لهيبا
مصاب نملأُ الدنيا أحتجاجا عليه عسى المناوئُ ان ينيبا

بعد دخول الاستعمار الفرنسي إلى الجزائر قام بتجريدهم من أسباب الحياة، وتركهم حفاة عراة جياعا، ليسجل عليهم العبودية المؤبدة للسادة الأوربيين، يعملون ليلا ونهارا في سبيل القوت المقتر، فإن زاد فتح لهم طريق فرنسا للعمل بسواعدهم لا بعقولهم في مصانعها وكان الجزائري الذي يصل إلى فرنسا يعد نفسه سعيدا فيها، لارتفاع الأجور نوعا ما، بحيث تكفيه وتكفي أولاده المتخلفين، وكانت كثيرا من تثور ثائرة العمرين لنقصان الأيدي العاملة

1. محمد العيد، الديوان، ص ص 285 . 286.

في كرومهم الواسعة وحقول القمح المترامية الأطراف، فتعود الحكومة إلى استرضائهم بتحجير السفر على الجزائريين. وفي ذات مرة ضاقت الحياة بجماعة أولئك العملة، ففرو إلى فرنسا متسللين في باخرة اسمها (سيدي فرج) باسم الثغر الذي أنزل منه أول جندي فرنسي من جنود الاحتلال الأول... وأخفاهم صاحب الباخرة في عنابر سلفية مظلمة، مشبعة بالغازات وخالية من الهواء، وأغلق عليهم الأبواب، فما كادوا يصلون مرسى (مارسيليا) وتفتح عنهم الأبواب حتى مات منهم أحد عشر رجلا بالاختناق، وكان الآخرون بمقربة من الموت.. وكانت ضجة عظيمة بعد أن افتضحت هذه الحقيقة الشنيعة، ذلك كله أثر في نفس الشاعر ففاضت مشاعره بهذه القصيدة.

ويقول محمد العيد في قصيدة "رثاء رشيد"، التي كانت موضوع قصة شعرية لمسابقة أعلن عنها الشهاب الأسبوعي سنة 1952، وهي إحدى الطرق التعبيرية الغير مباشرة في مثل هذه المواضيع الحساسة، التي كانت تجنح إليها الصحافة الجزائرية، وفي ذلك صورة واضحة عما كان يعانيه الشعب من اضطهاد اجتماعي وفكري في تلك الفترة من الاستعمار وفي كل فترات الاحتلال المشؤوم، حيث قال[1]:

نعم لك في العلى عملٌ مجيد ... ولكن ما جزاؤُك يا رشيد؟
أمُتَّ على الصِّبى أسفا وحزنا؟ ... كذلك يُنتج الضغطُ الشديد
علامَ (فرنسوا) يَعلوك كعْبا ... وأنت لمثله الكُفؤُ الوحيد
ألم تكُ يا رشيد له شقيقا ... زمانَ أبُوكما العلّم المفيد
وكنتَ بجنبه في الحرب لمَّا ... أمضَّ قواكما الجهد الجهيد
حياتك كلها مأساةُ حزن ... يَشيب لهول منظَرها الوليد
وموتك يا شهيدَ العدل ذكرى ... مؤثِّرة يلين لها الحديد
وقفتُ عليك أشعاري عظاتٍ ... بما أوْلَى لك الدهرُ العنيد
ونحتُ عليك في ظلم الدياجي ... وهل يُجدي نُوَاحِي أو يفيد؟
وإن تكُ قد قضيتَ العيش بؤسًا ... فعند الله طالعُك السعيد

1. محمد العيد، الديوان، ص ص 449 . 450.

رشيد رجل جزائري صميم، حصلت بينه وبين رجل إسباني يدعى فرنسوا تجنس بالجنسية الفرنسية ألفة شديدة، نشأت ألفتهما منذ الصغر حتى أنهما قضيا صباهما مع بعضهما متحابين حبا لم يكن الزمان ليطمع في إزالته من قلبيهما. قرءا في كتاب واحد، إلى أن ترقيا إلى الكليات الكبرى، وكان أساتذتهما كثيرا ما يقولون لهما أن دولتنا لا فرق عندها بين عربي وفرنسي، تسوي بين الجميع تسوية الأم بين أبنائها. ترعرع رشيد على ما سمع من أساتذته حتى بلغ رشده، فانخرط هو وصاحبه في الجندية الفرنسية، وأخذ يطبق تعليمات أساتذته في المساواة، فما راعه إلاّ و "فرانسوا" ارتقى إلى درجة قائد حربي كبير، ولم يزل هو في الدرجة الثالثة على تفوقه في المعارف واقتحامه المخاوف، فاغتم لذلك ثم غادر الجندية مدافعا عن حقوق بلاده، إلى أن مات شهيدا للعدل والمساواة[1].

كما يقول في قصيدته "قصة شهيدين"[2]:

شهمان في الخطب لم يهابا ... نادَاهمَا الخُلدُ فاستجابا
تلقَّيا في الحَشا رَصاصًا ... مفرَّغًا للرَّدىٰ مُذابا
فمن رَأَىٰ عند ما أصيبَا ... رأَىٰ شِهابًا تَلا شهابا
خرَّا إِلىٰ الأَرض في مُصاب ... لم نحتمل مثْلَه مصابا
يا مُودِعَ الشُّهب في تُرابٍ ... الشُّهبُ لا تُودَع الترابا
أَخْطُطْ لها في السَّماء قَبرا ... وَوَارِ أجرامَها السَّحابا
إن (العَزيلات)[1] قدْ أَثارتْ ... لا ريبَ واستأنَستْ رِحابا
وجدَّ فيها البِلىٰ كأنْ لم ... تُمْضِ الدَّهاريرَ والحِقبا
ان الشَّهيدَيْن قد ألمَّا ... بظلِّها فازدهَىٰ وطابا

فهذه القصة حدثت في فتنة من فتن الانتخاب المعروفة في الجزائر، سقطا على إثرها شابان جزائريان بمدينة بسكرة النخيل، على أيدي الشرطة العتاة، المطلقة أيديهم في رقاب الجزائريين، وكادت تكون مقتلة عظيمة بين الفريقين: الوطني الأعزل، والبوليس

1. محمد الهادي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، مرجع سابق، ص ص 23 . 24.
2. محمد العيد، الديوان، ص 460.

المسلح ومن ورائه جميع قوى الحكومة، فجاشت قريحة الشاعر بهذه القصيدة المؤثرة الصادقة التصوير.

أما في قصيدة "دمعة منهمرة على فتاة منتحرة"، فيقول[1]:

أذرت عليك دموعَها الانداء ... يا زهرةً عصَفت بها النَّكباء
ماذا دهاك من الحياة فعفّتِها ... وعرتْك فيها نظرةٌ سوداء
ألقيْت نفسك من شَفير شاهِقٍ ... يخشى الوقوفَ بجَنْبهِ الْجُرآء
ما هَابهُ الليثُ الهَصور من الردى ... قدَرتْ عليه الظَّبيةُ الهَيْفاء
صدمَتْك من وادِي الرِّمال صُخورُه ... وطواك منه لدَى الهَوِيِّ هَواء
وسقطتِ صرعَى لم يُقلّك في الثرى ... فرش ولم يُسْدل عليك غطاء
وقضيتِ لا قُرْبَى تحوط ولا يدٌ ... تأسو ولا عطفٌ ولا إِدناء

فهذه القصيدة عبارة عن قصة فتاة من أحد الأسر الإصلاحية، ألم بها عارض طغى فيه اليأس على الرجاء، والهوى على العقل، شأن الفتيات الغريرات، فانتحرت من شاهق بوادي قسنطينة الشهير (وادي الرمال) وتركت لأبويها حزنا يمده الدمع، ووصل النبأ بذلك الحادث إلى الشاعر فقال هذه القصيدة المؤثرة.

وفي الأخير نستنتج بأن محمد العيد آل خليفة قد أبدى محاولات عدة في مجال القصة الشعرية، لكن المتطلبات الفكرية لتلك الفترة حالت دون ولوجه إلى هذا العالم، فظلت محاولاته في هذا المجال محاولات مبدئية، لم ترق إلى مستوى القصة الشعرية بمعناها التام.

وختاما لا يسعني إلاّ أن أقول أنّ محمد العيد آل خليفة يمثل علامة في التراث الجزائري فهو شاعر الجزائر الذي سخر لها لسانه وقلمه، فكان اللسان الناطق بها، معبرا عنها بقصائد وطنية مازالت راسخة إلى الآن، فقد كان قصيدة تتحرك على قدمين، وقلبا يخفق بالعروض وجسدا تشكله الحروف.

1. محمد العيد، الديوان، ص ص 475 . 476

لكل بداية نهاية وها أنا آتي إلى ختام هذه المذكرة، بعد زمن قضيته في كتابتها ورصف حروفها وحبك نسجها، والمعنون لها بـ: "**ثنائية التقليدي والحداثي في شعر محمد العيد آل خليفة**"، أودعناها طرفا من نصوص بعض العلماء الأفذاذ ونتفا من حرص طلاب العلم على العلم، دون نسيان قطب الرحى وهو ديوان محمد العيد الذي يحمل في ثناياه طاقات علمية نادرة ومحطات فذة مدهشة، أثارت فضول الأدباء والنقاد وغيرهم من الباحثين الذين أشفوا غليلهم منه، بعدما وجدوا بغيتهم فيه، فكان لأهل العلم تذكرة وللعامة والخاصة تبصرة.

وبغض النظر عما تضيفه هذه المذكرة للمكتبة الجامعية خاصة في مجال الأدب الجزائري الحديث، إلا أنني أرجو أن ينعش بها العليل ويشحذ بها الكليل، فقد سعيت بكل ما أوتيت من جهد وقوة إلى جعلها كالمائدة تختلف عليها أصناف الأطعمة باختلاف الآكلين وأنا لا أدعي أنني آتيت فيها بجديد ولا أدعي أنني آتيت فيها بخفي أو دقيق، فهي أشهر من أن تذكر، جمعتها من كتب شتى مجتهدة فقط باختيار اللفظ المناسب للموقف المناسب فآمل أن تكون قد جاءت كما كنت أتمنى مشكلة المباني مختلفة المعاني، راجية أن تتبع من الجوانح لتصل إلى الجوانح وتظهر على الجوارح فلقد خففت وإن أكثرت واختصرت وإن أطلت، لكنني لم أجد بذا من الوقوف على ما أودعته هذه الصفحات، مع علمي أنها لا تخلو من عيب أو نقص، فمن وجد عيبا فليستره، ومن وجد نقصا فليتممه، ومن وجد خطأ فليصححه، وكما يقول الحريري في "مُلحته":

فانظر إليها نظر المستحسن * وحسّن الظن بها وأحسن**

وإن تجد عيبا فسد الخللا * جلّ من لا عيب فيه وعلا**

ولكن هذا لا يمنعني من توضيح وتبيان الكثير من النقاط والنتائج التي توصلت إليها في هذه المذكرة، والقول فيها بما أراه –حسب جهدي– صوابا ينبغي الوقوف عنده:

لقد اتبع محمد العيد طريقة الشعراء القدامى في نظم أشعاره، وذلك لتأثره الكبير بهم وللمكانة المرموقة التي حضي بها الشعر العربي القديم لديه ولهذا نجد بأن أغراضه الشعرية قد تعددت وتنوعت بين وصف ومدح ورثاء وغزل وإخوانيات ولزوميات وغيرها، فعد شعره بذلك رسالة يرسل بواسطتها رسائل إلى من يقصده بالخطاب.

نتج عن عودة محمد العيد إلى الموروث القديم وتأثره الكبير بسابقيه أن أصبحت أشعاره عبارة عن جريدة تنوعت أخبارها، إذ تحوي صورا شعرية كثيرة مستمدة ومستلهمة في أغلبها من الأصول التي تحكم المجتمع والمصادر التي تنظم وتوجه حياته، كالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والأدب العربي القديم، وهو في الحقيقة تعرف على ذاته ورغبة منه في إنقاذ الشخصية الإسلامية عموما والجزائرية خصوصا من براثن الاستعمار، الذي يريد استلاب الثقافة الإسلامية و إذابتها في بوتقة الحضارة الغربية.

لغة محمد العيد لغة قوية في ألفاظها وتصويرها، تستجيب للمشاعر المحتدمة، فهي مستقاة من مناهل عذبة كالطبيعة والقرآن الكريم، كما أنها لغة شديدة غليظة اللهجة، يهدف من خلالها إلى كشف جرائم الاحتلال الفرنسي ومحاربته، فكانت كقصف الريح العاتية، وهذا دليل على تمسك الشاعر بأمجاده وأصالته، لنبوع هذا الشعر من خفقات قلبه ومن نبضات الشعب الجزائري.

تبني محمد العيد للمنهج القديم في أسلوبه، جعل من شعره همزة وصل بين ماضي الأمة وحاضرها، وساهم مساهمة كبيرة في حفظ تراث الجزائر وأصالتها وامتدادها التاريخي فاستخدم التكرار، والاقتباس، والرمز في استقصائه وتصويره الدقيق للمواقف والمشاهد، وهذا ناتج من ثمرات الإيمان الصادرة عن عقيدة راسخة ثابتة.

الشاعر هو ذلك المخلوق الذي لا يحيا لنفسه بل للآخرين، ومحمد العيد من أولئك الشعراء الذين كرسوا شعرهم لخدمة وطنهم وشعبهم، فكان باعث الأمل ومفجر ينابيع التفاؤل فيهم

وقد عمل بكل ما أوتي من قوة على النهوض بهذا الشعب ولم شمله، وذلك بتوحيد صفوفه وإعلاء كلمته فوق كلمة العدو.

كان للشعر الديني عند محمد العيد دور كبير في إيقاظ الشعب الجزائري من سباته من خلال حركة إصلاحية استهدفت تغيير هذا المجتمع وتطهيره من الأمراض والأوحال التي علقت به، وذلك بالعودة إلى منابع الدين الصافية، والثورة على البدع والخرافات السائدة، ونقد الواقع للخروج به من التخلف المادي والمعنوي، وتحريره من الجمود الفكري.

نلمس في شعره طابع المعاناة التي تتجدد بصورة واضحة، إذ تحدث عن قضية وطنه الجزائر، والقضايا العربية بصفة عامة، كقضية فلسطين واستقلال أجزاء من الوطن العربي كالسودان وليبيا، وثورة مصر، والمعارك الأدبية، ومناسبات التكريم أو التأبين لعظماء الشرق من كتاب وشعراء وقادة ومصلحين...إلخ، فالشاعر مفعم بالروح العربية، يعيش تلك القضايا بشعره وأعصابه وعقله.

انتهج محمد العيد نهجا جديدا في لغته وأسلوبه في بعض أشعاره، وهذا راجع أساسا إلى البيئة التي عاش فيها، مما جعله يتجنب التصنع والتكلف ويأتي به هذا إلى العفوية دونهما، كما نوع في القوافي، واستخدم القصة الشعرية، بما تغنيه من أساليب رفيعة في النظم، فهو ينهل منها ما يعينه على تنمية قاموسه اللغوي وترقيته، للتعبير عما يختلج صدره، فعدت بذلك مرآة عاكسة لكل مواقفه النفسية والشعورية التي تشبهها.

ورغم ما قدم عن شعر محمد العيد آل خليفة من دراسات وبحوث أكاديمية فأحسب أنه لا يزال منجما زاخرا للبحث، لم يطق الدارسون بعض مجاهله وأغواره. ويبقى محمد العيد آل خليفة مجالا خصبا لبحوث كثيرة –إن شاء الله – عن شعره ونشاطه وأعماله وتفوقه في ميادين كثيرة لا يدركها حصر.

وفي النهاية لا يسعني إلا أن أسأل المولى عز وجل بعزته وقدرته أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، رغم ما فيه من نقص – وهذا ما جبلنا عليه– وأن يجعل جهدي هذا مفتاحا لدراسات أخرى تمس الشعر الجزائري الحديث، فإن كنت أوفيت على الغاية وحققت المراد فلله الحمد والمنة، وإن تعثرت في عارض أو ثابت فهذا من طبيعة البشر يقول الأصفهاني في وصف أعمال البشر:

"إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غده لو غيرت هذا لكان أحسن، ولو زدت هذا لكان يستحسن، ولو ترك هذا لكان أجمل وهذا لعمري من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر". ونستغفر الله مما زلت فيه القلم:

﴿ **رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ** مِن **قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾، وصلى الله وسلم على نبينا ورسولنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* **القرآن الكريم (برواية ورش).**

أولا: المصادر.

1) ديوان محمد العيد آل خليفة، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ط1، 1967.

2) ابن حمزة الحسين، أسباب ورود الحديث الشريف، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ج2 (د.ط)، (د.ت).

3) أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تح، نبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ج1 ط1، 2000.

4) الحافظ ابن كثير، التفسير، دار الفكر، بيروت، لبنان، ج7، (د.ط)، (د.ت).

5) حسان بن ثابت الأنصاري، الديوان، شرح، يوسف عيد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1 1992.

6) سنن الترميذي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، م4، ط2، 1983.

ثانيا: المراجع .

7) أبو العيد دودو، كتب وشخصيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط) 1970.

8) أبو القاسم سعد الله، أفكار جامحة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ط)، 1988.

9) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ج2، ط3، 1983 .

10) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي(1830-1954)، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، ج8، ط1 1988.

11) أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، (د.ط)، 1985.

12) أبو القاسم سعد الله، شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، دار الرائد للكتاب، الجزائر ط5، 2007.

13) أبو القاسم سعد الله، محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث دار المعارف، مصر، ط2، (د.ت).

14) إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، مجلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد2، 1998.

15) إحسان عباس، فن الشعر، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط2، 1995.

16) أحمد دوغان، في الأدب الجزائري الحديث– دراسة –، منشورات اتحاد الكتاب العرب (د.ط)، 1996.

17) أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ج1 ط1، 1997.

18) أدونيس، النص القرآني وأفاق الكتابة، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط1، 1993.

19) باسم بلام، محمد العيد آل خليفة أمير شعراء الجزائر والشمال الإفريقي (الأعمال الشعرية الكاملة)، دار الصديق، الجزائر، ج1، (د.ط)، 2016.

20) جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث والنقد البلاغي، دار المعارف، القاهرة مصر،(د.ط)، 1980.

21) جبرا إبراهيم جبرا، ينابيع الرؤيا، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، لبنان،(د.ط) 1979.

22) رشيد يحياوي، الشعرية العربية الأنواع والأغراض، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، ط1، 1991.

23) سعاد محمد خضر، الأدب الجزائري المعاصر، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان (د.ط)، 1967.

24) سليمان محمد سليمان، المحاكاة في الشعر الجاهلي بين التقليد والإبداع، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 2005.

25) شلتاغ عبود شراد، حركة الشعر الحر في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر (د.ط)، 1985.

26) شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر، دار المعارف، القاهرة، مصر ط10، (د. ت).

27) شوقي ضيف، العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د.ط) (د.ت).

28) شوقي ضيف، في التراث والشعر واللغة، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د. ط) (د.ت).

29) صاحب خليل إبراهيم، الصورة السمعية في الشعر العربي قبل الإسلام– دراسة – اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، (د.ط)، 2000.

30) صالح خرفي، أصوات في الأدب الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، ط1، 1984.

31) صالح خرفي، الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ط) 1984.

32) الطاهر يحياوي، محمد توامي، شعراء وملامح، مطبعة أمزيان، الجزائر، ط1، 1984.

33) عبد السلام المسدي، النقد والحداثة، دار الطليعة للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1983.

34) عبد العزيز لمقالح، الشعر بين الرؤيا والتشكيل، دار طلاس للترجمة والنشر، دمشق لبنان، ط2، 1985.

35) عبد القادر فيدوح، الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق سوريا، (د.ط)، 1992.

36) عبد الله الركيبي، قضايا عربية في الشعر العربي المعاصر، الدار العربية للكتاب تونس، ط3، 1977.

37) عبد المجيد زراقط، الحداثة في النقد الأدبي المعاصر، دار الحرف العربي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).

38) عبد الملك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر (1925-1954) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط)، 1971.

39) عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، مكتبة غريب، مصر، القاهرة، ط4 1977.

40) على الوردي، مهزلة العقل البشري محاولة جديدة في نقد المنطق القديم لا تخلو من سفسطه، داركوفان للنشر، توزيع دار كنوز الأدبية، بيروت، لبنان، ط2، 1994.

41) عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث تاريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، (د.ط)، 1995.

42) محروس منشاوي الجالي، منتخبات من الأدب العربي الحديث- دراسة فنية -، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1987.

43) محمد الطاهر يحياوي، أحاديث في النقد والأدب، شركة الشهاب، الجزائر، (د.ط) 1990.

44) محمد الهادي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، المطبعة التونسية، تونس ج1، ط1، 1962 .

45) محمد بن سمينة، العيديات المجهولة، موفم للنشر، الجزائر، ط1، 2003.

1. محمد بن سمينة، شخصيات لها تاريخ محمد العيد آل خليفة، ديزان المطبوعات الجامعية،الجزائر، ط1، 1990.

46) محمد بن سمينة، محمد العيد آل خليفة دراسة تحليلية لحياته، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط)، 1992.

47) محمد بنيس، الشعر العربي الحديث، بنياته وإبدالاتها- مساءلة الحداثة -، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2014.

48) محمد بنيس، سؤال الحداثة، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، (د.ط)، (د.ت).

49) محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، مصر، ط2 1978.

50) محمد لطفي اليوسفي، البيانات، دار سراس للنشر، تونس، ط1، 1993.

51) محمد مصايف، فصول في النقد الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر ط2، 1981.

52) محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية (1925م-1975م)، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1985.

53) الوناس شعباني، تطور الشعر الجزائري منذ سنة 1945 حتى سنة 1980، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط)، (د.ت).

54) يحي الشيخ صالح، شعر الثورة عند مفدي زكرياء دراسة فنية تحليلية، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، ط1، 1987.

ثالثا: المعاجم والقواميس والموسوعات.

55) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور)، لسان العرب، تر، عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ج7 (د.ط)، (د.ت).

56) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تح، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ط1، 1998.

57) أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تح، مهدي المخزومي إبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، ج5، (د.ط)، (د.ت).

58) صلاح الدين الهواري وآخرون، المعجم الوسيط، دار مكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).

59) طراد الكبيسي، التراث العربي كمصدر في نظرية المعرفة والإبداع في الشعر العربي الحديث، الموسوعة الصغيرة، وزارة الثقافة والفنون، بغداد ، العراق، العدد12،1978.

60) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الهدى، عين مليلة الجزائر، (د. ط)، (د. ت).

61) مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، مطابع الدار الهندسية، مصر، ط1، 1980.

رابعا: المجلات:

62) خالد عمر يسير، الدوافع إلى القناع في الشعر العربي المعاصر، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب دمشق، سوريا، العدد 340، أوت 1999.

63) رجاء محمد عودة، قراءة في بنية القصيدة المدحية، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، العدد 86، أوت 2002.

64) الشارف لطروش، (الشعر الديني عند محمد العيد آل خليفة)، حوليات التراث، جامعة مستغانم، الجزائر، العدد2، 2004.

65) شوقي بغدادي، تحولات في بنية القصيدة العربية، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، العدد 335، مارس1999.

66) شوقي بغدادي، هذه الحداثة؟، مجلة الموقف الأدبي،اتحاد الكتاب العرب، دمشق سوريا، العدد5، سبتمبر 1996.

67) عبد القادر عميش، اشتغال الرمز ضمن إسلامية النص، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، الجزائر، عدد2، 2004.

68) عبد النبي أصطيف، المؤثرات الأجنبية في الشعر العربي المعاصر، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، العدد 305، سبتمبر 1996.

69) علي عقلة عرسان، أسئلة الحداثة والتراث، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب دمشق، سوريا، عدد58، جانفي 1995.

70) محمد عمران، أفق على الحداثة، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق سوريا، العدد 291، مارس 1995.

71) هارولد بلوم، مفارقة الحداثة، تر، خالدة حامد، مجلة الآداب الأجنبية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، عدد 105، شتاء 2001.

خامسا: الملتقيات.

72) محمد الصالح خرفي، الشاعر الجزائري المعاصر والموروث الشعري العربي القديم الملتقى الوطني الأول حول: التراث العربي وجديد القراءات النقدية، 09-10 ماي 2011 المركز الجامعي برج بوعريريج، الجزائر.

73) آمنة شنتوف، فاطمة صغير، الخصائص الفنية في الشعر الثوري الجزائري، نماذج من شعر مفدي زكرياء ومحمد العيد آل خليفة، الملتقى الوطني حول: الأناشيد الوطنية ودورها التعبوي خلال الثورة، 15-16 ماي 2013، الجزء 1، عدد خاص.

سادسا: الرسائل والبحوث الجامعية.

74) إبراهيم لقان، ملامح المقاومة ضد الاستعمار في شعر محمد العيد آل خليفة (دراسة فنية)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، السنة الجامعية 2006-2007.

75) دلال الشريف شاكر العبدلي، مظاهر التجديد في شعر العواد، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، السنة الجامعية 1982-1983.

76) سهام بن شعلال، Le charme de la textualité religieuse dans la poème de Mohamed El Aid El Khalifa، رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة أبي بكر بالقايد، تلمسان، الجزائر، السنة الجامعية 2010-2011.

77) عابي سمير، البنية الإيقاعية في ديوان محمد العيد آل خليفة، إسلاميات وقوميات اللزوميات، الثوريات أنموذجا، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2014-2015.

78) نادية بوذراع، الحداثة في الشعرية العربية المعاصرة بين الشعراء والنقاد-عبد الوهاب البياتي وحي الدين صبحي-أنموذجا، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2007-2008.

الملخص:

موضوع المذكرة هو: ثنائية التقليدي والحداثي في شعر محمد العيد آل خليفة.

بينت من خلالها كيفية تناول محمد العيد لقضاياه وموضوعاته، واستجلائه لبعض خصائص الشعر العربي القديم، وكيف ضمنها قصائده، واستفاد منها في التعبير عن تجربته الشعرية، لأخلص في الأخير إلى تبيين مواطن التقليد ومواطن التجديد في شعره، سواء كانت في الشكل أو في المضمون.

الكلمات المفتاحية:

ديوان محمد العيد آل خليفة – التقليد –التجديد– الشكل –المضمون.

Résumé :

Le sujet de la mémoire est: Traditionnel et modernisme dans la poésie de Muhammad Al-Eid Al-Khalifa.

Qui a montré comment aborder les questions et les sujets de Mohammed Eid, Et pour explorer certaines des caractéristiques de la poésie arabe ancienne, et comment inclure ses poèmes, et bénéficié de l'expression de son expérience poétique, Dans ce dernier, pour indiquer le citoyen de la tradition et le renouvellement de sa poésie, que ce soit dans la forme ou le contenu.

les mots clés :

Diwan Mohammed Al Eid Al Khalifa – Tradition – Renouvellement – La Forme - le contenu .

الرقم	العنوان	الصفحة
/	**مقدمة**	**أ – و**
/	**مدخل**	**14-39**
أولا	**محمد العيد آل خليفة حياته وآثاره**	**14**
1	مولده ونشأته	**14**
2	ثقافته ونشاطه	**17**
3	شخصيته ومكانته الأدبية	**21**
ثانيا	**الإطار المفاهيمي لمصطلحي التقليد والتجديد**	**27**
1	تعريف التقليد	**27**
أ	لغة	**27**
ب	اصطلاحا	**27**
2	تعريف التجديد	**32**
أ	لغة	**29**
ب	اصطلاحا	**30**
ثالثا	**التقليد والتجديد ومظاهرهما في الشعر العربي**	**33**
1	التقليد في الشعر العربي	**33**
2	التجديد في الشعر العربي	**36**
الفصل الأول: مظاهر التقليد في شعر محمد العيد آل خليفة		
/	**تمهيد**	**41**
المبحث الأول	**الأغراض الشعرية**	**42**
1	الوصف	**42**
2	المدح	**47**
3	الرثاء	**51**
4	الغزل	**55**
5	الإخوانيات	**60**
6	اللزوميات	**66**
المبحث الثاني	**الصورة الشعرية**	**67**

1	القرآن الكريم	**67**
2	الحديث النبوي الشريف	**71**
3	التراث العربي القديم	**73**
المبحث الثالث	**اللغة**	**80**
1	حقل الألفاظ المستقاة من الطبيعة	**80**
2	حقل الألفاظ المستقاة من القرآن الكريم	**82**
3	حقل الألفاظ الدالة على الضواري	**86**
4	حقل الأدوات القتالية	**89**
المبحث الرابع	**الأسلوب**	**93**
1	التكرار	**93**
2	الاقتباس	**100**
3	الرمز	**105**
الفصل الثاني: مظاهر التجديد في شعر محمد العيد آل خليفة		
/	**تمهيد**	**110**
المبحث الأول	**الشعر الوطني**	**112**
1	شحذ الهمم واستنهاض العزائم	**112**
2	الدعوة إلى توحيد الصفوف والتأكيد على مبدإ الوحدة الوطنية	**119**
3	الحرص على اللغة العربية وتمجيدها	**123**
المبحث الثاني	**الشعر الديني**	**128**
1	الدعوة إلى التمسك بالعقيدة الإسلامية والأخلاق السامية	**128**
2	الحث على طلب العلم وتمجيد العلماء	**133**
3	محاربة الآفات ومعالجة قضايا البؤس الاجتماعي	**139**
المبحث الثالث	**الشعر القومي**	**145**
1	هاجس الوحدة	**145**
2	الحرية والتحرر	**150**
3	القضية الفلسطينية	**158**
المبحث الرابع	**اللغة والأسلوب**	**163**
1	بساطة اللغة والأسلوب	**163**

2	التنويع في القافية	**168**
3	القصة الشعرية	**171**
/	**خاتمة**	**180**
/	**قائمة المصادر والمراجع**	**185**
/	**فهرس الموضوعات**	/
/	**الملخص**	/